

كتابخانه و مركز اطلاع رسانی
بنیاد و ایره المعارف اسلامی

۱۸۱ - ۱۸۲

المجلدات
دار الیمامة للبحث والترجمة والنشر
شارع الملك فيصل هاتف ۵۰۲۶۹۱۵
الرياض - المملكة العربية السعودية

العرب
مجلة شهرية تعنى بتراث العرب الفكري
تدقيقها ورئيس تحريرها: محمد الجابري

الاشتراك (السنوي)
٢٨ ريالاً للأفراد و١٠٠ ريالاً للمؤسسات
الإعلانات: يتفق عليها مع الإدارة
من الزم: ٨ رسالات

ج ١ و ٢ س ١٦ — رجب وشعبان سنة ١٤٠١ هـ أيار — حزيران (مايو/يونيو) ١٩٨١ م

٩٨٣٢٣

شماره ثبت

من أصداء الذكريات

تاريخ ٦ - ٣ / ١٣٨٥

علماء عرفتهم فقدتكم



مركز تحقيقات مکتب اسلامي

يَسْتَعِذُّ الْمَرْءُ تَذَكُّرُ الْمَاضِي فِي بَعْضِ الْأَوْقَاتِ الَّتِي تَعْتَرِيهِ فِيهَا حَالَةٌ مِنْ حَالَاتِ الضَّعْفِ . فَيُخَيِّلُ إِلَيْهِ أَنَّ مَاضِيَهُ خَيْرٌ مِنْ حَاضِرِهِ . وَقَدْ يَصِحُّ هَذَا التَّخَيُّلُ بَعْضَ الْأَحْيَانِ .

ولكن مما لا مَرِيَّةَ فِيهِ أَنَّ النُّفُوسَ تَسْتَرْوِحُ بِذِكْرِيَّاتِ الْمَاضِي أَيْبًا كَانَ .

وما سَأَقْصُهُ عَلَى الْقَارِئِ هُوَ نَوْعٌ مِنْ ذَلِكَ الْاسْتِرَاحِ ، لِصَلَتِي بِبَعْضِ مَنْ عَرَفْتَهُ مِنَ الْعُلَمَاءِ الَّذِينَ غَابُوا عَنْ هَذَا الْعَالَمِ ، فَرَأَيْتُ مِنَ الْوَفَاءِ لَهُمْ اسْتِعَادَةَ بَعْضِ جَوَانِبِ الذِّكْرِيَّاتِ الْمُتَعَلِّقَةِ بِهِمْ ، وَهِيَ جَوَانِبٌ لَا تُضَيِّفُ جَدِيداً إِلَى مَا عُرِفَ عَنْهُمْ ، فَقَدْ أَوْجَزْتُ الْحَدِيثَ ، وَامْتَثَلْتُ السَّيْرَ عَلَى الْأَثَرِ : « اذْكُرُوا مُحَاسِنَ أَمْوَاتِكُمْ » .

ولهم من آثارهم الباقية وما عَرَفَ عَنْهُمْ مِنَ الصِّفَاتِ الْحَمِيدَةِ مَا يَغْنِي عَنِ الْإِطْرَاءِ .

محمد بن عبد اللطيف آل الشيخ
(١٢٨٢ — ١٣٦٧ هـ)

هو الشيخ محمد بن عبد اللطيف بن عبد الرحمن بن حسن بن شيخ الإسلام الشيخ محمد بن عبد الوهاب — رحمهم الله — ولد في مدينة الرياض سنة ١٢٨٢ هـ وتلقى العلم عن علمائها ومن أبرزهم أخوه الشيخ عبدالله والشيخ محمد بن محمود .

وتولى قضاء الوشم ، وبعثه الملك عبد العزيز سنة ١٣٣٩ إلى بلاد عسير وغامد وزهران لنشر الدعوة السلفية . وتولى القضاء في الرياض فترة .

وكان جماعاً للكتب ، فخلف مكتبة حافلة بالمخطوطات ، تفرقت بعد وفاته . وقد توفي في جمادى الآخرة سنة ١٣٦٧ وترجمه ترجمة مفصلة حفيد أخيه الشيخ عبد الرحمن بن عبد اللطيف آل الشيخ في كتاب «علماء الدعوة» ترجمة وافية .

ولقد عرفته أثناء طلبي العلم في الرياض سنة ١٣٤٧ وتوطدت الصداقة بيني وبين أبنائه عبد الرحمن وعبدالله وإبراهيم ، فكنت أزورهم فأجتمع بالشيخ لِمَآماً ، وكان قليل الخروج من بيته ، فكان يأنس بي ، ويحضر بعض المخطوطات لأقرأ عليه فيها . وحينما يستغلق قراءة بعض الكلمات في بعض الرسائل التي يكلف ناسخاً معروفاً في ذلك الوقت هو عبدالله بن إبراهيم الربيعي يطلب مني الشيخ مساعدته في قراءتها ، وكان الربيعي رحمه الله — يسكن في بيت يجوار (رباط الأخوان) الذي أسكن فيه في ذلك الوقت ، وموقعه بقرب الباب الجنوبي لمدينة الرياض .

ثم لَمَّا سافر إلى مصر للعلاج سنة ١٣٥٧ هـ كنت أكثر زيارته .

وكان رحمه الله على درجة من طيبة القلب وسماحة النفس والكرم ، حافظاً للقرآن الكريم وأذكر حديثاً جرى بين بدويين للمفاضلة بينه وبين (مُطَوِّع) طالب علم يدعي علي بن سُوكر ، كان من الوعَّاظ ، فوصف أحدهم الشيخ محمداً — رحمه الله — بأنه في القراءة (مثل البردية على الصَّمْد) أي أنه كان جهير الصوت قويّة ، تتابع الكلمات في نطقه بسرعة ، فيُسمَعُ صوته كصوت البرد عند تساقطه بقوة وسُرعة على الصَّمْد — أي

بسم الله الرحمن الرحيم

من محباي بن عبد اللطيف الاحبب عال الجناب الاخ المحي المكرم الشيخ الفاضل المقدم
 محمد ال جاسر سلمه الله تعالى وعظيمة رغبته وعلو شأنه وبارك في كسائه وافرقتك آمنة
 سلام عليكم ورحمة الله وبركاته وازكا واشهر حاجته برؤسب الكتيب هو بالغاغ المحب
 جنيل السلام الاسنى والنجيات المباركات الحسنات والخص من اخوانكم الكرام فله الاذنت
 اصحاب امره منته سلمه الله احوالنا على ما يحب وانما المكرم ومصلح ومصلح الله بالكرامة ونصته
 في سلك اهل الفضل والتقوى وانما المكرم ومصلح ومصلح الله بالكرامة ونصته
 من طريق الانتصار لابي بطي والعلى لانه قد امدد بمسألة التنا ويل هذا عندنا وانما
 رسالة الوالد الذي امددنا على راسه ابن عبد الله قد علم انما كتيب محمد ابن عمه وصنفه منه
 رده على البني لاقى هذه ليست عن ان الله ترسلهم بعد التصحيح على الامم على
 يد الشيخ محمد نصيب نجده كذا الكا سلمه الله اسال الشيخ عبد القادر محمد سلمه
 الشيخ فوزان الجنيح المصطفى التي من جهة الاشتراك في طيفات انما سعد
 ان كان استلمكم الافياخذ فاما فوزان والبقية كشي الاشتراك في سلكه على
 يد الشيخ محمد نصيب اخذني بجده وموافق منته ترسله التنا مع الاول على يد
 الشيخ محمد نصيب لانا كتب من جهة فوزان والشيخ ولا جانا جواب ولا
 نذري وايش المانع انما سول تحت الشيخ عبد الله ومختارنا حال العجالة جزا
 الله عنا خير هذا ما نرهم وبلغ سلامنا من يدك من الاخوان والشيخ عليه
 ابن علي والشيخ عليه ابني يابن ومحمد حامد الفقير ومن له يطم من الاخوان
 السلفيين ولدتنا المشيخ والاولاد والاخوان الكل بخير وانهم من
 السلام وانت في حفظ الله والسلام من ربه ٤٤٠ ج ١٥٨

(كتاب من الشيخ محمد بن عبد اللطيف)

نخط الربيعي الناسخ المعروف

الأرض الصلبة — أما الْمُفَضَّلُ لابن سَوَّكْرَ فقال عنه : (يا وجه الله على مصحف
يتحضنه ابن زوكر ، ثم يهذه هذ ، ما تقول إلا جَفْشَرٌ) ... (متفخ) يقصد الكتاب
الذي اعتاد أن يقرأ فيه أثناء وَعْظِهِ — وكان كتاب «مشكاة المصابيح» في طبعته الهنديَّة
ذات القطع الكامل .

وقد نسخت للشيخ محمد — رحمه الله — كثيراً من الرسائل المخطوطة من (دار
الكتب المصرية) (وهذه إحدى رسائل الشيخ إليّ ، وهي بخط الرِّيعي) .

— في ص ٣ —

عبد الرحمن الناصر بن سَعْدِي

(٣٠٧ — ١٣٧٦ هـ)

ولد في مدينة عُنَيْزَة ، سنة سبع وثلاث مئة وألف ، وتلقَّى العلم على علماء بلدته
وقضاها والوافدين عليها .

وقد بلغ في العلم منزلة برَّز بها على أقرانه من العلماء ، وألَّفَ المؤلفات الكثيرة ،
(أنظر «العرب» س ٧ ص ٦٩٠) وتلقَّى عنه العلم كثير من الطلاب .

وبلغ من الشهرة وعلو الذكر ما قلَّ أن بلغه أحد من أقرانه في زمانه . وحدث
بينه وبين بعض العلماء خلاف في بعض المسائل ، والله يتغمد الجميع بواسع مغفرته .

ولقد عرفت الشيخ — رحمه الله — أول ما عرفته حين أصدرت صحيفة «اليمامة»
مجلة في أول أمرها سنة ١٣٧٢ هـ فكتبت إليه أطلب منه الكتابة فيها ، فأنعم وبعث
بمقالات نُشِرَ بعضها .

ثم فوجئت بزيارته (مطابع الرياض) التي أنشأتها ، وكنت أتولى إدارتها وذلك في
شهر ربيع سنة ١٣٧٣ — فأدركت أثناء اجتماعي به جانباً مما يتحلَّى به من التواضع
والبساطة ، وغزارة العلم ، وسماحة النفس ، وقويت الصلة بيني وبينه حتى انتقل إلى
الدار الآخرة ، في جمادى الآخرة سنة ١٣٧٦ في مدينة عُنَيْزَة ، إثر مرض (ضغط الدم)
وكان قد أُصيب به في السنوات الأخيرة من حياته — رحمه الله —

بسم الله الرحمن الرحيم مائة ٢٤ صفر ١٢٧٣
 صفحۃ الاخر لفاضل الاستاذ الشيخ محمد الجاسر المحترم
 حفظه الله اسلام عليكم ورحمة الله وبركاته
 في امر ساميات تلقت كتابكم الكريم رقم ١٢٠ وسرفنيا وفقتم له
 من تأسيس صحيفة اليامة ونمواد صحيفة قامت في نجد لنشر المعارف
 المنسوبة والفتوى الصحيحة وتنقيح الاخلاق ببغذيتها بالاخلاص والشرعية
 والاداب الدينية الدنيوية التي هي على الاخلاق وارقي الاداب ونشر الافكار
 الصحيحة الحرة الملهمة فنهنيكم بهذه المنة العظمى والمنحة الكبررى ونرجو
 لها التوفيق والتقدم المستمر وان يجعل الله فيها بركة على هذه الجيلة وما بعده
 وان تكون مواضعها نذكر على العلوم الدينية والمعارف الشرعية وعلى ما يؤيد
 ذلك من المعارف الدنيوية والفوائد الادبية والتاريخ واصناف الفنون
 النافعة وان تكون مقاومة للجهل وفساد الاخلاق وقسوا للحاد وغيره مما لزم
 طلبه من اخبار المعاصرة ببغث المقالات التي تناسب الحال فهو الله
 وقوته نعمته وتبع الفرصة والمناسبات ونشكر لكم تذكركم بالارزاق
 وفقكم الله في كل امر وان شاء الله ولازم الرجاء شريفي به وبكل من سلك
 حبيب المحبت كما من جميع الاحفاد محضوناً والله يحفظكم برعايته وعونه امين

محمد عبا رحمة الله
 ابنه سعد

(مثال لكتابة الشيخ ابن سعدي)
 بخط يده

محمد بن عبد العزيز بن مانع

(١٣٨٥/١٣٠٠ هـ)

وُلد الشيخ — رحمه الله — في مدينة عُنَيَّة — من أسرة كريمة المحتد ، تميَّمة النسب ، برز عدد من أفرادها بالعلم . ودرس على مشاهير علماء نجد ، وسافر إلى العراق والشام ومصر فازداد علماً ، وألف مؤلفات في مختلف العلوم ، وتولى كثيراً من الأعمال كالقضاء والتدريس وإدارة المعارف ، ورئاسة المحاكم . وتوفي في بيروت في رجب عام ١٣٨٥ إثر جراحة أجريت له لعلاج مرض الغُدِّ البولية — تغمدته الله برحمته ورضوانه .

وقد عرفت الشيخ رحمه الله حين وُكِّل إليه الإشراف على تدريس العلوم الدينية في مكة المكرمة ، وكنت إذ ذاك أتولى تدريس الفقه والتوحيد في مدرستي (المعهد) و(تحضير البعثات) .

فحدث بيننا ما يحدث بين المتعاصرين ، وإن لم أقاربْ شأوه بالعلم والمنزلة . ثم عيِّنتُ سنة ١٣٦٧ مديراً للتعليم في نجد ، بمشورة الشيخ محمد بن إبراهيم — رحمه الله — وكان الشيخ ابن مانع مديراً عاماً للمعارف ، ولم يؤخذ رأيه في ذلك ، فحدث بيني وبينه من الخلاف ما كنت أتغلب عليه بسبب قرني من ولادة الأمور ، وما كان أحدنا يحمل للآخر إلا كُلَّ خير حتى انتقل إلى الدار الآخرة .

وقد عاد الصفاء بيننا بعد انتقاله إلى قطر في آخر حياته ، حتى انتقل إلى الدار الآخرة .

وإن بيني وبين أبنائه — وخاصة الأستاذ الجليل أحمد — من التصافي والتآخي والمحبة ما أزال كل أثر في نفسي لوالدهم ، تغمدته الله برضوانه .

محمد بن عبد العزيز المانع

نظر

العنوان البرقي (ابن مانع)

الدوحة
١٣٨٤
١٣
التاريخ

جناب العالم الفاضل الاستاذ الشيخ حمد الجاسر حفظه الله تعالى
السلام عليكم ورحمة الله وبركاته وبعد فقد وصل الي كتابكم فسر خاطري
شريف خطاكم ومطلوبكم المبرور الرابع من العصا وقد بعثت
الي جنابكم بنسخة كاملة اربعة اجزاء بواسطة الشيخ براهيم بهسنا
بالاحساء واما الكتب الاخرى التي للمحمد بن عيسى فسا حفظكم
كتابكم الرجوع صديرا لمكتبة العامة من السفر الشيخ عبد المديع
ونسى يا حبار الدارم هذا المزمع وسلام على العزيز لديكم
ومن لديا يسلمه والسلام
محمد بن عبد العزيز
ابن مانع

اعقدوا اننا مشتركون بحرية اليام

(مثال لخط الشيخ محمد بن مانع)

عبد الرحمن بن محمد بن قاسم
(١٣٩٢/١٣١٩ هـ)

ولد الشيخ عبد الرحمن بن محمد بن قاسم العاصمي القحطاني في قرية البير إحدى قرى المَحْمَل ، التي تبعد عن الرياض نحو مئة كيل .

واشتغل بالفلاحة ، ثم اتجه لطلب العلم ، ولازم الشيخ عبد الله بن عبد العزيز العنقري ، فكان من أخص تلاميذه ، واتجه في أول اشتغاله بطلب العلم لتدوين تاريخ لبلاد نجد ، ثم انصرف عن ذلك ، ويقال : إن سبب انصرافه ذكره لأنساب بعض الأسر المعروفة بحيث أثار حفيظة تلك الأسرة . وقد اطلعت على كتابه ، واستفدت منه ، ووصفته في مجلة « العرب » س ٥ ص ٩٧٩ —

وانصرف للتأليف في الحديث والفقه ، وجمع رسائل شيخ الإسلام ابن تيمية في ٣٤ جزءاً .

وقد عرفت الشيخ عبد الرحمن حين عيّن مُشْرِفاً على ما يطبع في (مطبعة أم القرى) سنة ١٣٥٣ وما بعدها . وقد قام بطبع ما جمعه من رسائل علماء نجد ، وطبع غيرها . وكان يستعين بي في تصحيح تجارب الطبع (البروفات) ويكُلُّ إليَّ عمله حين يَغيب .

وكان — رحمه الله — من أرق من عرفت من العلماء نفساً ، وألطفهم خلقاً ، وأسخاهم يداً .

وقد توطدت الصداقة بيننا ، فكان يتعاهدني بالصلة — بعد أن انفرد في مزرعته في وادي (العَمَّارِيَّة) فيبعث إليَّ من بواكير الرطب والفاكهة في الوقت الذي كنت فيه مَجْفُوعاً من عامة الناس بعد فصلي من إدارة كليتي (العلوم الشرعية) و(اللغة العربية) .

وقد أصيب — رحمه الله — في آخر حياته — بألم في رأسه من جرّاء صدمة سيارة أصيب بها سنة ١٣٤٩ — فأثر في الدورة الدموية في الرأس وتوفي في شعبان سنة اثنتين وتسعين وثلاث مئة وألف .

وهذه إحدى رسائله إلي (بتاريخ ٢٦ ربيع الأول سنة ١٣٦٥ وأنا في مدينة ينبع) .

يتحدث فيها عن عدم رغبته في ذهابي إلى مصر ، ويتمنى لو نقلت من (ينبع) إلى أحد أقطار (نجد) ويذكر بعض الكتب ، ومنها نبذة ذكر لي أنها تحوي معلومات عن بعض المواضع في نجد لابن عيسى — إبراهيم بن صالح — يقول : إنه نقلها عن المسعودي ، وأنها موجودة عنده .

[illegible]

و در آن سال که اهل بکره عمارت خفتن به سد ذکر از سلاطین و درها تجسیمی و در آن سال طبعت به الجبله الادب
که اسم خواندند

(کتاب من الشیخ عبد الرحمن بن قاسم)

— خط يدہ —

خير الدين الزركلي (١٣١٠ - ١٣٩٦ هـ)

تحدثتُ عن الزركلي — رحمه الله — في «العرب» س ١١ ص ٦٢٩ — وكنت عرفته عام ١٣٥٧ حين كنت في مصر ، عند التحاقى بكلية الآداب ، وكان مستشاراً في (المفوضية) وما كنت في ذلك الوقت أرتاح إليه لأنني في إحدى زيارتي له شاهدت منه من الجفاء ما صرفني عن تكرار الزيارة . حتى كان عام ١٣٧٦ — حيث اتصل بي الشيخ يوسف ياسين بواسطة الهاتف ، وكنت أتولى إدارة (مطابع الرياض) وهي تطبع بعض الكتب على نفقة الملك سعود — رحمه الله — بإشراف يوسف ياسين — اتصل بي ودعاني للغداء في بيته ، وهي الدعوة الأولى والأخيرة ، فاستوضحت عن الغاية من ذلك ، فقال : إنني دعوت صديقاً لك فشرط حضورك وأنه يحمل لك كتاباً مخطوطاً مصوراً ، وكنت طلبت من الشيخ يوسف الفوزان تصوير مخطوطة «نوادير الهجري» من إحدى مكتبات الهند ، فظننت أنه هو الكتاب .

وحين حضرت إلى بيت الشيخ يوسف وجدت الأستاذ الزركلي ، وكان يكاتبني قبل ذلك ، فوجدته — هذه المرة — خلاف ما توهمت عنه من الجفاء ، فكان أن قويت الصلة بيني وبينه حتى توفي — رحمه الله — وكنا أثناء إقامتي في بيروت نتزاور ، وقد عرض عليّ جانباً كبيراً من كتابه «شبه الجزيرة في عهد الملك عبد العزيز» قبل طبعه . وقد وصفت في «العرب» بعض نوادر المخطوطات في مكتبته .

ولو لم يكن للأستاذ الزركلي سوى كتابة «الأعلام» الذي جمع فيه خلاصة تراجم مشاهير الأمة والعلماء الذين عُنُوا بتراثها — لكفاه ماثرة باقية ولكن مما يحزُّ في النفس أن الرجل انتقل إلى رحمة الله — قبل إضافة كل ما استدركه من التراجم ، ودعاه «الإعلام بمن ليس في الأعلام» وقد شرع في وضع تلك التراجم محلّها من الكتاب ، فعاجلته المنية قبل إكماله ، ولهذا وقع في المطبوعة التي نشرت بعد وفاته خللٌ سبب سقوط بعض التراجم من أصل الكتاب .

الملك (١٩٥٤)

أخي الأستاذ الجليل
 تحياتي . تصلي أعداد الياسمين والورد والبنفسج في كل يوم .
 وسأعني إذا ذكرت لك ما جاء في خلدني حين رأيت الجزء الثالث
 ثم الرابع ، فالأرجح مع شخصي خالي ما يستظر أنه كتب فيه أنت ، مع
 دراسة الكتاب أو نقد أو تمحيصه ، أما الأخبار والمقالات في الموضوع
 العامة فلا يكتفي به . قد يقرأ مجلة " الجاكر " التي أرجو أنه تستد
 " لغة العرب " التي لا يسهلها الأستاذ الكرمل ، وقد يكون عذر لك أن
 المؤازير ، وهذا صحيح إلا أنه لا يعطيني به كتابة فعل في نصف
 صفحة أو أقل أو أكثر ، في كل عدد ، ولو وصفاً لحدث المكتبة الخاصة
 في الرياض أو حديثاً عن دولة من دول الرياض ، وليس في هذا ما يجتهد
 كبير علماء . ولكنه في لقاء مجتهد بعضه الغناد .
 تنبهت بعضه الأصدقاء الياسمين إلى جميع أجزاء الكتب
 على اسمي في طبعي ، وقد أخبرتهم بالجزء الأول الذي كنت
 بعثت إلى بفرستة ، وأخبرتهم بالجزء الأخير المطبوع معاً
 بالصورة في بريده . وأرجو أنه تذكر لي عنوان المكتبة التي يطلب منك
 صناعه الجزء ، ولكم الفضل .

(بقية الكتاب ص ١٢)

وأخبرني روح ضالكم الفرج بأنه ما يباع في الرياضه «تاريخ»
أبو غنم «طبعة الشنقيطي» في جزأيه ، و«تاريخ إبراهيم بن
عيسى» يطلب به عبد الله الحاتم في الرياضه . فانه لابد هذا

صحيحاً فأرجو أنه تأخذ قيمته من روح الشيخ ليفيد به وتشارك
بشراؤها وتسيرها روح السيد شدي ملحس ليتفضل بارادها
إلى ، بعد أنه تتفضل بالبرغم تحية

أرجو أنه تكونه إضيا عنه نصيب في رتاد نصيب العظم ،
وقد رأيت في بعض الصحف قديراً من الفقهات المطبوعة ، وعندى
نسخة أظنها صحيحة كما نشرها جليل القدره ، تجدهم هذه
الكله لتجمل به أدراقتك انه اردت .

وتحية طيبة من والدك
خالد بن

(نموذج خط الأستاذ الزركلي)

عبد العزيز الميمني
(١٣٩٨/١٣٠٦)

عرفت الشيخ الميمني — رحمه الله — من خلال ما نشر من الكتب الأدبية الكثيرة ، وأعجبتُ بغزارة علمه ، وسعة اطلاعه على نواذر المخطوطات ، ودأبه للبحث والتنقيب عنها .

ثم لما نشر الأستاذ محمد عبد السلام هارون رسالة عَرَّام بن الأصمغ عن « جبال تهامة وسكانها » أخذت عليه — فيما أخذت — عدم إشارته إلى أن الشيخ الميمني سبقه في نشرها ، مع أنه استفاد من تعليقاته عليها وذلك في مقال نشر في « مجلة المجمع العلمي العربي بدمشق » المجلد الثامن والعشرين ص ٥٩٣ وما بعدها .

ولما حجَّ سنة ١٣٧٦ — كتبت كلمة في جريدة « الإمامة » (ع ٨٧ تاريخ ٩ ذي الحجة سنة ١٣٧٦) مشيراً إلى ما يبذله من جهدٍ في سبيل التراث ، كما نشرت كلمة للملحق الثقافي في (السفارة الباكستانية) في الموضوع .

ونشرت في « العرب » س ٨ ص ٣٩٢ — كلمة مفصلة عنه ، تحية له بمناسبة بلوغه التسعين من عمره ، تحدثت فيها عن اجتماعي به في (كراتشي) سنة ١٣٨١ هـ .

ومنذ ستين طلب مني (المجمع العلمي الهندي) — كتابة كلمة تنشر في مجلة المجمع ، في عدد خاص عن الميمني ، فأجبت الطلب . والاستاذ الميمني من أعضاء (المجمع العلمي العربي) بدمشق ، وقد نشرت مجلة هذا المجمع له كثيراً من البحوث في وصف المخطوطات ، وفي الاستدراكات على بعض ما ينشر منها .

وقد كتب عنه الدكتور شاكِر الفحام — وزير التعليم العالي في سورية — في مجلة المجمع المذكور — المجلد ٥٤ ص ٢٣٦ وما بعدها — ترجمة مفصلة وقد توفي — رحمه الله — في ذي القعدة سنة ١٣٩٨ (١٩٧٨/١٠/٢٧ م) .



EMBASSY OF PAKISTAN
JEDDA

سيد الفاضل الجليل الاستاذ العلامة محمد الجاسر مفتي مصر
تحية وسلاما زائلا

لما لفت بالكتبه بشأن دأصلكم في الهامة وكنت قد
الاعتراف بمتاكم على فيما كتبتكم بحلة المحمدي بدسوق بصرة
اسما وجال الهامة فتقلوا تحية مباركة وثناء عا طرا
وقد أخذت من صدقنا ضياء الحسن المرسوك هذا الجزء
فبقيت كفة فارغة وارجو سدي أن لعوقفة بفسخيتي
من جزء الهامة هذا ولعنتسب دمت منة اخرى تضادة
الى منة المتواصلة ودمتم لادعكم

محمد العزيز الميموني حيد ١٧/١٢/٥٧٦ هـ

تقبلا سلامي وخالق افرام
منار الى حسن الوصوي
(لا - فو الحسن)

أبو الأعلى المودودي (١٣٢١ - ١٣٩٩ هـ)

الداعية الإسلامي المعروف . ولد في مدينة (أورنك) آباد الدكن في ولاية حيدرآباد في الهند في ٢٥ شهر سبتمبر سنة ١٩٠٣ م من أسرة تنتسب إلى الشيخ قطب الدين مودود جشني ، مؤسس الطريقة الجشنية في الهند .

وتلقى التعليم في بيت أبيه حتي الحادية عشرة من عمره ، ثم دخل المدرسة حتي أكمل الدراسة الثانوية ، حيث أصيب والده بالشلل فانصرف إلى خدمته .

ثم لما توفي أبوه — وعمره لم يتجاوز السادسة عشرة — انصرف للعمل وراء الرزق ، ولكن ذلك لم يصرفه عن مواصلة الاستزادة من العلم بالقراءة والكتابة . حتى بلغ ما بلغ من المكانة السامية بين علماء عصره .

وقد توفي — رحمه الله — في مدينة (نيويورك) في الولايات المتحدة في شهر شوال سنة ١٣٩٩ (سبتمبر سنة ١٩٧٩) بداء النقرس الذي أثر في كليتيه فأحدث تَسَمُّماً في الدم . والحديث عن أعمال الشيخ المودودي ، وعن آثار تلك الأعمال ، وعن جهاده في سبيل نشر الإسلام ، وعن آرائه في قضايا العالم الإسلامي التي أوضحها في مؤلفاته الكثيرة قد ألّفت فيها المؤلفات .

وقد عرفت الشيخ المودودي أول ما عرفته بما طالعت من رسائله التي كانت تُعَرَّبُ ثم تنشر في مختلفة الأقطار الإسلامية .

ثم في شهر جمادى الآخرة سنة ١٣٧٩ (يناير ١٩٦٠ م) قدم إلى مدينة الرياض ، فأكرموني بزيارتي في بيتي — وقال لي : إنه يُعنى بدراسة الآثار الإسلامية ، وأنه عرف عني ما دفعه للاتصال بي .

ثم استمرّ يكرر زيارتي أياماً . ثم سافر بعد ذلك فكان يواصلني بالكتابة . ولما زرت (باكستان) سنة ١٣٨١ — واجتمعت به أخبرني أنه ألّف كتاباً عن الآثار

بسم الله الرحمن الرحيم

أبو الأعلى المودودي

مؤسس حركة النهضة الإسلامية

Ichhra - Lahore - Pakistan

بتاريخ ٧ / ٨ / ١٣٧٩ هـ
٦ / ٢ / ١٩٦٠ م

حضرة الاخ الكريم الاستاذ الجليل العلامة المحقق محمد الجاسم البونفر
السلام عليكم ورحمة الله وبركاته . وبعد ، نرجو ان تكونوا بكل خير وعافية
ولقد كتبنا كتبنا اليكم رسالة من دمشق بعد رجوعنا اليها من القاهرة
عسى ان تكون قد وصلت اليكم وعسى ان تكون قد وصلت اليكم ايها نسخة من كتاب
" في ارض مدين " كتبنا ارسلاها اليكم من القاهرة . عسى ان تتكروا باقائنا
بوصول هذا الكتاب اليكم .
كما رجعنا الى باكستان في اوائل الشهر الماضي الا ان بعض امنا غل حالت
دون القيام بواجب الكتابة اليكم حتى الآن ونرجو على ذلك منكم العفو
والصعذرة . وان قلوبنا مفعمة بمواظبي الشكر والامتنان علي ما لقينا منكم
اتناء اقامتنا بالرياض من الحفاوة والاكرام وبعد من اسعد ايام حياتنا تلك
الايام التي قضيناها في الرياض بصحبكم واستفدنا فيها بعلمكم الفزير
ومكتنكم القيمة الذ اخيرة ، والله تعالى نسال ان يجزيكم عنا وعن الاسلام خير
الجزاء واحسنه . ومن نيتي الآن ان انخرم في كتابة كتاب مستقل عن الآثار والاماكن
التاريخية التي رايناها في هذه الرحلة وعسى ان لا يكون موعد صدور هذا
الكتاب بل للغة العربية بعيدا وعندئذ سترسل اليكم بنسخة منه ان شاء الله .
هذا ، ومن هنا يقرأ السلام عليكم الاستاذ غلام محمد والاخ محمد عاصم الممداد
- رفيقاي في السير - وسائر من عندنا هنا من احواننا وزملائنا .
وفي الغتام نطلبوا منا فائق التحديات والاحترامات ادامكم الله ذخرا للاسلام
والمسلمين .
والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته ، اولا وآخرا .

اخوكم

استاذنا الجليل السيد محمد تقي الدين محمد

أبو الأعلى المودودي

ما نزال نشغلنا بكم رسالة " ايماننا " ان شاء الله تعالى
وعدنا بايضا اننا سوف نكتب لكم رسالة اخرى في نفس ان شاء الله تعالى ان شاء الله تعالى
والله اعلم بالصواب

زيد الخيل "الخير"

مع معاصريه

إذا^(١) استعرضنا ترجمة زيد الخير ، نجد قد عاش حياة خصبة ، حافلة بالفروسية والكرم ، والحلم والعفو .. وتتجلى هذه الصفات وأمثالها من خلال علاقاته بمعاصريه .. الذين حفظ لنا التاريخ شيئاً من أخباره معهم .. من مشاهير الرجال أو النساء .. ولن شاء من القراء أن يلقي نظرة ، ولو خاطفة ، على ترجمته في « الأغاني » .. ليعرف أخباره مع بعض مشاهير عصره من أمثال : كعب بن زهير ، وأخيه بُجَيْر .. ومع حاتم الطائي .. وعامر بن الطفيل .. وعامر بن مالك .. وطفيل الغنوي ، والحطيئة وقيس بن عاصم المنقري .. وسلامة بن جندل وماوية بنت حُجر بن النُعمان .. وغير هؤلاء .. وقد مرّ بنا في قصة وفادته . ذكر صحبه من وفد طيء ومن اتصل بهم من الرجال خلال رحلة وفادته ..

مع بُجَيْر وكعب ابني زهير : مركز تحقيق وتطوير علوم الأدب

بُجَيْر وكعب شاعران ، أبوهما الشاعر الجاهلي الشهير (زهير بن أبي سلمى) صاحب المعلقة المشهورة :

أَمِنْ أُمَّ أَوْفَى دِمْنَةُ لَمْ تَكَلِّمْ

→ الإسلامية ، باللغة الانجليزية ، وذكرني في مقدمته ، ولا أدري هل طبع كتابه هذا أم لم يطبع .

وأذكر أنني ذاكرته في استعمال كلمة (الأعلى) ولكنه — رحمه الله — لم يقنع برأيي ، واكتفى بأن ابتسم وقال (أنت دقيق الملاحظة ، ومعاني الكلمات نسبية) ولم أريد إحراجة بإطالة الحديث ، مع أنني لم يتضح لي معنى كلامه .

الرياضي : حمد الجاسر

زيد الخيل "الخير"

مع معاصريه

إذا^(١) استعرضنا ترجمة زيد الخير ، نجد قد عاش حياة خصبة ، حافلة بالفروسية والكرم ، والحلم والعفو .. وتتجلى هذه الصفات وأمثالها من خلال علاقاته بمعاصريه .. الذين حفظ لنا التاريخ شيئاً من أخباره معهم .. من مشاهير الرجال أو النساء .. ولن شاء من القراء أن يلقي نظرة ، ولو خاطفة ، على ترجمته في « الأغاني » .. ليعرف أخباره مع بعض مشاهير عصره من أمثال : كعب بن زهير ، وأخيه بُجَيْر .. ومع حاتم الطائي .. وعامر بن الطفيل .. وعامر بن مالك .. وطفيل الغنوي ، والحطيئة وقيس بن عاصم المنقري .. وسلامة بن جندل وماوية بنت حُجر بن النُعمان .. وغير هؤلاء .. وقد مرّ بنا في قصة وفادته . ذكر صحبه من وفد طيء ومن اتصل بهم من الرجال خلال رحلة وفادته ..

مع بُجَيْر وكعب ابني زهير : مركز تحقيق وتطوير علوم الأدب

بُجَيْر وكعب شاعران ، أبوهما الشاعر الجاهلي الشهير (زهير بن أبي سلمى) صاحب المعلقة المشهورة :

أَمِنْ أُمَّ أَوْفَى دِمْنَةُ لَمْ تَكَلِّمْ

→ الإسلامية ، باللغة الانجليزية ، وذكرني في مقدمته ، ولا أدري هل طبع كتابه هذا أم لم يطبع .

وأذكر أنني ذاكرته في استعمال كلمة (الأعلى) ولكنه — رحمه الله — لم يقنع برأيي ، واكتفى بأن ابتسم وقال (أنت دقيق الملاحظة ، ومعاني الكلمات نسبية) ولم أريد إحراجة بإطالة الحديث ، مع أنني لم يتضح لي معنى كلامه .

الرياضي : حمد الجاسر

وهما من أسرة تتوارث الشعر.

وكعب هو صاحب قصيدة (بانت سعاد) التي مدح فيها رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فعفا عما سلف من عدايته للإسلام ، وأجازته ببردته .. في قصة معروفة مُستفيضة ..

لهذين الشاعرين ، أعني بُجَيْراً وكعباً أخبارٌ مع زيد الخيل .. وقد تختلف روايات هذه الأخبار ، ولكنها تدلُّ على اتصال أمرهما به ، وتتفق على ما قيل في هذه الأخبار من أشعار .

تقول إحدى الروايات : إنَّ بُجَيْرَ بن زهير ، والحُطَيْثَةَ مع رجل من بني بَدْرِ الفزاريين ، خرجوا يَقْنِصُونَ الوحش ، وهم عَزَلٌ لا سلاح لهم ، فلقبهم زَيْدُ الخَيْل ، بن مهلهل الطائي في عدة ، فأخذهم وخلقى سبيل الحُطَيْثَةَ لفاقته وفقره ، وافتدى بُجَيْرُ نَفْسَهُ بفرس كُمَيْتٍ ، وافتدى البَدْرِيُّ نفسه بمئة من الإبل ^(٢) ، وبلغ الخبر كعباً ، وهو كما مرَّ بنا أخو بُجَيْر ، وكان نازلاً في بني مَلْقَطٍ ، فادَّعى أنَّ الفرس له ، وقال شعراً يُحَرِّضُ بني مَلْقَطٍ ، على أخذ الكُمَيْت من زيد ^(٣) .

وتقول رواية أخرى ^(٤) : إنَّ بُجَيْراً خرج مع غِلْمَةٍ يَحْتَنُونَ جَنَى الأرض ، فانطلق الغِلْمَةُ وتركوا بُجَيْراً ، فرَّبه زيد الخيل فأخذه ، ودارطِيٌّ مُجاورةٌ لدور بني عبد الله بن غطفان ، فسأل الغلام : من أنت ؟ قال : أنا بُجَيْرُ بن زهير ، فحمله على ناقه وأرسل به إلى أبيه ، فلما أتى الغلام أباه أخبره أنَّ زَيْداً أخذه ، ثم خلاه وحمله وكان لكعب بن زهير فرس من جِيَاد خَيْل العرب ، وكان كعب جسيماً ، وكان زيد الخيل من أعظم الناس وأجسمهم ، وكان لا يركب دَابَّةً إِلَّا أَصَابَتْ إِبْهَامُهُ الأرض ، فقال زهير : ما أدري ما أُثِيبُ به زَيْداً إِلَّا فرس كَعْبٍ (أي إنه فرسُ فارهٌ يليقُ بجسامته زيد) فأرسل به إليه ، وكعب غائب ، فلما جاء كعبُ سأل عن الفرس ، فقبل له : قد أرسل به أبوك إلى زيد ، فقال كعب لأبيه : كأنك أردتَ أنَّ تُقَوِّيَ زَيْداً على قِتَالِ غُطَفَانَ ؟ ! فقال له زهير : هذه إليّ فَخُذْ منها عن فرسك ما شِئْتَ ، وكان بين بني زهير ، وبين بني مَلْقَطٍ الطائيين إِيحَاءٌ ، وكان عمرو بن مَلْقَطٍ وفاداً إلى الملوك ، وهو الذي أصاب بني تميم ، مع

عمرو بن هند ، يوم أواره^(٥) ، فسأله فيهم فأطلقهم له ، فقال كعب شعراً ، يريد أن يلقي بين بني ملقط ، وبين رهط زيد الخيل شراً ، فعرف زهير حين سمع الشعر ما أراد به ، وعرف ذلك زيد الخيل ، وبنو ملقط ، فأرسلت إليه بنو ملقط بفرس نحو فرسه ، وكانت عند كعب ، امرأة من غطفان ، لها شرف وحسب ، فقالت له : أما استحييت من أهلك لشرفه وسنّه ، أن تؤبسه^(٦) في هبته عن أخيك .. ولا مته ، وكان قبل ذلك قد نزل بكعب ضيفان ، فنحروهم بكرأ كان لامراته (التي لامته) فقال لها : ما تلوميني إلا لمكان بكرك الذي نحرت لضيوفي ، فلك به بكران ، وكان زهير كثير المال ، وكان كعب مجدوداً . فقال كعب :

ألا بكرت عرسي بليل تلومني وأكثر أحلام النساء إلى الردى
وذكر في قصيدته زيدا ، فقال زهير لابنه ، هجوت رجلاً غير مفهم ، وإنه خليق
أن يظهر عليك ..

فأجابه زيد بقصيدة ...

أما قصيدة كعب ، فقد بدأها يُقرع زوجته على موقفها منه .. حتى إذا فرغ من ذلك ، انطلق يوجه القول إلى بني ملقط ، الذي كان نزيباً لديهم ، يُحرضهم على زيد الخيل وقومه ، وفي هذا المعنى يقول :

فيا راكباً ، إماً عرضت فبلغن بني ملقط عني ، إذا قيل : من عني ؟
فما خلتكم يا قوم ، كنتم اذلة وما خلتكم كنتم لمختلس جني !
لقد كنتم بالسهل والحزن حية اذا لدغت ، لم تشف لدغتها الرقي
فإن تقضبوا .. أو تدركوا لي بدمي لعمركم فمئل سعيكم .. كفى

فإذا بلغ هذه الإثارة .. مضى يقص قصة فرسه مع زيد الخيل :

لقد نال زيد الخيل مال أخيك

وأصبح زيد — بعد فقر — قد اقتنى^(٧)

وان الكميت ، عند زيد ذمامة

وما بالكُميت من خفاء لمن رأى

بين لأفيال الرجال ومثلُهُ

بين، إذا ما قيدَ في الخيل أو جرى^(٨)

ويبدو من جواب زيد الخيل ، انه استهول أن يكون كلُّ هذا الغضب والاثارة ، من أجل جواد عجوز ، لا يقوى على النهوض فضلاً عن الجري ، يُقام له هذا المأتم ، كل عام ، وكأنهم فقدوا عظيماً من رجالهم ، ومن أجله يُحرضون زعماء القبيلة ليغيروا عليه أو على إبله لينهبوها .. وليس الامر بهذا اليسر ، فإن وراءها رجالاً شجعاناً فوارس ، يصيبون المقاتل ، في الأبهر والكلى .. لكني — في واقع الأمر — لا أحبُّ أن أكرر نعمة زهير ، ولا صنيعة ، وإلا .. لسانتُ كعباً طوال عمري . أما قولك يا كعب : قد انبعثت عرسي بليل تلومني .. الخ .. فاعلم ان عطاء الله عليّ كثير .. فأنني أتمولُّ من كل غارة .. فإني شجاع .. أقدمُ إذا أخذت الرعدة الجبناء ..

أفي كل عام ، مأتمٌ تجمعونهُ

على مخير نويتموه وما رضى^(٩)

تُحدون خمشاً ، بعد خمش كأنه

على فاجع من خير قومكم نعى^(١٠)

تُحضضُ (جباراً) عليّ ورهطه

وما صيرمتي فيهم لأول من سعى^(١١)

ترعى بأذناب الشعاب ، ودونها

رجالٌ .. يصدون الظلوم عن الهوى^(١٢)

ويركب ، يوم السروع فيها فوارس

يردون طعنا في الأباهر والكلى^(١٣)

فلولا زهير .. إن أكرر نعمة

لقاذعتُ كعباً ما بقيت وما بقى^(١٤)

قد انبعثت عرسي بليل تلومني

واقربُ أحلام النساء إلى الردى^(١٥)

تَقُولُ : أرى زيدا ، وقد كان مُقْتَرَأً
أراه لعمري قد تَمَوَّلَ واقتنى
وَذَاكَ عَطَاءُ اللَّهِ مِنْ كُلِّ غَارَةٍ
مُشْمَرَةٌ يَوْمًا إِذَا قَلَّصَ الْخُصَى

وهناك رواية ثالثة ؛ تتصل بقصته مع عامر بن الطفيل ، فقد أغار هذا الأخير على بني فزارة ، واستاق نعماً لهم .. فاستعانوا بزيد الخيل ، الذي أدرك عامراً .. فتقاتلا .. واستسلم عامر .. فَجَزَّ زِيدُ نَاصِيَتَهُ (نكالا له) وأخذ رحمه .. وَرَدَّ النَّعَمَ إِلَى بَنِي بَدْرِ الْفَزَارِيِّينَ .

وعندما عاد عامر إلى قومه .. عَزَلُوهُ عَنْ رِثَائِهِمْ ، وجعلوا علقمة بن علاثة رئيساً لهم ، وخرجوا معهم الحطيثة وكعب بن زهير .. وأرسل عامراً إلى زيد الخيل من يُخْبِرُهُ بخروجهم ، فجمع زيد قومه ، وتلاقوا بالمضيق ، فقاتلهم زيد ، فأسر الحطيثة وكعب بن زهير وقوماً منهم ، فحبسهم ، فلما طال عليهم الأمر ، وطلبوا الفداء ، جعل أمرهم إلى عامر بن الطفيل (لِيُرَدَّ لَهُ اعْتِبَارُهُ بَيْنَ قَوْمِهِ) إِلَّا الْحُطَيْثَةَ وَكَعْباً .. فَأَعْطَاهُ كَعْبُ فَرَسَهُ الْكُمَيْتَ .. ولم يكن لدى الحُطَيْثَةِ مَا يَفْدِي بِهِ نَفْسَهُ فَفَرَّكَ زِيدَ .

ومن هذه الرواية نعلم أن كعباً هو نفسه الذي افتدى من الأسر بفرسه الكميت .. ولكن هذه الرواية لا تنسجم كثيراً مع نقمة اللوم والتقريع اللتين تبدوان في قصيدة كعب .. ولو أنه هو الذي افتدى نفسه بفرسه ذاك لما أظهر كُلَّ هذا الجزع واللوم .. وإِنِّي لَأَمِيلُ إِلَى رَوَايَةِ تَصَرُّفِ أَبِيهِ زُهَيْرٍ فِي فِدَائِهِ أَوْ فِدَاءِ أَخِيهِ بُجَيْرٍ ، بِذَلِكَ الْفَرَسِ الْفَارِهِ ، فَقَدْ اخْتَارَ لَزِيدٍ مَا يَجْعَلُهُ يَسْخُو بِفِكَالِ ابْنِهِ . أَيَا كَانَ مِنْهَا .. فَهُوَ يَعْلَمُ أَنَّ زِيداً يُحِبُّ الْخَيْلَ . كَمَا يَعْلَمُ أَنَّهُ جَسِيمٌ طَوِيلٌ ، لَا يَصْلُحُ لَهُ إِلَّا فَرَسٌ فَارِهِ .. فَكَانَ الْكُمَيْتَ ..

مع الحطيثة :

وقصة الحطيثة مع زيد الخيل ، تتلازم مع قصته مع بُجَيْرٍ وَكَعْبِ ابْنِي زُهَيْرٍ أَيْ سُلَمَى عَلَى النَّحْوِ الَّذِي سَبَقَ أَنْ سَرَدْتُهُ .. إِلَّا أَنَّ مَوْقِفَ زِيدِ الْخَيْلِ مِنْهُ مُخْتَلَفٌ ..

فالخطيئة شاعر فقير.. ولا مطمح من ورائه .. إلا الرغبة في شعره ، أو اتقاء لسانه
المُقدِّع .

وقد آثر زيد الخيل ، بحصافته أن يشتري حمده .

ويبدو من الروايات المختلفة ، أن لزيد الخيل أكثر من موقف مع الخطيئة ..
لاختلاف الأشعار بين موقف وآخر ..

تقول إحدى الروايات أن زيدا غزا بني عامر ومن جاورهم من قبائل العرب من
قيس ، فلقى جمعا من غني بن أعصر ، وإخواتهم الحارث وهم الطفاوة ، وانتصر زيد
وجماعته ، وأسر زيد الخيل يومئذ الخطيئة فجز ناصيته وأطلقه^(١٦) .

ولكن بني عامر ، عادوا فخرجوا للقاء زيد الخيل وقومه .. ومعهم الخطيئة .. الذي
أسر أيضا . ولكن زيدا ، يبدو أنه قد تشدد هذه المرة مع الخطيئة .. وطلب أن يفندي
الخطيئة نفسه بشيء .. ولا يغتر بكونه شاعرا .. ولكن الخطيئة لا يملك إلا الشعر .. فكان
هذا الحوار الشعري الطريف .. الذي يقول فيه زيد :

مركز تحقيقات قديم

أقول لعبيدي جَرُولِ إِذْ أَسَرَّتْهُ
أُتْسِنِي وَلَا يَغْرُرْكَ أَنَّكَ شَاعِرُ
أنا الفارسُ الحامي الحقيقة والذي

له المكرمات واللُّهى ، والمآثر^(١٧)
وقومى رؤس الناس ، والرأسُ قائدُ

إِذَا الْحَرْبُ شَبَّهَا الْأَكْفُ الْمَسَاعِرُ
فَلَسْتُ إِذَا مَا الْمَوْتُ حُوذِرُ وَرَدُّهُ

وَأُتْرَعَ حَوْضَاهُ ، وَحَمَّجَ نَاطِرُ^(١٨)
بِوَقَافَةٍ يَخْشَى الْحُتُوفَ تَهِيْباً

يَبَاعِلُنِي عَنْهَا مِنَ الْقُبِّ ضَامِرُ^(١٩)

ولكنني أغشى الختوف بصمدي
مُجَاهِرَةً إِنَّ الْكَرِيمَ يُجَاهِرُ^(٢٠)

وأروي سناني من دماء عزيزة
على أهلها، إذ لا تُرجى الأياصر^(٢١)

فيجيب الخطيئة، مُعرباً عن أسفه، فلا مال لديه، ولكنه يستطيع أن يمتدحه
بشعره.. لتقرير حقيقة مهمة، فإنه لم يأسرهم غدرًا، ولكنه التقى بهم في حرب
سافرة.. كنت فيها بطلاً، تتفاداك الأبطال، كما تتوقى الطيور الوادعة الصقر
المفترس، فلا عجب أن كان النضر حليفك.. وإن كنا أقصد آل بدر لم نجبن.

إلا يكن مالٌ يُثابُّ.. فإنه
سيأتي ثنائي زيدا.. ابن مُهلhel:

فا نلتنا غدرًا.. ولكن صَبَحْنَا
غداة التقينا بالمضيق بأخيل
تفادي كُماة الخيل من وقع رُمحِهِ

تفادي خشاش الطير من وقع أجدل^(٢٢)
وأعطتك منا الودَّ، يوم لقِينَا

ومن آل بدر — وقعة لم تُهلل^(٢٣)

وفيه قال الخطيئة أيضاً:

وَقَعْتَ بِعَبَسٍ، ثُمَّ أَنْعَمْتَ فِيهِمْ
ومن آل بدر قد أصبت الأخابرا
فإن يشكروا، فالشكر أوفى إلى التقي

وإن يكفروا، لا ألف يا زيد — كافرا
تَرَكْتَ المِياه، من تميم بلاقعا

بما قد ترى منهم حلولا كراكرا^(٢٤)

وحيّ سليم قد أثرت شريدهم
ولا تنس ما قُتلت يا زيد عامرا

وكان ان رضي زيد الخيل عن الخطيئة ، وعفى عنه .. سواء جز ناحيته .. كما هو
دأب المتصر .. أو لم يُجزَّها .. وإن لم يكن زيد في حاجة الى أن يَجُزَّ ناصية الخطيئة ..
فما هو من زعماء القوم ولا سادتهم ولا فرسانهم المعدودين حتى يُنكَلَّ به .. ولعل دمامة
الخطيئة ، وما وُصف من قُبْحه لم يكن في حاجة الى المزيد .

والمهم في القصة أن الخطيئة التزم تماماً بذلك الوعد الذي قطعه على نفسه حينما
قال :

فإن يشكروا ، فالشكر أدنى الى التقى
وإن يكفروا — لا ألف يا زيد — كافرا

فقد وعد أن لا يُلقى مُنكراً ليد زيد عليه .. فقد عاد الى قومه ، من إساره ، وهو
يثني على زيد ويشكر نعمته ..

وجاءت وقعة جديدة بين طيء وبين بني بذر ، فطلبت فزارة وافناء قيس الى شعراء
العرب أن يهجو بني لأم وزيدا ، فتحامتهم شعراء العرب ، وامتنعت من هجائهم ،
فصاروا الى الخطيئة ، فأبى عليهم وقال : اطلبوا غيري فقد حقن دمي ، واطلقني بغير
فداء ، فلست بكافر نعمته ابداً ، قالوا : نُعطيك مئة ناقة قال : والله لو جعلتموها ألفاً
ما فعلت ذلك !! وقال :

كيف الهجاء وما تنفكُ صالحة
من آل لأم بظهر الغيب تأتينا
المنعمين أقام العزُّ وسطهم
بيضُ الوجوه ، وفي الهيجا مطاعينا^(٢٥)

مع طفيل الغنوي :

ومما يتصل بقصته مع الخطيئة — أو قصصه معه — حربٌ لِغَنِيٍّ بن أعصر ،
وإخوتهم الحارث ، وهم الطفاوة ، وفي غني فرسان وشعراء ، منهم الشاعر طفيل
الغنوي^(٢٦) الذي كان بينه وبين زيد الخيل سجالٌ شعري .. فقد قال زيد الخيل :

وخبيبة من تُسجِب على غني
وبأهله بن أعصر والكلاب (٢٧)

فلما دارت الدائرة في وقعة تالية ، وانتصروا على طيء في أرضهم ، وغنموا وقتلوا ،
وأدركوا ثأرهم ، فلم يفت طفيل الغنوي أن يرد على أبيات زيد فقال قصيدته :

سمونا بالجِياذ الى أعادِ مغاوره ، يجدُ واعتصاب
نؤمهم على رعب وشحطِ بقودِ بطلغن من النّقاب
ويقول أبو الفرج إنها طويلة ، يقول فيها :

أخذنا بالمخطم من أتاها من السود المزئمة الرغاب (٢٨)
وقتلنا سراتهم جهاراً وجئنا بالسبايا والنّهاب
سبايا طيء أبرزن قسراً وأبدلن القصور من الشعاب
سبايا طيء من كل حي بمن في الفرع منها والنّصاب
وما كانت بناتهم سبياً ولا رغبا يُعد من الرّغاب
ولا كانت دماؤهم وفاء لنا فيما يُعد من العقاب

مع عامر بن الطفيل :

تأتي قصته مع عامر بن الطفيل (٢٩) في قصة صديق زيد الخيل ذؤاب بن عبدالله ،
وهو رجل من طيء ، قوم زيد ، خرج إلى صهر له من هوازن ، وبين طيء وهوازن
وقائع وحروب ، فأصيب ذؤاب ، وهو رجل شريف له رياسة في حيه ، فغضب زيد ،
وركب مع بني نهبان ، ومن تبعه من ولد الغوث وأغار على بني عامر ، وجعل كلما أخذ
أسيراً قال له : ألك علم بالطائي المقتول ؟ فإن قال : نعم قتله . وإن قال : لا . خلى
سبيله ومن عليه .. وأصاب رجلاً .. ثم رجع . فقال له قومه : ما صنعت ؟ قال : ما
أصبتُ بثأر ذؤاب ، ولا يئوؤ به إلا عامر بن مالك مُلأعب الأسيئة . فأما عامر بن
الطفيل بلا يئوؤ به — كأنه يُقلل من شأنه — وقال زيد الخيل في هذه المناسبة :

لا أرى أن بالقتيل، قاتل
عامراً بن يني بقتل ذؤاب
ليس من لأعب الأسيئة في النف
ع وسُمي مُلاعِباً بإراب
عامر ليس عامر بن طفيل
لكن العمر رأس حيّ كلاب
ذاك إن ألفه أنال به الود
ر، وقرت به عُيون الصّحاب
أو يفتني، فقد سبقت بوتر
مذحجي، وجد قومي كئاب
قد تقصّت لضباب رجلاً
وتكرمت من دماء الضباب
وأصبتنا من الوحيد رجلاً
ونفيل فما أساغوا شرابي
فلما بلغت هذه الأبيات، عامر بن الطفيل، وفيها تعريض به، وتقليل لمكانته
غضب وقال يجيبه :

قل لزيد: قد كنت تؤثر بالحد
م إذا سفيهت حلوم الرجال
ليس هذا القتل من سلف الحد
ي، كلاع، ويخصب وكلال (٣٠)
أو بني آكل المُرار، ولا صيد
د بني جفنة الملوك الطوال (٣١)
وابن ماء السماء قد علم الننا
س، ولا خير في مقالة غالي (٣٢)

إِنَّ فِي قَتْلِ عَامِرِ بْنِ طُفَيْلٍ

لَبَوَاءٌ لِسُطَيٍّ الْأَجْبَالِ (٣٣)

إِنِّي، وَالسَّيِّئُ يَجْجُ لَه النَّا

سُ قَلِيلٌ فِي عَامِرٍ أَمْثَالِي

يَوْمَ لَا مَالَ لِلْمَحَارِبِ فِي الْحَرِّ

ب، سَوَى نَضْلٍ أَسْمَرٍ عَسَالِ (٣٤)

وَلِجَامٍ فِي رَأْسٍ أَجْرَدٍ كَالْجَذِّ

ع، طَوَالٍ، وَأَبْيَضٍ قَصَالِ (٣٥)

وَدَلَاصٍ، كَالنُّهْيِ ذَاتِ قُضُولِ

ذَاكَ فِي حَلْبَةِ الْحَوَادِثِ مَالِي (٣٦)

وَلَعَمِي فَضْلُ الرِّيَاسَةِ وَالسَّ

ن، وَجَدُّ عَلَى هَوَازِنِ عَالِي

غَيْرِ أَنِّي أَوْلَى هَوَازِنَ فِي الْحَرِّ

ب، بَضْرِبِ الْمُتَوَجِّعِ الْمُخْتَالِ

وَبِطْعَنِ الْكَمِيِّ فِي حَمْسَةِ النُّقْدِ

ع، عَلَى مَثْنٍ هَيْكَلٍ جَوَّالِ (٣٧)

وكما نرى ، فإنَّ عامر بن الطفيل ، يقول في قصيدته لزيد الخيل : إِنِّي جَدِيرٌ

بِتَحْدِيكَ ، لَوْ فَعَلْتُ ، فَإِنِّي الْكُفُّ الَّذِي أَمْثَالُهُ قَلِيلٌ ، وَلَوْ أَنَّكَ قَتَلْتَنِي فَسَتَظَلُّ طَيِّئٌ

تَدْفَعُ ثَمَنَ هَذِهِ الْفَعْلَةِ دَمًا مُهْرَاقًا .. صحيح أن لعمي عامر بن مالك مكانته .. فهو

صاحب الرياسة في قومه .. وأكبر سنًا .. لكنني أولى منه بالتحدي .. والقصد في

الحرب .. وكأنه يقول : إِنِّي أَكْثَرُ شَجَاعَةً .. وهو بذلك يرد على الأبيات الأولى من

قصيدة زيد (٣٨) .

ويسوق صاحب « الأغاني » قصةً أخرى لزيد مع عامر بن الطفيل ، فيقول : خرج

زيد الخيل يطلب نعماً له من بني بدر ، وأغار عامر بن الطفيل على بني فزارة ، فأخذ

امراً يقال لها هند ، واستأق نعماً لهم ، فقالت بنو بذر لزيد : ما كنّا قطّ الى نَعَمِكَ
أحوج منّا اليوم ، فتبعه زيد الخيل ، وقد مضى عامر.. فأدركه زيد الخيل ، فنظر إلى
عامر فأنكره لعظمه وجماله ، وغشبه زيد ، فبرز له عامر : فقال : يا عامر : خلّ سبيل
الظَّعِينَةِ والنَّعَم . فقال عامر : من أنت ؟ قال : فزاري أنا .. قال : والله ما أنت من
الفلح أفوها ؟ فقال زيد : خلّ عنها . قال : لا أو تخبرني من أنت ؟ قال : أسدي
قال : لا والله ما أنت من المنكورين على ظهور الخيل . قال : خلّ سبيلها . قال : لا
والله . أو تخبرني : فاصدقني : قال : أنا زيد الخيل . قال : صدقت .. فما تريد من
قتالي ، فوالله لن قتلتنني لتطلبنك بنو عامر ، ولتذهبن فزارة بالذكر . فقال له زيد : خلّ
عنها . قال : تخلي عني وأدعك والظَّعِينَةَ والنَّعَم .. قال : فاستأسير : قال : أفعل^(٣٩)
فجزّ ناصيته ، وأخذ رُمحه ، وأخذ هينداً والنعم فردّها الى بني بذر ، وقال في ذلك :

إِنَّا لَنُكْثِرُ فِي قَيْسٍ وَقَائِعَنَا

وعامرُ بن طُفَيْلٍ ، قد نحوت له

صَدْرَ الْقِنَاةِ بِمَا ضَى الْحَدَّ مُطْرِدٌ^(٤٠)

لَمَّا أَحَسَّ بِأَنَّ الْوَرْدَ مُذْرِكُهُ

وصارماً ، وربيط الجأشِ ذا لَبْدٍ^(٤١)

نادى إليّ بسلم بعدما أخذت

منه المنيّة ، بالحيزوم واللُّغْد^(٤٢)

ولو تصبّر لي حتى أخالطه

أسعرته طعنة كالنار بالزّند

قال : فانطلق عامر الى قومه مجزوراً .. وأخبرهم الخبر .. وغضبوا لذلك وقالوا : لا
ترأسنا أبداً .. وتجهزوا ليغيروا على طيء ، ورأسوا عليهم ، علقمة بن علاثة .. فخرجوا
ومعهم الحطيئة وكعب بن زهير فبعث عامر الى زيد الخيل ، دسيساً يئذره ، فجمع زيد
قومه ، فلقّيتهم بالمضيّق ، فقاتلهم ، فأسر الحطيئة وكعب بن زهير ، وقوماً منهم ،
فحبسهم .. فلمّا طال عليهم الأسر ، قالوا : يا زيد فأدنا .. قال : الأمر الى عامر بن

الطفيل (يريد أن يردَّ اعتباره كما نُعبر اليوم) فأبوا ذلك عليه ، فوهبهم لعامر .. إلا الحطيئة وكعبا .. فأعطاه كعب فرسه الكُمَيْتَ ، وشكا اليه الحطيئة الحاجة فَمَنَّ عليه .

وهكذا نعلم أن العلاقات التي كانت مُتَوَتِّرةً بين الرجلين البطلين : زيد ، وعامر بن الطفيل عادت الى الهدنة .. والصفاء .. ولكن يبدو أن ذلك الى حين .. فقد كان زيد الخيل ، إلى يوم وفاته يخشى ثارات قيس .. ويطلب من أصحابه أن يُجَنِّبُوهُ ديار قيس ، عند قُفُولِهِ الى دياره ، بعد وفادته على رسول الله صلى الله عليه وسلم ..

مع الحارث بن ظالم :

وهذا مُعاصر آخر شهير من معاصري زيد الخيل .. هو الحارث بن ظالم المُرِّيُّ (توفي نحو ٦٠٠ م) ، وهو أبو ليلى ، أشهرُ قتاك العرب كثير الحوادث ، تتحامي أحياء العرب شرَّه ، وكان سبباً في نشوب معارك كثيرة^(٤٣) .

يخبرنا صاحب «الأغاني» في ترجمة زيد ، أنه لما بلغه ما كان من الحارث بن ظالم ، وعَمَرُو بن الإطنابة الخزرجي^(٤٤) ، وهجائه إياه ، غضب ، فأغار على بني مرة بن غطفان ، فأسر الحارث بن ظالم ، وامرأته في غارته ، ثم منَّ عليهما وقال يذكر ذلك :

ألا.. هل أتى غوثاً ورؤماناً أننا

صَبَحْنَا بني ذُبْيَانَ إحدى العظام
وسُقْنَا نِسَاءَ الْحَيِّ مُرَّةً ، بِالقَنَا

وبالخيـل تُرْدِي قد حَوَيْنَا ابنَ ظالم^(٤٥)
جَنَبْنَا لأَعْضَادِ النَّوَاجِي يَقْدُنُهُ

على تَعَبٍ .. بين النّوَاجِي الرواسم^(٤٦)
يقول: اقبلوا مِنِّي الفِداء وأنعموا

عليّ ، وَجُزُونِي مكان السقوادم^(٤٧)
وَقَدْ مَسَّ حَدُّ الرُّمَحِ قَوَارَةً (...)

فصارت كَشِدْقِ الأعلم المتضاجم^(٤٨)

وسائل بنا جار ابن عوف فقد رأى
 حَلِيلَتُهُ جَالَتْ عَلَيْهَا مَقَاسِمِي
 تُلَاعِبُ وَحْدَانِ الْعُضَارِيطَ بَعْدَنَا
 جَلَاها بِسَهْمِيهِ لَقِيطُ بْنُ حَازِمٍ^(٤٩)
 أَغْرَكَ أَنْ قِيلَ ، ابْنِ عَوْفٍ وَلَا أَرَى
 عَزِيمَكَ إِلَّا وَاهِيًا فِي الْعِزَامِ
 غَدَاةَ سَبِينَا مِنْ خَفَاجَةِ سَبِيهَا
 وَمَرَّتْ لَهُمْ مَنَا نُحُوسُ الْأَشَامِ
 فَمَنْ مُبْلَغٌ عَنَى الْخَزَارِجَ غَارَةً
 عَلَى حَيٍّ عَوْفٍ ، مُوجِفًا غَيْرَ نَائِمٍ^(٥٠)

مع حاتم الطائي :

وعاصر زيد الخيل ، حاتمًا الطائي ، الذي يضرب به المثل في الكرم ، فنجدته يذكره
 في أبياتٍ ثلاثة ، مُعَبِّرًا إِيَّاهُ ، لِأَنَّهُ خَرَجَ ، مِنْ طِيٍّ ، يَوْمَ حَرْبِ الْفَسَادِ إِلَى بَنِي بَدْرٍ :
 وَفَرَّ مِنَ الْحَرْبِ الْعَوَانِ وَلَمْ يَكُنْ
 بِهَا — حَاتِمٌ — طَبًّا وَلَا مُتَطَبِّبًا
 وَرَبَّ حِصْنًا ، بَعْدَ أَنْ كَانَ أَبِيًا
 أَبْوَةً حِصْنٍ ، فَاسْتَفَالَ وَاعْتَبَا
 أَقِمَ فِي بَنِي بَدْرٍ وَلَا مَا يَهُمُّنَا
 إِذَا مَا تَقَضَّتْ حَرْبُنَا أَنْ تُطَرَّبَا^(٥١)

ويأتي اسم زيد الخيل في سياق قصة خطبة ماوية بنت حجر بن النعمان ، التي كانت
 تقيم في دمشق ، وكان يتنافس على خطبتها زعماء العرب ومشاهير رجالهم ، وقد وردت
 القصة موجزة في تهذيب تاريخ ابن عساكر ، في ترجمة أوس بن حارثة الطائي ، واقتُرِنَ
 اسم زيد الخيل فيها بحاتم الطائي ، بالإضافة إلى أوس ، فقد جاء ثلاثتهم يخطبونها ..

فَسَأَلَتْ عَنْ أَكْبَرِهِمْ ، ثُمَّ مِنْ يَلِيهِ فَمِنْ يَلِيهِ ، فَكَانَ أَوْسُ أَكْبَرِهِمْ ، وَيَلِيهِ زَيْدٌ ، ثُمَّ حَاتِمٌ (٥٢)

وقد تختلف الروايات في قصة ماوية ، وهل أبوها حُجْرٌ أَوْ عَفْزُرٌ ، فَإِنَّ كُلَّ ذَلِكَ محله تاريخ حاتم لا زيد .. ويكفي من هذه القصة ، أن نعرف — في حالة صحة ما أوردته منها — أَنَّ زَيْدًا كَانَ يَعْاصِرُ حَاتِمًا ، وَإِنْ كَانَ حَاتِمٌ أَصْفَرَ سِنًا مِنْهُ (٥٣) ..

ونجد في خبر وفادة زيد على مدينة الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم ، أنه في محاورة مع عمر بن الخطاب رضي الله عنه ، يَصِفُ حَاتِمًا ، فيقول : الجواد بلا مُجَارٍ ، والسمح بلا مُبَارٍ ، والليثُ الضرغامة ، قِرَاعُ كُلِّ هَامَةٍ ، جوده في الناس علامة (٥٤) : وفي رواية أخرى يقول له عمر بن الخطاب : — يا زيد .. ما أظنُّ في طيء أفضل منك قال :

— بلى والله :: إِنَّ فِينَا حَاتِمًا ، الْقَارِي لِلْأَضْيَافِ ، وَالطَّوِيلُ الْعَفَافُ (٥٥) .

مع قيس بن عاصم والمكشر العجلي :

ومما جاء في معاركه ، أنه حيناً وَقَعَتْ حَرْبٌ بَيْنَ أَخْلَاطٍ مِنْ طِيٍّ ، خَرَجَ عَنْ قَوْمِهِ مُغْضَبًا ، وَجَاوَرِ بَنِي تَمِيمٍ ، نَازِلًا لَدَى قَيْسِ بْنِ عَاصِمٍ .. وَحِينَئِذٍ التَحَمَّتْ بَنُو تَمِيمٍ مَعَ بَكْرِ بْنِ وَائِلٍ فِي مَعْرَكَةٍ ، وَعَلَى رَأْسِ تَمِيمٍ قَيْسُ بْنُ عَاصِمٍ ، وَقَفَ زَيْدٌ مَعَ صَدِيقِهِ قَيْسٍ ، وَانْتَصَرَتْ تَمِيمٌ ، وَكَانَ لَاشْتِرَاكَ زَيْدٍ دَوْرًا فِي النِّصْرِ ، فَلَمَّا رَجَعَ قَيْسٌ بِالْغَنَائِمِ ، تَطَلَّعَ زَيْدٌ إِلَى نَصِيهِ مِنْهَا وَلَكِنْ قَيْسًا تَجَاهَلَ الْأَمْرَ .. فَغَضِبَ زَيْدٌ وَقَالَ :

أَلَا هَلْ أَتَاهَا ، وَالْأَحَادِيثُ جَمَّةٌ
مُغْلَقَلَةٌ ، أَنْبَاءُ جَيْشِ اللَّهَازِمِ
فَلَسْتُ بِوَقَافٍ إِذَا السَّخِيلُ أَحْجَمَتْ
وَلَسْتُ بِكَذَّابٍ كَقَيْسِ بْنِ عَاصِمٍ
تُخْبِرُ مَنْ لَاقَيْتَ أَنْ قَدْ هَزَمْتَهُمْ
وَلَمْ تَذَرِ ، مَا سِيَاهُهُمُ وَالْعَمَائِمُ



مرکز تحقیقات کامپیوتر علوم اسلامی



مرکز تحقیقات کامپیوتر علوم اسلامی

- (١) أنظر «العرب» س ٤٩٧/١٢ وس ٢١٤/١٣ وس ١٤٢/١٤ .
- (٢) قرر (مجمع اللغة العربية) كتابة كلمة (مئة) دون ألف لثلاث تشبه بكلمة (مائة) وأمثالها (العرب) .
- (٣) القصة في «الأغاني» ترجمة زيد .
- (٤) هذه الرواية في ذيل الأمالي والنوادر ص ٢٣ ، ٢٤ .
- (٥) أواره آكام بقرب مدينة الكويت ، انظر قسم المنطقة الشرقية من «المعجم الجغرافي للبلاد العربية السعودية» ويسمى الآن (وارة) على طريقة العامة في حذف الهمزة (العرب) .
- (٦) أي تحقره .
- (٧) من الواضح ان كعبا لا يعني ما يقول ، وإلا كيف يرمي زيد الخليل بالفقر ، ويعبره أنه لاجتيازه الكعب قد اقتنى ، بينما هو يناديه في صدر البيت بزيد الخليل .. وهو لقبه الذي أطلق عليه لكثرة خيله ، أو لعنايته بطرادها وتضميرها .. وهذا يعني على أي حال ، أنه فيها غير فقير ..
- (٨) أقبال الرجال ، أي البسطاء ، الذين لا يحتاجون إلى ذكاء كبير ليدركوا أن الكعب هو فرس كعب ، سواء أكان مقيداً ، أو راکضاً نص الأبيات من ديوان كعب .
- (٩) الحمير : الفرس الهجين الذي يشبه الحمار في جريه ، نويتموه : استنهضتموه . رضى : بالالف اللينة والأصل الياء ، ولكن لغة طيء ، إذا كانت الياء متحركة جعلوها ألفاً .
- (١٠) تجدون خمساً : أي تخمشون وجوهكم أو تلطمونها كأنكم فقدتم (فاجعاً) أي رجلاً عظيماً يفجكمم فقده .
- (١١) تخفض : تخض : تخرض (جباراً) اسم رجل ، رهطه : قومه أو جماعته ، والصرمة : المثة من الإبل ..
- (١٢) هذه الإبل ترمى بأطراف الجبال ، وتخلفها رجال يحمونها ..
- (١٣) الأباهر . جمه أبهر .. والكلى : جمع كلبة . وموضعها مقتلان .
- الشرح مأخوذ من ديواني كعب وزيد الخليل .
- (١٤) المقصود بزهير هنا هو زهير بن أبي سلمى والد كعب . ويبدو أن زيداً يحتفظ له بعلاقات جيدة معه .
- (١٥) كأنه أورد قول كعب ليرد عليه أو يسخر منه . ويلاحظ أن البيت الثاني يختلف صياغة ومعنى ، عن بيت كعب .. وكأنه بمهد به ليقول : إن غناه ليس لاقتنائه فرساً عجوزاً .. وإنما هو غني قبل ذلك لكثرة غاراته واحتيازه الكثير من المال من هذه الغارات . وهو ما يوضحه البيت الأخير .
- (١٦) «الأغاني» ترجمة زيد الخليل .
- (١٧) اللهى : الأموال ، أو العطايا ، أو أفضل العطايا .. يراجع «لسان العرب» .
- (١٨) التخميج : تحديد النظر ، أو النظر بشدة .. يراجع «لسان العرب» .
- (١٩) القب من الخليل جمع أقب .. وهو الضامر ، والمعنى لست بالجبان المحجم عن الموت ، ساعة الحرب ، فأفقس ما يبعدني عنها ، فراراً على فرس ضامر . سريع العدو .
- (٢٠) الصعدة : نوع من الرماح مستقيمة .
- (٢١) الأياصر : الأواصر : (الديوان ص ٥٦) .
- (٢٢) الكبابة : الفرسان المدججون بالسلاح .. وخشاش الطير : أي الطير التي لا تصيد . الأجدل : الصقر .
- (٢٣) التهليل هنا التكوؤ والفرار ، قال كعب بن زهير :
لا يقع الطعن إلا في نُحُورهم وما لهم عن حياض الموت تهليل

يراجع «لسان العرب». فلعل الخطيئة يريد أن يقول: إنها وقفة حاسمة لا تراجع فيها ولا تكوص.
وهذا البيت الأخير لم يورده صاحب «الأغاني» وهو من ديوان الخطيئة.

(٢٤) الحلول: الذين يحلون أي المقيمون حول هذه المياه والكراكر: الجماعات. أي تركت المياه التي تحلها جماعات تتم بلاقعا منهم، أي خالية... وللخطيئة نفسه يمدح بشر بن قُرط:
تَصُدُّ مَنَّاكِبَ الأعداء عنه كَرَائِرُ من أي بكرٍ حلول
ديوان الخطيئة ص ٢٨ و ٨٣.

(٢٥) النص من «الأغاني» ترجمة زيد، والمقصود بشعراء العرب — أي شعراء القبائل الموالية.
وفي «ديوان الخطيئة» ص ٨٥ و ٨٦ رواية أخرى تدل على أن الممدوح أوس بن حارثة الطائي، أو ابنه زيد الخيل بن أوس بن حارثة الطائي، وهو من بني لأم.. كما تختلف رواية الأبيات.. ومهما يكن الأمر فإن الخطيئة قد امتنع عن هجاء طي.

(٢٦) طفيل بن عوف بن كعب، من بني غني، من قيس عيلان، شاعر جاهلي فحل، من الشجعان، وهو أوصف العرب للخيل، ورثا سمي (طفيل الخيل) لكثرة وصفه لها، ويسمى أيضاً المحبر، لتحسينه شعره توفي نحو ١٣ ق هـ. كان معاوية يقول: خلّوا لي طفيلاً، وقولوا ما شئت في غيره من الشعراء. «الأعلام».
(٢٧) لعله يقصد أن يقول: يا خيبة من يُغيّر على غني وباهلة، وهما ابنا أعصر (أخوان).. فإنه لا يجد لديهم فداء. والقطعة في بيتين أوردهما صانع الديوان هكذا:

فخيبة من يُغيّر على غني وباهلة بن أعصر والركاب
وأدى القنم من أدى قشيراً ومن كانت له أسرى كلاب
(٢٨) المخطم: السيف الحاد.

(٢٩) هو أبو علي، فهذه كنيته وإن لم يكن له ولد، فقد كان عقيماً، عمه عامر بن مالك. توفي في السنة العاشرة أو الحادية عشرة من الهجرة، وقد على النبي يزيد الفدريه ولم يسلم، فقد مات بالطاعون في طريقه إلى بلده، كان من قتاك العرب وسادتهم، وهو من بني عامر بن صعصعة، له ديوان شعر مطبوع. يراجع «الأعلام»، ومقدمة ديوانه طبعة دار صادر ودار بيروت.

(٣٠) أي ليس هذا القتل، الذي غضبت لأجله كل هذا الغضب، من سلالة الملوك الحميرين: ذي الكلاع ويحصب وعبد كلال.

(٣١) ولا هو من ملوك كندة من بني آكل المرار، جدّ امرئ القيس الكندي الشاعر، ولا من بني جفنة: أي الملوك الفساسنة.

(٣٢) ولا هو أيضاً من ملوك الحيرة: من آل ابن ماء السماء.

(٣٣) أي إذا أردت أن تقتلني، فتبوء بالجريرة طيء كلها.. أي سنتقم قبيلتي منها.. وكأنه يشير إلى أنه يعدل قبيلته كلها. ويؤكد هذا بالأسباب التالية التي يُعدّد فيها مفاخره ومآثره.

(٣٤) يريد بالأمر العسال: الرمح، الذي يشتهر باستعماله في الحروب.

(٣٥) يريد بالأجرد الطويل، الفرس الأصيل، كما يريد بالأبيض الفصّال أو الصقال: السيف.

(٣٦) الدلاص: الدرع المساء اللينة، والنهي: الغدير، أي درع تلمع كمياه الغدير.

(٣٧) الكمي: المحارب المستعدّ بسلاحه. حمس النفع اشتداد المعركة. هيكل — أي جواد فاره. جوال: أي كثير الجولان والحركة. مُدْرَب على الممارك.

- (٣٨) . القصة من «الأغاني» ترجمة زيد الخيل ، مع الاستعانة بديوان عامر بن الطفيل وشرحه .
- (٣٩) لا أظن أن فارساً شجاعاً مثل عامر بن الطفيل ليستأسر بهذه السهولة دونما حرب ولا نزال .. المصدر :
- «الأغاني» ترجمة زيد الخيل .
- (٤٠) نَحَوْتُ له : وَجَّهْتُ إليه ، ويقصد بقوله ماضي الخد مطرد — السنان الحاذق النافذ ، وهذا يُؤيِّدُ أنَّهُمَا تنازلا ..
- (٤١) الورد : أحد أفراس زيد المسماة المشهورة ولعلَّه يقصد نفسه بقوله : رَبِيطَ الْجَأْشَ ذَا كُبْدٍ ..
- (٤٢) أي نادى يستأسر بعد أن أحسَّ أن المنيَّة وصلت إلى الحيزوم واللغد . والحيزوم : موضع الحزام واللغة .. ما بين الحنك والعنق . أي أن الموت وصل إلى المقاتل أماكن الطعن .
- (٤٣) «الاعلام» للزركلي ترجمته ، و«بلوغ الأرب» للألوسي . فقد تحدث عنه في أوفياء العرب ج ٢ ص ١٣٣ طبعة دار الكتاب العربي ، وسرد صاحب «الأغاني» طرفاً من أخباره عند ذكر مقتل خالد بن جعفر بن كلاب ص ٩٤ من ج ١١ طبعة دار الكتب ، وبعده خبر ابن الإطنابة .
- (٤٤) شاعر جاهلي فارس ، والإطنابة أمه ، كانت إقامة بالمدينة وهو صاحب الأبيات المشهورة :
أَبَتْ لِي عِفَّتِي وَأَبَى إِبَائِي وَأَخَذِي الْحَمْدَ بِالْثَمَنِ الرَّيِّحِ
«الاعلام» ترجمته في (عمرو بن عامر) .
- (٤٥) يقول : سقنا نساء الحي من مرة ، بالقنا (الرماح) وبالحيل تردى (ردى الفرس إذا رجم الأرض رجماً بين العدو والمشي الشديد) . وابن ظالم هو الحارث وبنو مرة قومه .
- (٤٦) الجنب : الذي يقاد يجنب الركائب إذلاً له . كأنه في عداد النواحي الرواسم ، أي النوق الموسومة ..
- (٤٧) أي قيل أن تجز ناصيته ، أي شعر مقدمة رأسه ، وذلك عندهم سبة ، وعلاقة الهزيمة ، والمقصود بالقوادم : النواصي .
- (٤٨) الأعلم : المشقوق الشفة العليا ، ويطلق على الجميل ، والمتضاجم الذي مال شذقه ، وهو في هذا يشبه الجرح الذي أصابه الرمح .
- (٤٩) المضاريط : يراد بهم الخدم والاتباع ..
- (٥٠) الوجيف : سرعة السير ، والايحاف : السير إلى الحرب قال تعالى (فما أوجفتهم عليه من خيل ولا ركاب) والخزارج : الخزرج : قوم عمرو بن الإطنابة .
- الخبر والشعر من «الأغاني» ج ١٧ ص ٢٦١ طبعة دار الكتب .
- (٥١) النص من كتاب «الحيوان» ص ٣٢٩ ج ١ ، والأبيات مثبتة في ديوانه .
- (٥٢) الجزء ٣ ص ١٥٧ من تهذيب ابن عساكر طبع مطبعة روضة الشام سنة ١٣٣١ هـ .
- (٥٣) لمعرفة المزيد من أخبار راحم وماوية ، يراجع ديوان حاتم ، صنعة يحيى بن مدرك الطائي ، رواية هشام بن الكلبي تحقيق د . عادل سليمان جال ص ١١ وص ٣٣٢ وما بعدها و٣٣٥ وما بعدها .
- (٥٤) «الأغاني» ص ٩٦ ج ١٦ ترجمة زيد .
- (٥٥) «تهذيب ابن عساكر» : ترجمة زيد .
- (٥٦) القسم بغير الله لا يجوز ولكن الرجل قال هذا قبل أن يُسَلِّمَ ، والإسلام يَجِبُ ما قبله .
- (٥٧) ياقوت في معجم البلدان مادة (موقق) .
- (٥٨) الأبيات من الديوان

نساء في القمة

— ٥ —

امراة تقتل زوجها غضباً للمسلمين :

ما أشدَّ البلوى التي نزلت ببلاد الشام أيام الصليبيين ، وما أعظم الدمار والخراب الذي لحق بمدنها وقراها ، لا من الصليبيين الغزاة الذين أرسلهم الله تعالى نقمة على البلاد والعباد ، بل ومن أبناء البلاد المفسدين أيضاً .

حدثت في الحلقة السابقة عن مالك بن سالم العقيلي صاحب قلعة (جعر) الذي كان يقطع الطريق على المسافرين بين الموصل وحلب ، والذي مشى مع رجاله اللصوص والحرامية تحت لواء الصليبيين لحصار مدينة حلب ، طمعاً في مال قد يناله بالنهب والسلب ، إذا غلب المسلمون هناك ، واحتلت مدينتهم ، وفي هذه الحلقة سأحدثك عن لص كبير آخر كان أميراً على مدينة (حمص) ، فجمع حوله كثيراً من الحرامية الذين يقطعون الطريق بين دمشق وحلب ، وفي تلك الجهات كلها ، فلما اشتدت البلوى منه ، وازدادت الشكوى من أذى عصابته ، قصده جيش العباسيين فاحتل مدينة حمص ، وطرده من هناك ، فلجأ إلى الفاطميين في مصر مدعياً أنه من أتباعهم ، طمعاً في ولاية

→ (٥٩) الأبيات من الديوان ص ٦٢ و ٦٣ . والمعنى : أن ابنا لشيء ، ذكرنا بسوء ، وحض على قتالنا أعداءنا عامراً (من قيس) ، ولكننا سنحشد لهم ألفاً ، أو تزيد .. إنني لا أخشى الحاجة والفقر ، ما بقي على الأرض قيسي يسوق أباعره .. لأننا سنستولي عليها ، فإن في بلادنا حول فردة وعناصر وكتلة ، حياكرا كرا أي غنياً بالخييل ، غلاً الجوفي موق ، بالرماح الخطبة والخوافر (الخييل) . وفردة سبق الكلام عليها ، وهي الموضع الذي مات به زيد الخيل ، في بلاد طيء ، أما عناصر فيقول عنها الشيخ حمد الجاسر في المعجم الجغرافي (شمال المملكة) ، إنها بضم العين وهو موضع : (يظهر أنه قرب فردة ، وكذلك كتلة موضع يقول عنه : (يظهر أنه بقرب فردة غرب موق) . أما موق ، فقد جاء في الديوان مصحفاً إلى موق بالفاء الموحدة وقال صانع الديوان إنه من بلاد عامر . والصحيح أنه بقافين . ضبطها صاحب المعجم الجغرافي (شمال المملكة) بالميم المفتوحة والواو الساكنة ، مع فتح القاف الأولى ، وقال إنها تقع في سفح أجا من الناحية الغربية غرب قفار ، وتبعد عن حائل ٧٥ كيلاً غرباً . أما شمجي ، فهو شمجي بن جرّم من طيء .

(٦٠) مجلة العرب ج ٧ و ٨ محرم وصفر ١٣٩٥ هـ السنة التاسعة ، وفيه بيان مصادره .

(٦١) نفس المصدر ويراجع معجم البلدان مادة (موق) .

نساء في القمة

— ٥ —

امراة تقتل زوجها غضباً للمسلمين :

ما أشدَّ البلوى التي نزلت ببلاد الشام أيام الصليبيين ، وما أعظم الدمار والخراب الذي لحق بمدنها وقراها ، لا من الصليبيين الغزاة الذين أرسلهم الله تعالى نقمة على البلاد والعباد ، بل ومن أبناء البلاد المفسدين أيضاً .

حدثت في الحلقة السابقة عن مالك بن سالم العقيلي صاحب قلعة (جعر) الذي كان يقطع الطريق على المسافرين بين الموصل وحلب ، والذي مشى مع رجاله اللصوص والحرامية تحت لواء الصليبيين لحصار مدينة حلب ، طمعاً في مال قد يناله بالنهب والسلب ، إذا غلب المسلمون هناك ، واحتلت مدينتهم ، وفي هذه الحلقة سأحدثك عن لص كبير آخر كان أميراً على مدينة (حمص) ، فجمع حوله كثيراً من الحرامية الذين يقطعون الطريق بين دمشق وحلب ، وفي تلك الجهات كلها ، فلما اشتدت البلوى منه ، وازدادت الشكوى من أذى عصابته ، قصده جيش العباسيين فاحتل مدينة حمص ، وطرده من هناك ، فلجأ إلى الفاطميين في مصر مدعياً أنه من أتباعهم ، طمعاً في ولاية

→ (٥٩) الأبيات من الديوان ص ٦٢ و ٦٣ . والمعنى : أن ابنا لشيء ، ذكرنا بسوء ، وحض على قتالنا أعداءنا عامراً (من قيس) ، ولكننا سنحشد لهم ألفاً ، أو تزيد .. إنني لا أخشى الحاجة والفقر ، ما بقي على الأرض قيسي يسوق أباعره .. لأننا سنستولي عليها ، فإن في بلادنا حول فردة وعناصر وكثلة ، حياكرا كرا أي غنياً بالخييل ، غلاً الجوفي موق ، بالرماح الخطبة والخوافر (الخييل) . وفردة سبق الكلام عليها ، وهي الموضع الذي مات به زيد الخيل ، في بلاد طيء ، أما عناصر فيقول عنها الشيخ حمد الجاسر في المعجم الجغرافي (شمال المملكة) ، إنها بضم العين وهو موضع : (يظهر أنه قرب فردة ، وكذلك كثلة موضع يقول عنه : (يظهر أنه بقرب فردة غرب موق) . أما موق ، فقد جاء في الديوان مصحفاً إلى موق بالفاء الموحدة وقال صانع الديوان إنه من بلاد عامر . والصحيح أنه بقافين . ضبطها صاحب المعجم الجغرافي (شمال المملكة) بالميم المفتوحة والواو الساكنة ، مع فتح القاف الأولى ، وقال إنها تقع في سفح أجا من الناحية الغربية غرب قفار ، وتبعد عن حائل ٧٥ كيلاً غرباً . أما شمجي ، فهو شمجي بن جرم من طيء .

(٦٠) مجلة العرب ج ٧ و ٨ محرم وصفر ١٣٩٥ هـ السنة التاسعة ، وفيه بيان مصادره .

(٦١) نفس المصدر ويراجع معجم البلدان مادة (موق) .

جديدة ، ينالها عن طريقهم ، وتم له ما أراد فقد أعاده الفاطميون إلى الشام ، والياً على حصن . « أفامية » الذي كان لهم ، وهذا الحصن قريب من حمص ، فلما دخل هذا اللص واسمه (خلف بن ملاعب الكلائي) الحصن واستقر فيه عاد سيرته الأولى ، في قطع الطريق ، واجتمع عليه المفسدون فعظم الضرر به ، فاحتال بعض المسلمين حتى دخلوا حصنه ، ولما تمكنوا منه قتلوه وأراحوا البلاد منه ، ولكن أحد أبنائه قاد الفِرَنجَة إلى هذا الحصن فملكوه سنة تسع وأربعين وأربع مئة ولم يسترده المسلمون إلا في سنة خمس وأربعين وخمسن مئة ، لما طرد (نور الدين زنكي) الصليبيين منه .

وفي القصة التالية ما يدل على مقدار ما أصاب المسلمين من أحد أتباعه الذي لقي المسلمون من شره كثيراً ، حتى قامت زوجته بقتله ، غضباً للإسلام والمسلمين ، وقد روى أسامة بن مَنَقْدٍ قصة هذه المرأة الفاضلة في كتابه « الاعتبار » فقال :

وما يُنكر للنساء الكرام الأنفة والنخوة والإصابة في الرأي .

وشاهدتُ من نَخَوَاتِ النِّسَاءِ عَجَباً ، وهو أن رجلاً من أصحاب (خلف بن ملاعب) يقال له (علي بن أبي الرِّيداء) كان الله قد رزقه من النِّظَرِ ما رزق (زرقاء اليمامة) فكان ينهض مع ابنِ مُلَاعِبِ أمير حمص يُبَصِّرُ القوافل على مسيرة يوم كامل .

ولقد حدثني رجلٌ من رفاقه يقال له (سالم العجازي) انتقل إلى خدمة والدي بقلعة (شيزر) بعدما قتل (خلف بن ملاعب) قال سالم هذا : نهضنا يوماً ، وأرسلنا علياً بن أبي الرِّيداء بِكُرَّةٍ يُدَيِّبُ لَنَا ، فجاءنا وقال : أبشروا بالغنيمة ، هذه قافلة كثيرة مقبلة ، فنظرنا ما رأينا شيئاً ، فقلنا : ما نرى قافلة ولا غيرها ، قال : والله إني لأرى القافلة وقدَّامها فرسان ، يَنْفِضَانِ مَعَارِفَهُمَا ، فَأَقَمْنَا فِي الكمين إلى العصر ، فوصلتنا القافلة والفرسان قُدَّامَهَا ، فخرجنا أخذنا القافلة .

وحدثني سالم العجازي ، قال : نهضنا يوماً وصعد علي بن أبي الرِّيداء يراقب لنا ، فنام ، وما درى إلا وقد أخذه تركيٌّ من سرية أتراك ، وقالوا : أي شيء أنت ؟ قال : أنا رجل صعلوك قد أكرمتُ جملي لرجل من التُّجَّارِ في القافلة ، عَاهِدُونِي أَنْكُمْ تُعْطُونِي جملي ، حتَّى أدُلُّكُمْ على القافلة ، فأعطاه مُقَدِّمُهُمْ يَدَهُ بذلك ، فشى بين أيديهم إلى

الدرس النحوي

منذ الدولة الفاطمية حتى أوائل العهد الحديث

موجز البحث :

كثر الحديث عند الباحثين عن المدارس النحوية في مختلف العصور بدءاً بالمدسة البصرية وانتهاء بما سمي المدرسة المصرية ، وأنكر فريق منهم وجود هذه المدارس من الأساس ، وقال بوجودها كاملة فريق غيرهم ، وتوسط بينهما قائلون ببعضها منكرون لبعضها الآخر ، ولم يكن من شأني في هذه العجالة أن أخوض في هذا البحث الدقيق الذي كثر القول فيه حتى لم تعد هناك زيادة لمستريد ، فأثرت لذلك أن أشرع في عرض

→ أن أوصلهم إلينا في الكمين ، فخرجنا عليهم وأخذناهم وتعلق هو بالذي كان بين يديه أخذ فرسه وعدته ، وغنمنا منهم غنيمة حسنة .

فلما قتل خلف بن ملاعب الكلاي ، انتقل علي بن أبي الريداء إلى خدمة (توفيل) الإفنجي ، أحد شياطين الصليبيين ، وصاحب حصن (كفرطاب) ، فكان ينهض ابن أبي الريداء بالفرنج إلى المسلمين يُعينهم ، ويبالغ في أذى المسلمين ، وأخذ ما لهم ، وسفك دماهم ، حتى قطع سبل المسافرين ، وله امرأة معه بكفرطاب ، تُنكر عليه فعله ، وتنهاه فلا ينتهي ، فأرسلت إلى أحد أقربائها — وأظنه أخاها — فلما حضر أخفته في البيت إلى الليل ، واجتمعت هي وهو على زوجها قتلاه واحتملا بجميع مالها ، وأصبحت عندنا بحصن (شيزر) ، وقالت : غضبت للمسلمين مما كان يفعل بهم هذا الكافر .

وأراجحت هذه المرأة الفاضلة من هذا الشيطان ، ورعينا لها ما فعلت وكانت عندنا في (شيزر) في الكرامة والاحترام .

الكويت : محمد علي العبد

الدرس النحوي

منذ الدولة الفاطمية حتى أوائل العهد الحديث

موجز البحث :

كثر الحديث عند الباحثين عن المدارس النحوية في مختلف العصور بدءاً بالمدسة البصرية وانتهاء بما سمي المدرسة المصرية ، وأنكر فريق منهم وجود هذه المدارس من الأساس ، وقال بوجودها كاملة فريق غيرهم ، وتوسط بينهما قائلون ببعضها منكرون لبعضها الآخر ، ولم يكن من شأني في هذه العجالة أن أخوض في هذا البحث الدقيق الذي كثر القول فيه حتى لم تعد هناك زيادة لمستريد ، فأثرت لذلك أن أشرع في عرض

→ أن أوصلهم إلينا في الكمين ، فخرجنا عليهم وأخذناهم وتعلق هو بالذي كان بين يديه أخذ فرسه وعدته ، وغنمنا منهم غنيمة حسنة .

فلما قتل خلف بن ملاعب الكلاي ، انتقل علي بن أبي الريداء إلى خدمة (توفيل) الإفنجي ، أحد شياطين الصليبيين ، وصاحب حصن (كفرطاب) ، فكان ينهض ابن أبي الريداء بالفرنج إلى المسلمين يُعينهم ، ويبالغ في أذى المسلمين ، وأخذ ما لهم ، وسفك دماهم ، حتى قطع سبل المسافرين ، وله امرأة معه بكفرطاب ، تُنكر عليه فعله ، وتنهاء فلا ينتهي ، فأرسلت إلى أحد أقربائها — وأظنه أخاها — فلما حضر أخفته في البيت إلى الليل ، واجتمعت هي وهو على زوجها قتلاه واحتملا بجميع مالها ، وأصبحت عندنا بحصن (شيزر) ، وقالت : غضبت للمسلمين مما كان يفعل بهم هذا الكافر .

وأراجحت هذه المرأة الفاضلة من هذا الشيطان ، ورعينا لها ما فعلت وكانت عندنا في (شيزر) في الكرامة والاحترام .

الكويت : محمد علي العبد

للدّرس النّحويّ في فترة زمنية محدودة ، وآثرت أن لا أسمي هذا الدّرس بالمدرسة النّحوية — بلفظها الصريح الاصطلاحي — في هذه الحقبة ، وذهبت من أجل ذلك إلى الترجمة بالدّرس النّحويّ منذ الدولة الفاطمية وحتى أوائل العصر الحديث إيثاراً للبعد عن مناظ الخلاف وتجنباً لأيّ استشكال والتزاماً بما يدعوله المقام من الإيجاز ، من أجل ذلك قدمت بين يدي بحثي بكلام تاريخيّ موجز يصف الحياة العلميّة العامة في الدولتين الفاطميّة والأيوبيّة ، ثم يصف هذه الحياة في عصور الماليك وفي عصور العثمانيين التي تلتها مع إيراد طائفة من أسماء أعلام العلماء في مختلف العلوم في مصر والشام ومن أسماء مصنّفاتهم ، مع ذكر للمدارس الشهيرة ولدور العلم المرموقة في مصر خاصة خلال هذه العصور المتوالية ، وأخذت بعد ذلك في الحديث عن النشاط النّحويّ في هذه العهود بشيء من التّفصيل عهداً بعد عهد ، حسب تواليها في التاريخ ، مُدلاً على ما أقول ممثلاً لما أعرض بالأسماء والآثار مبيّناً إلى حدّ كاف مستوى هذا النشاط في كل دولة من خلال عقّد مقارناتٍ سريعة ، وعدتُ لأنهي بحثي بالتركيز على بيان الطابع المميز للدراسات النّحوية في كل العصور التي حدّدها البحث في تفصيل شامل .

مقدمة في الحياة العلميّة العامة في هذه العهود المتعاقبة

— في الدولتين الفاطميّة والأيوبيّة :

نشطت علوم اللغة العربيّة والثّقافة الإسلاميّة في مصر في عهد الدولة الفاطميّة التي فتحت مصر سنة ٣٥٨ هـ نشاطاً كبيراً ، وأصابها من الازدهار قسط عظيم ، تجلّى هذا في تقريب خلفاء هذه الدولة وأمرائها ووزرائها للعلماء والأدباء والشعراء ، وفي إكثارهم من تأسيس المساجد في القاهرة لتتخذ إلى جانب كونها دوراً للعبادة دوراً للعلم ، ومن أهمّ المساجد التي أسسوها وخصصت لذلك الجامع الأزهر الذي بني سنة ٣٦١ هـ ، وجامع الحاكم بأمر الله الذي بني سنة ٣٩٣ هـ ، ولم يكن التعليم في القاهرة مقصوراً على المساجد فحسب ، بل امتدّ حتى شمل أيضاً (دار العلم) فيها ، وشمل قصور الخلفاء والأمراء والوزراء ، كذلك انتشر في مدن أخرى من مصر كالاسكندرية وقوص وقفت وأسوان .

وقد فعل الأيوبيون بعد ذلك مثل ما فعل الفاطميون قبلهم ، بل زادوا عليهم ، فقد شجّعوا بدورهم العلماء وأسهموا في المزيد من نهضة علوم اللغة العربية والثقافة الإسلامية ، وذلك على الرغم من أنهم من عنصر كردي ، وقد أضافوا إلى ما وجدوه من دور العبادة والتعليم كثيراً من المدارس كالمدرسة الناصرية والمدرسة الصلاحية اللتين أسسها صلاح الدين الأيوبي عامي ٥٦٦ هـ و ٥٧٢ هـ على التوالي ، والمدرسة الصلاحية التي أنشأها الملك الصالح نجم الدين أيوب سنة ٦٣٩ هـ .

في عصور المماليك وما بعدها :

جاء المماليك بعد الأيوبيين ونهضوا بالحركة العلمية في مصر نهضة واسعة ، وقد ساعدتهم على ذلك مجيء الأدباء والعلماء إليها من البصرة والكوفة ومن قرطبة والقيروان وغيرها ، وفرارهم إليها من بغداد بعد سقوط الخلافة العباسية فيها وانحلال نظام الدولة الإسلامية على يد التتار سنة ٦٥٦ هـ الذين أتلّفوا الكتب ، وطاردوا العلماء ، بالإضافة إلى شعور حكامهم بالنقص مما حملهم على تعويض ذلك بمناصرة اللغة العربية والعلوم الإسلامية . وقد شعر العلماء أنفسهم بما عليهم من عبء ثقيل اقتضته محنة بغداد خاصة ، فتنافسوا على حمله ، ولقوا في ذلك تشجيعاً مادياً وأديباً من سلاطين مصر وأمراءها من المماليك ، مما أدّى إلى نشاط الحركة العلمية ، وإلى كثرة إنشاء دور التعليم في مصر والقاهرة ، وإلى امتلاء هذه الدور ، بالعلماء والطلاب من مختلف الأقطار ، وقد أضاف ابن خلدون سبباً آخر رآه أيضاً عاملاً مؤثراً أدّى إلى قوة النهضة العلمية ، وازدهارها في القاهرة بالذات في عهد المماليك فقال : (ونحن لهذا العهد نرى أن العلم والتعليم إنما هو بالقاهرة من بلاد مصر لما أن عمرانها مستبحر ، وحضارتها مستحكمة منذ آلاف السنين فاستحكمت فيها الصنائع وتفنّنت ومن جملتها تعلّم العلم)^(١) .

وتحدث كذلك عن النشاط العلمي وعمّا خصّص له ما المال وعن أعمال السلاطين والأمراء في هذا السبيل بقوله : (فاستكثروا من بناء المدارس والزوايا والرُّبُط^(٢) ووقفوا عليها الأوقاف المغلّة ... فكثرت الأوقاف لذلك ، وعظمت الصلوات والفوائد ، وكثر طالب العلم ومعلّمه بكثرة جرائتهم وارتحل إليها الناس في طلب العلم من العراق والمغرب ، ونفقت بها أسواق العلوم وزخرت بحارها والله يخلق ما يشاء) .

أما ابن بطوطة فقد وصف كثرة المدارس فقال : (وأما المدارس بمصر فلا يحيط أحد بحصرها لكثرتها) (٣) .

ومن أهم مدارسهم في القاهرة المدرسة المعزية التي أنشأها السلطان عز الدين بن أيك الجاشنكير أول ملوك الدولة البحرية سنة ٦٥٤ هـ والمدرسة الظاهرية التي أنشأها السلطان الظاهر بيبرس سنة ٦٦٢ هـ والمدرسة المؤيدية (٤) التي أسسها الملك المؤيد شيخ الحمودي سنة ٨١٩ هـ .

ولم تكن الدراسة في المدارس والمساجد في مصر لعهد المماليك مقصورة على علوم العربية والدين بل امتدت حتى شملت الطب والفلك والرياضيات والعلوم والتاريخ ، وقام بتدريس هذه العلوم فيها أفضل العلماء ، وحرص على التلقي عنهم أنبغ الطلاب ، وساعد كلا الفريقين ما أنشئ آنذاك من دور الكتب في هذه المدارس والمساجد ، فضلاً عن غرام الناس بعامة والسلاطين والأمراء بخاصة باقتناء الكتب .

وقد أصبحت مصر في عهد المماليك الوريث الكامل لنهضة بغداد العلمية ، وأضحت موئلاً لعلوم الدين واللغة وملجأ للعلماء . وإلى جانب هذا فإن المماليك لم يهملوا الشطر الآخر من دولتهم وهو بلاد الشام ، فقد عُنُوا بتنشيط الحركة العلمية فيها وأسهموا في انتشار دراسة العلوم المختلفة في دمشق وحلب ، على النحو الذي فعلوه في القاهرة فظهر فيها كما ظهر في مصر طائفة من الأعلام عملوا على حفظ العلوم والآداب سليمة تناقلتها بعدهم الأجيال .

ولقد نبغ في مختلف العلوم في مصر والشام في عصور المماليك طائفة ضخمة من العلماء نذكر منهم : عز الدين ابن عبد السلام المتوفى سنة ٦٦٠ هـ ، وابن مالك المتوفى سنة ٦٧٢ هـ ، وابن خلكان المتوفى سنة ٦٨١ هـ ، وابن منظور المتوفى سنة ٧١١ هـ ، وابن تيمية الحراني المتوفى سنة ٧٢٨ هـ ، والثوري المتوفى سنة ٧٣٣ هـ ، وأباً حيان الأندلسي المتوفى سنة ٧٤٥ هـ ، والذهبي المتوفى سنة ٧٤٨ هـ ، وابن قيم الجوزية تلميذ ابن تيمية المتوفى سنة ٧٥١ هـ ، وتقي الدين السبكي المتوفى سنة ٧٥٦ هـ ، وابن هشام الأنصاري المتوفى سنة ٧٦١ هـ ، وابن عقيل المتوفى سنة ٧٦٩ هـ ، وابن خلدون المتوفى

سنة ٨٠٨ هـ ، والفيروز آبادي المتوفي سنة ٨١٦ هـ ، ^(٥) والقلقشندي المتوفي سنة ٨٢١ هـ ، والدمايني المتوفي مهاجراً في الهند سنة ٧٢٨ هـ ، والمقريزي المتوفي سنة ٨٤٥ هـ ، وابن حجر العسقلاني المتوفي سنة ٨٥٢ هـ ، والجلال المحلي المتوفي سنة ٨٦٤ هـ ، وابن تغري بردي المتوفي سنة ٨٧٤ هـ ، والكافياجي المتوفي سنة ٨٧٩ هـ ، والسخاوي المتوفي سنة ٩٠٢ هـ ، والجلال السيوطي المتوفي سنة ٩١١ هـ ، وزكريا الأنصاري المتوفي سنة ٩٢٦ هـ ، وابن إياس المتوفي سنة ٩٣٠ هـ .

ومما بلغت النظر أن الاهتمامات العلمية لم تكن شأنًا خاصاً بالعلماء في كل الأحوال ، فقد عرفنا ألواناً من النشاط العلمي لبعض الخلفاء العباسيين في مصر إبان عهد المالك ، يقول السيوطي عن الخليفة المتوكل على الله الثاني المتوفي سنة ٩٠٣ هـ : « كان له اشتغال على والدي وغيره من المشايخ وأجاز له باستدعائي ، جماعة من المسنين ، وقد خرجت لهم عنه جزءاً حدث به ، وألفت برسمه كتاب : « الأساس في فضل بني العباس » ، وكتاب « رفع الباس عن بني العباس » ^(٦) :

أما السلاطين والأمراء المالك أنفسهم فقد كان اشتغالهم بالحروب والفتن وتوطيد السلطان ، بالإضافة إلى عجمتهم السبب الداعي لاقتصارهم على دراسة المعارف العسكرية دون غيرها من علوم اللغة العربية والثقافة الإسلامية التي اكتفوا بتشجيع العلماء فيها والمصنفين في موضوعاتها . وقد عمل العلماء الذين ذكرنا أسماءهم وغيرهم على التأليف والتصنيف ، كل في فنه . وتركوا في جميع الفنون مؤلفات ضخمة خالدة كثيرة ، يقول أحد الباحثين : (لا نبالغ إذا قلنا إن مؤلفات علماء مصر في خلال العصر المملوكي وهو أقل من ثلاث مئة عام تبلغ عدة آلاف ، وحسبنا دليلاً على ما نقول أن بعضهم عرف عنه أنه وحده ألف مئات من الكتب والرسائل كالسيوطي ، فقد قيل : إن مؤلفاته أربت على ست مئة ، وكابن تيمية الحراني فقد قيل : إن مؤلفاته أربت على خمس مئة ، وكابن حجر العسقلاني فقد قيل أن مؤلفاته أربت على مائة وخمسين وهكذا) ^(٧) .

ومن أشهر المؤلفات العلمية الكثيرة في عصور المالك في مصر والشام وفي مختلف العلوم : « القاموس المحيط للفيروز بادي » ، وفتح الباري في شرح صحيح البخاري لابن

حجر العسقلاني ، ولسان العرب لابن منظور ، ووفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان ، لابن خلكان ، و«نهاية الأرب» للنويري ، و«المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار» المعروف بخط المقرئ ، و«صبح الأعشى في كتابة الإنشا» للقلقشندي ، و«العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر» لابن خلدون ، و«الضوء اللامع لأهل القرن التاسع» للسخاوي ، و«حسن المحاضرة في تاريخ مصر والقاهرة» للسيوطي ، و«بدائع الزهور في وقائع الدهور» لابن إياس ، و«النجوم الزاهرة في أخبار مصر والقاهرة» لابن تغري بردي ، و«بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة» للسيوطي ، و«طبقات الحفاظ» للذهبي ، وغير ذلك كثير .

وتدلّ هذه المصنفات المشهورة ونحوها بوضوح على خصوبة الحياة العلمية في عصور المماليك ، وعلى أنّ هذه العصور قد تميّزت بظهور الموسوعات الجامعة في نفس الوقت الذي تميّزت فيه أيضاً بالمتون والشروح والحواشي والتعليقات ، مما يعني أنه يصحّ فيها القول بأنّها عصور الاختصار والموسوعية في آن واحد ، وكلاهما كان يهدف إلى التعليم عن طريق حفظ أوسع المعلومات وأكثرها تفضيلاً في الموسوعات ، أو أهمّها وأشدها اختصاراً في المتون وفيما بني عليها ، وذلك تعويضاً عما تمّ فقده في بغداد من الذخائر والنفائس من جهة ، وتسهيلاً للحفظ والتعلم من جهة أخرى ، وهكذا تمّ حفظ الأصول والفروع جميعاً في كلا لوني التأليف والتصنيف آنذاك .

ولقد اختلف الوضع العلمي بعد انتهاء دولة المماليك وخلال أيام الدولة العثمانية ، لما فعله أهل هذه الدولة حين تمّ لهم النصر بفتح مصر سنة ٩٢٣ هـ من نقل المصنفات العلمية الموجودة فيها إلى تركيا ، مما أدّى بالضرورة إلى هبوط مستوى النشاط العلمي في مصر شيئاً فشيئاً .

النشاط النحويّ في هذه العهود :

في الدولة الفاطمية :

كان حظّ النحو من النشاط مثل حظّ سائر فروع المعرفة الأخرى في الدولة الفاطمية في مصر ، وكان النحو إلى جانب غيره من العلوم محلّ الدرس والتحصيل في الأزهر

وجامع الحاكم وغيرهما من دور التعليم ، وقد برز في عهد هذه الدولة في مصر كثير من النحويين منهم الأدفي المتوفي سنة ٣٨٨ هـ ، والحوبي المتوفي سنة ٤٣٠ هـ وهو صاحب « إعراب القرآن » وابن بابشاذ المتوفي سنة ٤٦٩ هـ الذي صنع مسوّد في النحو يقال إنها بيضت لقاربت خمسة عشر مجلداً وسمّاها النحاة من بعده « تعليق الغرفة » والذي صنّف أيضاً « شرح الجمل » وغيرهما ، وابن القطاع الصقليّ المولد المصريّ الدار والوفاة المتوفي سنة ٥١٥ هـ وله كتاب « الأفعال » وكتاب « أبنية الأسماء » وغيرهما ، وابن بريّ المقدسيّ الأصل المصريّ الدار المتوفي بمصر سنة ٥٨٢ هـ وقد كان إماماً كبيراً في النحو ، وله « جواب المسائل العشر » وهي المسائل التي استشكلها الحسن بن صافي بن عبدالله أبو نزار المعروف بملك النحاة وسمّاها « المسائل العشر المتعبات إلى الحشر » ، وقد قضى هذا الإمام شطراً من حياته في نهاية الدولة الفاطمية وشرطها الآخر في بداية الدولة الأيوبية .

في الدولة الأيوبية :

تأسست في عهد الأيوبيين الذي بدأ سنة ٥٦٧ هـ المدارس الكثيرة ، وازدهر فيه النحو إلى جانب سائر العلوم ، واشتغل بالنحو خاصة خلق كثير منهم الملوك كالملك الكامل الأيوبيّ الذي منحه ابن بريّ إجازة في النحو ، والملك المعظم عيسى الأيوبيّ الذي قرأ على تاج الدين الكندي المتوفي بدمشق سنة ٦١٣ هـ كتابي « الحجّة » و« الإيضاح » لأبي عليّ الفارسي ، وكتاب سيويه وشرحه لابن درستويه ، والذي أحبّ النحو ونبغ فيه ، وشجّع دارسيه حتى أنّه شرط لكل من يحفظ مفصل الزمخشريّ مئة ديناراً وخلعة ، والملك المؤيد عماد الدين بن إسماعيل بن الأفضل صاحب حمّاه الذي شرح كافية ابن الحاجب .

ولم يكن النشاط النحويّ في عصر الأيوبيين مقصوراً على مصر ، بل كان هذا النشاط موجوداً أيضاً في بلاد الشام التي أسست فيها مدارس خاصة عنت بدراسة النحو أكثر من غيره .

وكان الملك المعظم عيسى الأيوبي صاحب الفضل في إنشاء أهم هذه المدارس وهي : المدرسة العادلية بدمشق ، ومدرسة أخرى في القدس أسّسها سنة ٦٠٤ هـ .

ومن أهم نخاة مصر والشام في العهد الأيوبي ابن معطي المتوفي بالقاهرة سنة ٦٢٨ هـ وهو صاحب الألفية المشهورة باسمه ، وصحاب «الفصول الخمسون» و«العقود والقوانين» وغيرهما ، وابن يعيش الحلبي المعروف بابن الصانع المتوفي بجلب سنة ٦٤٣ هـ وهو أستاذ ابن مالك وصاحب الشرح المطول لمفصل الزمخشري ، وشرح تصريف ابن جني ، وابن الحاجب المتوفي في الاسكندرية سنة ٦٤٠ هـ أو ٦٤٦ هـ ومن مؤلفاته : «الأمالي النحوية» ، وشرح لمفصل الزمخشري سمّاه «الإيضاح» ومتن «الكافية»^(٨) في النحو وشرحها ، ومتن «الشافية» في الصرف وشرحها .

في عصور الماليك :

كثر في عصور الماليك المشتغلون بالنحو والصرف خاصة في مصر والشام ، وازداد بذلك النشاط في الدراسات النحوية والصرفية ، وبلغ هذا النشاط ذروته بعدما سقطت غرناطة آخر حواضر الأندلس بيد الفرنجة سنة ٧٩٨ هـ واتجه بسبب ذلك جمهرة طيبة من المشتغلين بهذين العلمين نحو مصر والشام ، ومن أشهر نخاة هذه العصور في هذين القطرين ابن مالك المتوفي سنة ٦٧٢ هـ الذي برز واشتهر في أواخر العصر الأيوبي وأوائل عصور الماليك ، وأبو حيان الأندلسي المتوفي سنة ٧٤٥ هـ ، وابن أم قاسم المرادي المتوفي سنة ٧٤٩ هـ ، وابن هشام الأنصاري تلميذ أبي حيان المتوفي سنة ٧٦١ هـ الذي قال ابن خلدون عنه : (ما زلنا ونحن بالمغرب نسمع أنه ظهر بمصر عالم بالعربية يقال له ابن هشام أنفى من سيويه)^(٩) .

والذي ذكر أحد الباحثين^(١٠) أنه يُعدّ آخر أعلام المدرسة المصرية في النحو ، إذ لم يظهر في مدرسة مصر مجتهد في هذا العلم بعده ، وابن عقيل المتوفي سنة ٧٦٩ هـ ، وابن الصائغ المتوفي ٧٧٦ هـ ، وناظر الجيش محبّ الدين الحلبي المتوفي سنة ٧٧٨ هـ ، والدمايني المتوفي مهاجراً في الهند ٨٢٧ هـ ، والشُّمْنِيّ المتوفي سنة ٨٧٢ هـ ، والسيوطي المتوفي سنة ٩١١ هـ الذي قيل فيه : (خدم لغة العرب خدمة قصر عنها معاصروه ولم يفته فيها سابقوه ، وقد ألف فيها كتباً كثيرة منها ما خصّ به أصولها ، ومنها ما خصّ به فروعها ، وقلما غاص في لغة الا استخراج ما فيها من الدرر)^(١١) والاشموني المتوفي

حوالي^(١٢) سنة ٩٢٩ هـ وغيرهم .

ومن الطبيعي أن يصاحب هذه النخبة من النحويين في مصر خاصة في عصور المماليك مصنفات هامة وكثيرة لهم ، فقد نشطوا في التأليف النحوي ، وظهرت لهم أسفار قيمة من الموسوعات وكذلك من المتون والشروح النحوية ، ومن أشهر هذه المؤلفات : ألفية ابن مالك وتسهيله ، والتذيل والتكميل في شرح التسهيل ، وارتشاف الضرب من لسان العرب^(١٣) ، وكلاهما لأبي حيّان ، وقد قال السيوطي عنهما : (لم يؤلف في العربية أعظم من هذين الكتابين ولا أجمع ولا أحصى للخلاف والأحوال ، وعليهما اعتمدت في كتابي جمع الجوامع)^(١٤) ، ولأبي حيّان أيضاً « منهج »^(١٥) السالك في الكلام على ألفية ابن مالك .

ومن الكتب أيضاً : شرح التسهيل ، وشرح الألفية ، وشرح المفصل ، وهي لابن أمّ قاسم المرادي ، والتوضيح على الألفية ، ومتن شذور الذهب وشرحه ، ومتن قطر الندى وشرحه ، والإعراب عن قواعد الإعراب ، ومغني اللبيب لابن هشام الأنصاري ، وشرح الألفية ، والمساعد في شرح التسهيل وهما لابن عقيل ، وشرح الألفية ، وحاشية على المغني لابن الصائغ ، وشرح التسهيل لناظر الجيش ، وشرح التسهيل ، وحاشية تحفة الغريب على مغني اللبيب للدمايني ، والمنصف من الكلام على مغني ابن هشام للشمني ، وجمع الجوامع وشرحه مع الهوامع ، والاقتراح في أصول النحو ، وشرح شواهد المغني ، والبهجة المضية في شرح الألفية ، والأشباه والنظائر في النحو ، والفتح القريب في شرح مغني اللبيب وهي جميعاً للجلال السيوطي ، وشرح الألفية للأشموني .

في العصر العثماني :

تدنى مستوى النشاط النحوي في العصر العثماني عما كان عليه في عصور المماليك ، ومع ذلك فقد ظهرت في هذا العصر في مصر خاصة طائفة من النحويين من ذوي المسترى الجيّد ، قصروا نشاطهم على صنع الحواشي والتقارير وكتابة التعليقات ، وجمعوا في هذا كله كثيراً من المعارف النحوية وأطرافاً من التحليلات والنظرات الاجتهادية .

ومن أشهر النحويين ومؤلفاتهم في مصر آنذاك : الشنواني المتوفي سنة ١٠١٩ هـ ،
 وله حاشيتان على شرحي قطر الندى لابن هشام الأنصاري ولجمال الدين الفاكهي ^(١٦) ،
 وحاشية على ^(١٧) شرح خالد الأزهرى للإعراب عن قواعد الإعراب لابن هشام ،
 والدنوشري المتوفي سنة ١٠٢٥ هـ وله حاشية على التصريح لخالد الأزهرى ، وياسين
 الحمصي المتوفي سنة ١٠٦١ هـ وله حاشية على شرح قطر الندى لابن هشام ، وحاشية
 على مجيب الندا للفاكهي ، وحاشية على تصريح الأزهرى ، والمدابغي المتوفي سنة
 ١١٧٠ هـ وله حاشية على شرح الأشموني لألفية ابن مالك ، والحفني المتوفي سنة
 ١١٧٨ هـ وله حاشية على شرح الأشموني لهذه الألفية ، والسجاعي المتوفي سنة
 ١١٩٧ هـ وله شرح على متن قطر الندى لابن هشام ، والكفراوي المتوفي سنة ١٢٠٢ هـ
 وله شرح على متن الآجرومية ، والصبان المتوفي سنة ١٢٠٦ هـ وله حاشية على شرح
 الأشموني للألفية ، والدسوقي المتوفي سنة ١٢٣٠ هـ وله حاشية مطولة على مغني اللبيب
 لابن هشام ، ومحمد الأمير المتوفي سنة ١٢٣٢ هـ وله حاشية على المغني وحاشية على شرح
 الأزهرية وحاشية على شرح الشذور ، وحسن العطار المتوفي سنة ١٢٥٠ هـ وله حاشية
 على شرح الأزهرية لخالد الأزهرى ، والحضري الدمياطي المتوفي سنة ١٢٨٨ هـ وله
 حاشية على شرح ابن عقيل لألفية ابن مالك ، وحسين والي الأزهرى المتوفي سنة
 ١٣٠٦ هـ وله نفحة الآداب على ملحة الأعراب للحريري .

طابع الدراسات النحوية خلال العهود السابقة :

إنّ هذا الدرس النحويّ الذي أسلفنا الحديث عنه في مصر ومعها الشام منذ الدولة
 الفاطمية وحتى أوائل العصر العثماني بما تضمّنه من حشود العلماء ومن مصنفاتهم المتميّزة
 بطابع واحد أو بطوابع متقاربة ، يدلّ بوضوح على أنّ قاسماً مشتركاً قد ربط بين هؤلاء
 العلماء من جهة ، وربط بين مصنفاتهم أيضاً من جهة أخرى ، وأنّ خطوطاً عريضة
 عامة قد جمعت بينهم ، ولعلّ هذا هو الذي حمل من سمّوا هذه الدراسات بالمدرسة
 المصرية النحوية على أن ينعتوها بهذه التسمية ، وبصرف النظر عن الخلاف المعروف بين
 القائلين بوجود مدارس نحوية وبين المنكرين لها من الأساس أو المنكرين لبعضها المقرّين
 ببعضها ، فإنّي أميل إلى القول بأنّ طابعاً عاماً كان يميّز الدرس النحويّ في مصر

والمصنفات النحوية فيها لهذا الزمان ، يتضح هذا تماماً من مناهج تأليفهم ومحتوى هذا التأليف ، ومن شدة ولعهم ، بالتفصيل والتشقيق وأساليب الجدل في الفروع بما تتضمنه من اعتراضات وإجابات عليها ونحوها ، ولعلّ وحدة البيئة بكل وجوها والنظام السياسي والتقاليد الاجتماعية وكذلك سائر عوامل التأثير الأخرى في النشاط العلمي وفي الحياة العامة قد أسهمت جميعاً في إضفاء طابع واحد أو أجواء متقاربة على وجوه التفكير والانتاج على صعيد العلوم والمعارف إبان العهود المتعاقبة في مصر خاصة آنذاك ممّا أساغ لبعضهم القول بالمدرسة المصرية في النحو التي جرت العادة بأن تشمل بلاد الشام أيضاً في ذلك الزمان ، وذلك بصرف النظر عن صواب تسميتهم بالمدرسة بالإصطلاح العلمي المعروف لهذه الكلمة ، أو عدم صواب ذلك تبعاً للخلاف المعروف في المدارس النحوية بين الباحثين .

وأيّاً ما كان الأمر فإنّ ظهور عهد الفاطميين في منتصف القرن الرابع الهجري كان إيذاناً بأنّ المدرسة المصرية أو الدراسات النحوية في مصر ومعها الشام قد أخذت تتبلور وتستقل بشخصيتها عن المدارس السابقة أو عن الدراسات النحوية الماضية ، وتتميّز باتجاهها الذي يبدو أنّه أخذ يميل إلى المدرسة البغدادية أو إلى الدرس النحويّ في بغداد ، وقد بدا ذلك واضحاً من مسلك نخبة مصر ومنهجهم في الدرس ، وهو منهج يعتمد في الفروع على تصويب آراء البصريين فيها تارة وآراء الكوفيين تارة أخرى مع تركها تارة ثالثة والأخذ بآراء البغداديين ، ثمّ النفوذ إلى آراء اجتهادية تارة رابعة على نحو ما فعل الحوفي وابن بابشاذ وابن بري من نخبة العصر الفاطمي ، ويعدّ هذا الاجتهاد السّمة الأولى المميزة لما يُسمّى بالمدرسة المصرية أو بالدرس النحويّ في مصر ، ما لبثت أن أضيف إليها فيما بعد سمات أخرى أصبحت تعدّ مع الاجتهاد من خصائص هذه المدرسة التي تميّزها عن غيرها من المدارس السابقة ، ومن هذه السمات والخصائص عناية مصر بمسائل الخلاف خاصة ، والانصراف إلى الاهتمام بالإعراب في القرآن .

وتبعاً لنواميس الحياة وطبقاً لسنن التطور فإنّ العصر الأيوبي التالي لعهد الفاطميين حمل معه مزيداً من الازدهار للدرس النحويّ في مصر والشام ، ولكنه أضحى درساً موسوماً بغلبة المذهب البصريّ على اتجاهات أكثر النحويين، وعلى جلّ الدراسات

النحوية كما يتضح من الانتاج النحويّ آنذاك ، ومما يمكن أن يعنيه ما كان عليه شأن مدرسة القدس التي أسسها الملك المعظم عيسى الأيوبي سنة ٦٠٤ هـ لدراسة النحو بخاصة إذ اعتمدت في هذه الدراسة كتاب سيويه^(١٨) فقط ، كما أضحي موسوماً بظهور الاتجاهات الفلسفية والتراعات المنطقية في دراسات النحاة على نحو ما يبدو بوضوح عند ابن الحاجب الذي يقول عنه أحد الباحثين أنه كان (أول نحويّ في مصر نزع بالنحو نزعاً فلسفياً)^(١٩) .

أما العصور المملوكية فقد حملت معها تبعاً لنفس النواميس والسنن مزيداً من الازدهار والنشاط للدرس النحويّ في أرجاء الدولة وقد لخص الدكتور شوقي ضيف طابع ما سمّاه بالمدرسة المصرية في عصورها المتعاقبة فذهب إلى أن هذه المدرسة : (أخذت تمزج منذ القرن الرابع الهجري بين آراء البصريين والكوفيين ، وضمت سريعاً إلى تلك الآراء آراء البغداديين ، غير أنها لم توفق ولم تزدهر إلا منذ العصر الأيوبي ، وسرعان ما تكامل ازدهارها في العصر المملوكي)^(٢٠) .

على كل حال فإن علماء الأندلس والمغرب عامة وابن مالك وأبا حيّان خاصة قد أسهموا في المدرسة المصرية لعهد الماليك أو في الدرس النحويّ في الدولة المملوكية إسهاماً بارزاً ، مما جعل ملامح المذهب الأندلسي غالبة على هذا الدرس أو على هذه المدرسة في هذا العهد ، وجعل أسماء نخاة الأندلس وآراءهم الأكثر تداولاً في مصنفات النحويين والأكثر ترجيحاً في مناقشاتهم وخلافاتهم مع غيرهم .

ولقد حفظ لنا نخاة عصور الماليك الثروة التي سبقتهم ، وأضافوا لها إنتاجهم الغزير ، ثم أورثوا ذلك كله إلى ما بعدهم من عصور ما لبث أهلها يستفعون به زمناً بعد زمن إلى يومنا الحاضر .

ولنا هنا وقفة عند ابن مالك بالذات لما كان له من شهرة في زمانه وبعده ، وللآثار العميقة التي أحدثها في الدرس النحويّ إلى هذا الوقت ، نقول إنه على الرغم من أن المرحوم الأستاذ أحمد أمين قد رأى أن ابن مالك كان يدور في فلك البصريين ، وأنه ليس مُجدّداً بل هو لا يعدو أن يكون قد : (نظم نحو سيويه ووضّحه وفصله وقربه إلى الناس وعمّمه)^(٢١) . وأنه إن اجتهد (فالذي نسميه في الفقه اجتهداً مذهب لا اجتهداً

مطلقاً) (٢٢) وأن أهم ميزة في عمله كانت (ربط قواعد النحو ربطاً مُحكماً وبسطها كما يتجلى ذلك بالنظر في ألفيته وقواعده والقواعد التي ذكرها سيبويه في كتابه) (٢١) فإن ابن مالك هذا الذي أدرك أيضاً عهد الأيوبيين في مصر والشام — وكذلك أبا حيان وتلميذه ابن هشام الأنصاري — يعدّون بحق شيوخ المدرسة المصرية في عصور الممالك على الأقل بدون منازع إن صحّ هذا التعبير ، ولم يكن عمل ابن مالك — على ما أعتقد — مقصوراً على ما ذكره الأستاذ أحمد أمين ، بل لقد أضاف إلى ذلك على حدّ قول أحد الباحثين مذهباً نحوياً عميق الأثر في النحو العربي : (شغل به النحاة من بعده وظلّ أساساً لأكثر الدراسات النحوية إلى اليوم ، وهو مذهب يقوم على أساس المزج والاختيار من المذاهب السابقة كلّها مع ميل واضح إلى الجياد والتيسير وجنوح شديد إلى الاجتهاد والتجديد) (٢٢) كما كان يخالف في أحيان كثيرة آراء البصريين الذين يميل إليهم في الجملة وإلى سيبويه منهم على وجه الخصوص ، فيرتضي مذهب الكوفيين إذا صحّت لديه حكمته في بعض المسائل ، ورأى أنّ الرواية الصحيحة تؤيدهم ، فهو لم يكن يتعبّد بأقوال البصريين ، بل كانت له كما يقول السيوطي أيضاً (طريقة سلكها بين طريقي البصريين والكوفيين) (٢٣) .

على كل حال يعدّ ابن مالك صاحب الفضل في الإكثار من تقعيد القواعد وتنظيمها وتبويبها وجمع متفرقاتها ، وتحرير مباحث النحو وأبوابه ومصطلحاته ، وتذليل مشاكله وصعابه ، وتسهيل قواعده وأصوله وتوضيحها وتفصيلها وتقريبها إلى الناس ، وتمثّل آراء السابقين على اختلاف مذاهبهم والاختيار منها ثم استنباط الآراء الجديدة والاجتهاد فيها مما يمكن معه اعتباره مجدّداً في النحو ولو بعض التجديد ، وهكذا يبقى نحو ابن مالك مزيجاً من ابتكاراته ومن نحو المذاهب جميعاً كما تبقى المسحة البصرية هي الغالبة عليه .

أما أبو حيان وابن هشام فقد سارا عموماً على طريقة ابن مالك ونهجاً نهجه ، حتى لقد وصف ابن هشام طريقة ابن مالك بأنها (طريقة المحققين وهي أحسن الطريقتين) (٢٣) ، مع كثير من الاجتهادات الخاصة والنظرات المستقلة والاعتراضات المتعددة كالذي حدث كثيراً من أبي حيان إزاء ابن مالك ، وكالذي حدث من ابن

هشام إزاء أستاذه أبي حيان ، كما استمدًا في دراساتها النحوية : (من ابن الحاجب قليلاً من فلسفته النحوية ، ومن ابن مالك كثيراً من توسعه في الرواية) ^(٢٤) وإن كان أبو حيان قد تأثر كثيراً بالبصريين في مقاييسهم وأصولهم وعللهم وفروعهم وجرى وراءهم في كثير من مسائلهم وخالفهم في القليل منها ودافع عن جمهرة اتجاهاتهم وأنكر على ناقدتهم أكثر من مرة .

ولقد نال ابن هشام شهرة فائقة في زمانه وما زال : (لما انفرد به من الفوائد الغريبة والمباحث الدقيقة والاستدراكات العجيبة والتحقيق البارع والاطلاع المفرط والاعتدال على التصرف في الكلام ، والملكة التي كان يتمكن من التعبير بها عن مقصوده بما يريد مسهباً وموجزاً) ^(٢٥) ولما تميّزه من أنه استوفى أحكام الأعراب مجملة ومفصلة ، وتكلم عن الحروف والمفردات والجمل ، وحذف ما في الصناعة من المتكرر في أكثر أبوابها ... وأشار إلى نكت إعراب القرآن كلها وضبطها بأبواب وفصول وقواعد انتظمت سائرهما ^(٢٦) ولما اتّصف به من أنه : (على علم جسيم يشهد بعلوّ قدره في صناعة النحو ووفور بضاعته منها ، وكأنه ينحو في طريقته منحة أهل الموصل الذين اقتفوا أثر ابن جني وتبعوا مصطلح تعليمه ، فأتى من ذلك بشيء عجيب دالّ على قوة ملكته واطلاعه) ^(٢٧) . ولعلّ هذه الأقوال هي التي حملت باحثاً معاصراً على أن يرى أن ابن هشام هو آخر المجتهدين في مدرسة مصر النحوية ، وأنه لم يظهر فيها بعده مجتهد آخر ^(٢٨) .

وقد سار من جاء بعد ابن مالك وابن هشام بخاصة سيرتهما ، ولم يخرج عما رسماه ، بل اتبع منهما ، وسار على أثرهما واقتصر في أغلب الأحوال على شرح مؤلفاتهما ودراستها والتعليق عليها ، حتى من وضع منهم ابتداء متوناً أو شروحاً مستقلة لم يخرج عن دائرتهم ، وإن تميز بعضهم بنظراته الخاصة وشخصيته العلمية المستقلة التي تدلّ على نضجه وعمق فهمه ، وكامل إلمامه ودقة ملاحظاته وموازناته وتوجيهاته وتعليقاته على نحو ما يبدو ذلك مثلاً في ابن أمّ قاسم المرادي شارح ألفيه ابن مالك ، الشرح الذي بقي مجهولاً فلم ينشر ^(٢٩) إلا مؤخراً جداً ، والمسمى «توضيح المقاصد والمسالك بشرح ألفية ابن مالك» ، والذي انتحله الأشموني ونسبه إليه وغير اسمه إلى «منهج السالك إلى الفية ابن مالك» وكاد يكون نسخة مطابقة له ، وكنت أول من صرح بذلك ومثل له في

رسالتني للماجستير^(٣٠) ، فكان هذا إيذاناً للباحثين في أكثر من قطر بأن يتحرّوا الحقيقة ، وأدّى تحرّيمهم إلى إثبات صحة ما صرّحت به وضربت الأمثلة عليه ، وتكشفت في نهاية المطاف حقيقة الشهرة العلمية التي بناها الأشموني زماناً طويلاً على شرحه المزعوم ، الذي كان يعدّ على امتداد هذا الزمان من أشهر شروح الألفية إن لم يكن أشهرها على الإطلاق وأكثرها تداولاً بين الدارسين .

أما الدرس النحوي والتصنيف فيه في عصور العثمانيين فقد اتسم أكثرها بظهور التأثير بالبيئة الأعجمية فيها ، وفي الدارسين والمصنفين في النحو على الرغم من اتساع آفاق كثير منهم وقوة ملكاتهم ومداركهم وغزارة معارفهم ، وقد جعل هذا أكثر هذه المؤلفات على شرف موضوعها وجلال مباحثها وإتقان ضبطها وإحكام ترتيبها صعبة التناول لا تثري اللسان العربي بالمقدار الذي تثري فيه المنطق والفلسفة لكثرة ما حُشيت بهما ، ولفرط ما استُخْلِما في بيان الأصول والفروع النحوية ، فضلاً عن أنّ أسلوبهما كان معقداً ورمزياً موغلاً في الصعوبة والإشارة ، ومع هذا فإن الدراسات النحوية على ما يقول الدكتور شوقي ضيف ظلت (ناشطة في العصور العثمانية في مصر حتى العصر الحديث)^(٣١) وكثرت الحواشي والتقارير على المنهج الذي وصفناه كثرة بالغة ، واستمرّ حال التصنيف النحوي على هذا المنوال إلى بداية العصر الحديث ، حيث أخذت تظهر محاولات متعددة للتجديد ، قام بها بعض المشتغلين بالنحو مثل الأستاذ إبراهيم مصطفى في كتابه «إحياء النحو» والشيخ أمين الخولي في محاضراته وأبحاثه ، والشيخ عبد المتعال الصعيدي في كتابه «النحو الجديد» والدكتور عبد الرحمن أيوب في كتابه «دراسات نقدية في النحو العربي» وغيرهم ، إلى جانب بعض الكليات التي أخذت على عاتقها عبء الدعوة إلى تجديد النحو ككلية دار العلوم وكلية الآداب في جامعة القاهرة ، بالإضافة إلى اللجان التعليمية في وزارات المعارف في البلدان العربية ، والأبحاث الفردية لمثقفين من كل ديار العرب ، ولكن هذه المحاولات على ما يقول به أحد الباحثين وعلى ما يشهد به واقع الحال : (لم يكن لها من القوة ما يكتب لها الخلود لأنه ما زال النحو الموروث بأقيسته وعمله يفرض سلطانه على النحو والنحويين إلى اليوم)^(٣٢) .

الرياض : الدكتور عبد الكريم محمد الأسعد

حواشي المقال :

- (١) ابن خلدون ، المقدمة ٤٠٠ .
- (٢) الرباط : الذي بيني للفقراء ، ويجمع في القياس على رُبط بضمين ، وعلى رباطات .
- (٣) ابن بطوطة ، تحفة النظار ١ : ٢٠ .
- (٤) هي الجامع المعروف الآن في القاهرة بالجامع المؤيد بجوار باب زويلة .
- (٥) العرب : الفيروز آبادي توفي في ٢٠ شوال سنة سبع عشرة وثمان مئة — كما ذكرنا تلميذه القاسي في «العقد اللين في تاريخ البلد الأمين» ج ٢ ص ٤٠٠ ، وقد ولد في (كارزين) في جهة شيراز . جنوب مدينة (شيراز) وعاش أكثر حياته في اليمن متقللاً بينها وبين مكة ، وزار أشهر المدن الإسلامية كبغداد ودمشق والمقدس والقاهرة .
- (٦) السيوطي ، حسن المحاضرة ٢ : ٩٢ .
- (٧) محمود رزق سليم ، عصر سلاطين المماليك ٣ : ٩٠ — ٩١ .
- (٨) لكافية ابن الحاجب — شروح كثيرة من أشهرها شرح الرضي الأسر اباذي .
- (٩) الزركلي ، الأعلام ٤ : ٢٩١ ، ابن حجر ، الدرر الكامنة ٢ : ٤١٦ .
- (١٠) أنظر د/عبد العال مكرم ، القرآن الكريم وأثره في الدراسات النحوية ١٧٨ .
- (١١) الشنقيطي ، الدرر اللوامع ، المقدمة ٢ .
- (١٢) رجح كثيرون أنه توفي سنة ٩١٨ هـ .
- (١٣) وهو مختصر للتبديل والتكميل في شرح التسهيل ، ويقع الارتشاف في ست مجلدات ، وله مختصر في مجلدين .
- (١٤) السيوطي ، بغية الوعاة ١ : ٢٨٢ .
- (١٥) طبع بالولايات المتحدة سنة ١٩٤٧ م بتحقيق سدي غليزر .
- (١٦) سمي الشنواني حاشيته على شرح قطر الندى للفاكهي «هداية مجيب النداء إلى شرح قطر الندى وبلّ الصدى» .
- (١٧) سمي الشنواني هذه الحاشية «هداية أولى الألباب إلى موصل الطلاب إلى قواعد الأعراب» .
- (١٨) أنظر محمد كرد علي ، خطط الشام ٦ : ١١٧ .
- (١٩) عبد اللطيف حمزة ، الحركة الفكرية في مصر . ٢٢١ .
- (٢٠) د/شوقي ضيف ، المدارس النحوية ، المقدمة ٧ .
- (٢١) أحمد أمين ، ظهر الإسلام ٣ : ٩٣ — ٩٥ .
- (٢٢) ابن مالك ، التسهيل ، تحقيق محمد كامل بركات ، تقديم الدكتور يوسف خليف :
- (٢٣) السيوطي ، الاقتراح في علم أصول النحو ٨٦ .
- (٢٤) عبد اللطيف حمزة ، الحركة الفكرية في مصر ٢٢٦ .
- (٢٥) السيوطي ، بغية الوعاة ٢ : ٦٨ — ٦٩ .
- (٢٦) أحمد أمين ، ظهر الإسلام ٤ : ٢١١ .
- (٢٧) ابن خلدون ، المقدمة ٥١٦ .
- (٢٨) أنظر د/عبد العال مكرم ، القرآن الكريم وأثره في الدراسات النحوية ١٧٨ .
- (٢٩) طبع بمصر في ستة أجزاء بتحقيق الدكتور عبد الرحمن علي سلمان في وقت قريب .
- (٣٠) وهي بعنوان «أبو الحسن الأشموني وكتابه منهج السالك إلى الفية ابن مالك» وقد أجزت سنة ١٩٧٣ م .
- (٣١) د/شوقي ضيف ، المدارس النحوية ، المقدمة ٨ .
- (٣٢) د/عبد العال مكرم ، القرآن الكريم وأثره في الدراسات النحوية ١٧٨ .

مصادر البحث ومراجعته

- ١ — الأعلام ، خير الدين الزركلي ، ط ٣ بيروت .
- ٢ — الاقتراح في علم أصول النحو ، جلال الدين السيوطي ، ط ٢ حيدر آباد سنة ١٣٥٩ هـ .
- ٣ — بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة : جلال الدين السيوطي ، البابي الحلبي بمصر سنة ١٩٦٤ م ، تحقيق محمد أبي الفضل إبراهيم .
- ٤ — تحفة النظّار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار ، ابن بطوطة ، المطبعة الأزهرية بمصر سنة ١٩٢٨ م .
- ٥ — تسهيل الفوائد وتكميل المقاصد ، ابن مالك ، القاهرة سنة ١٩٦٨ م ، تحقيق محمد كامل بركات .
- ٦ — الحركة الفكرية في مصر في العصرين الأيوبي والمملوكي الأول ، عبد اللطيف حمزة ، ط ٨ بالقاهرة سنة ١٩٦٨ م .
- ٧ — حسن المحاضرة في تاريخ مصر والقاهرة ، جلال الدين السيوطي ، عيسى البابي الحلبي سنة ١٩٦٧ م . تحقيق محمد أبي الفضل إبراهيم .
- ٨ — خطط الشام ، محمد كرد علي ، ط ، بيروت سنة ١٩٦٩ — ٢٩٧٢ م .
- ٩ — الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة ، ابن حجر العسقلاني ، ط ٢ سنة ١٩٦٦ م ، تحقيق محمد سيد جاد الحق .
- ١٠ — الدرر اللوامع على مع الهوامع شرح جمع الجوامع ، الشنقيطي ، مطبعة كردستان بالقاهرة سنة ١٣٢٨ هـ .
- ١١ — ظهر الإسلام ، أحمد أمين ، ط ٤ مكتبة النهضة المصرية .
- ١٢ — عصر سلاطين المماليك ونتاجه العلمي والأدبي ، محمود رزق سليم ، المطبعة النموذجية بمصر سنة ١٩٦٢ م .
- ١٣ — القرآن الكريم وأثره في الدراسات النحوية ، د/عبد العال مكرم ، دار المعارف بمصر سنة ١٩٦٨ م .
- ١٤ — المدارس النحوية ، د/شوقي ضيف ، دار المعارف بمصر سنة ١٩٦٨ م .
- ١٥ — المقدمة ، ابن خلدون ، دار الشعب بالقاهرة .

من ذكريات أب عزيز

ما ألم بكاء القلوب حين تستعصى الدموع

[أنظر جريدة «الجزيرة» : ع ٣٠٧٣]

لن أقابل عتبك — أيها الأستاذ الكريم — بعتب ، وإن نكأت كلمتك التي نشرتها هذه الصحيفة (ع ٣٠٧٣ في ١٤٠١/٣/٧ هـ) جرحاً كاد أن يندمل .

وما أحسبها — بعمق تأثيرها في نفسي وبما أثارت من بواعث الذكريات ، الا صادرة من قلب اكتوى بفرقة حبيب ، أو امتلأ بمحبة ابن بار ..

وما أعمق آثار ما يصدر عن القلب المفعم بصادق العواطف بقلب أرهفت إحساسه الام الجراح ..

أما الصحفي اللبق الذي كان حديثه معي مثار التعليق فما أراه جديراً باللوم ، ولا مطالباً بإيضاح ما استغلق فهمه على القراء ، لقد كان صياداً ماهراً ، والصحفي — بطبيعة عمله وبحكم مهنته — يسعى لاصطياد ما يمكنه اصطياده من القراء بمهارته الفنية ، وهي مهارة ترتكز — في صحافة اليوم — على عنصر الاثارة ، وبذلك المهارة اصطاد بحيرة قلم صيداً سميناً ، فحظي قراء صحيفته بالاستمتاع بتلك الكلمة المؤثرة حقاً ، ولو استوضح أو أوضح ما كان محلاً لتعليق الكاتب الكريم ، وباعثاً لعتبه ، ولما كان للعنوان الجذاب أثره .

أما أنا فاني أحمد له أسلوبه البارع ، الذي لا أراه يتجاوز حد الاتزان ، وكان باستطاعته تجاوز ذلك الحد ، كزميله الصحفي الغربي الذي تحدث عن رجل شهير ، زار مدينة (نيويورك) فرأى في الاجابة على أحد أسئلة ذلك الصحفي ما لا يليق بسمعته فتجاهل ذلك السؤال ، غير أن الصحفي اتخذ من ذلك التجاهل وسيلة كانت أعمق أثراً في نفوس قراء صحيفته من الجواب ، إنها أبرزت ذلك الزائر بأشع صورة من الجهل

المطبق لما يعد من أبرز مظاهر تلك المدينة (الشرق الأوسط عدد الجمعة ٢٦ الحجة سنة ١٤٠٠هـ).

وأذكر أنني أردت أن أصحح خطأ وقع فيه أحد مشاهير أدبائنا وقد استشهد بكلام
للأمير شكيب أرسلان فذكرت ان مؤرخي هذه البلاد فيما يتعلق بتاريخها أوثق من
شكيب . فما كان من ذلك الأديب الشهير إلا ان عمد الى الاثارة (ما رأيكم فيمن
يطعن في أمير البيان)؟؟

ويأتي الحديث عن البكاء ، وهو حديث لا أحسنه ، ولا أراني ملوما في ذلك :
أترى البكاء — أيها الأخ الكريم — مقياساً للتعبير عن أصدق العواطف؟؟
أم هو غريزة من غرائز النفس ، يستعصي حين تشتد الحاجة اليه عند طغيان بواعث
الأسى ، واشتداد وقع المصيبة ، فتصاب النفوس بذهول ، ويجمود ، من شدة ما
اعتراها ، وما أسعد من يجد لآلامه متنفساً ، ولو من فيض دمه ، حين تطفئ عليه
الخطوب فيعجز عن مدافعتها بما هو أقوى وانفع من الدموع؟؟

لعل انحدار الدمع يعقب راحة
من الوجد ، أو يشفي لظي البلبل

أن أوفر الناس حظاً من هذه النعمة — نعمة القدرة على البكاء هم ذوو الاحساس
المرهف ، والطباع الرقيقة ، كالنساء والأطفال ، وما أرى الشاعر مجانباً للصواب حين
قال :

ابك مثل (النساء) ملكا مضاعا
لم تحافظ عليه مثل الرجال

فبكاء النساء أشد لوعة ، وأبلغ أسى وحسرة ، وأوقع في النفوس أثراً..
أما الرجال فهم ذوو قلوب قاسية ، والقسوة مذمومة ، إلا في بعض الحالات .
اتراهم يلامون على ما هو جبلة في طباعهم؟؟

يبكى علينا وما نبكي على أحد
لنحزن أغلظ أكبادا من الابل
ثم لفته نحو الكاتب العاتب !!

إن الصحفي الكريم — وقد اتخذ من كلمة (البكاء) وسيلة إثارة — كان دقيقاً في التحري لا يراود نص ما قلته فيما أثار التساؤل والعتب : (احتراق المكتبة كان بصراحة أعظم أثراً من موت ابني . ونهب مكتبي) الخ .. مما لم ترد فيه تلك الكلمة .

ولا أرى القارئ — أي قارئ — يستعصي على فهمه ادراك الفرق بين اثر المصيبين ، فقدان الابن لا يعني في كثير من الحالات سوى أهله وذويه ، بخلاف احتراق مكتبة هي بالنسبة لصاحبها الباب الذي يلج منه الى نفوس مجتمعه . الذي هو جزء منه ، ولا خير فيه إذا لم يشارك هذا المجتمع في أعماله النافعة . وكيف تم المشاركة مع عدم وسائلها أو ضعف تلك الوسائل ؟!

إن أثر ضياع مكتبي لا يزال هو هو ، الى ساعتك الآن ، لم يتغير ، بخلاف أثر مصيبي بفقد ابني ..

واسمح لي بأن أتحدث موجزاً كيف كان وقع المصيبة ، وما وما منزلة هذا الابن في نفسي لثلاث أوصم بالغلظة وبعدم الوفاء !!

حين بدأت أدلف الى مرحلة الشيخوخة رزقت بابن هو الأول ، وذلك في عام ١٣٧٠ هـ ، ولا يعنيك ما بذلت في سبيل تربيته وتنشئته ، وفق ما أرشحه له في مستقبل حياته ..

ولقد شب ونشأ واجتاز مراحل الدراسة دون تعثر .

وكان يهوى ممارسة كثير من الألعاب . وأنا — حتى في سن الصغر — كنت أكرهها ، لأنني عشت عليل الجسم ، فإذا اضطرت للمشاركة لِدَآتي في بعض ألعابهم فشلت ، فأثر هذا في نفسي ، ولهذا كنت كثيراً ما ألوم ابني على اضاءة وقته باللعب ، خوفاً من تأثيره على سير دراسته ، فكان يقابل لومي قائلاً : (يا أبي) وهكذا كان

يخاطبني بهذه الكلمة بحيث انني اذا سمعتها الآن من أحد ابنائي احس بأنني اسمع صوت ذلك الابن الذي ذهب عني منذ سبع سنوات : (يا ابي سوف آتيك بورقة النجاح فلا تشغل نفسك علي) وهكذا كان ، لم يرسب مرة واحدة في سنة من سني دراسته . وكنت أرى في حيويته وقوته — جسماً وذهناً وفكراً وخلقا — ما ملأ قلبي اطمئناناً وثقة بأنني حين أخلي مكاني في هذا الوجود ، فلن تعدم أسرتي العميد الصالح ، وقد أدرك هو هذا ادراكاً حملاً على السعي جاداً ليكون قادراً على تحمل التبعة .

وقبل أن يغادر هذه الحياة بشهور ، حين أوشتك ان يكمل دراسته في (الجامعة الأمريكية) استشارني في الاشتغال بالتجارة ، مع زميلين له في الجامعة ، عرفتهما حق المعرفة ، هما جميل صلاح دندن ومصطفى عرب ، فحبذت له هذا العمل ، وهيات له ما استطعت تهيئته ، فاتفق مع صديقيه على فتح مكتبين في الرياض وفي بيروت باسم (مؤسسة الجاسر التجارية) وسجل الاسم في (وزارة التجارة) .

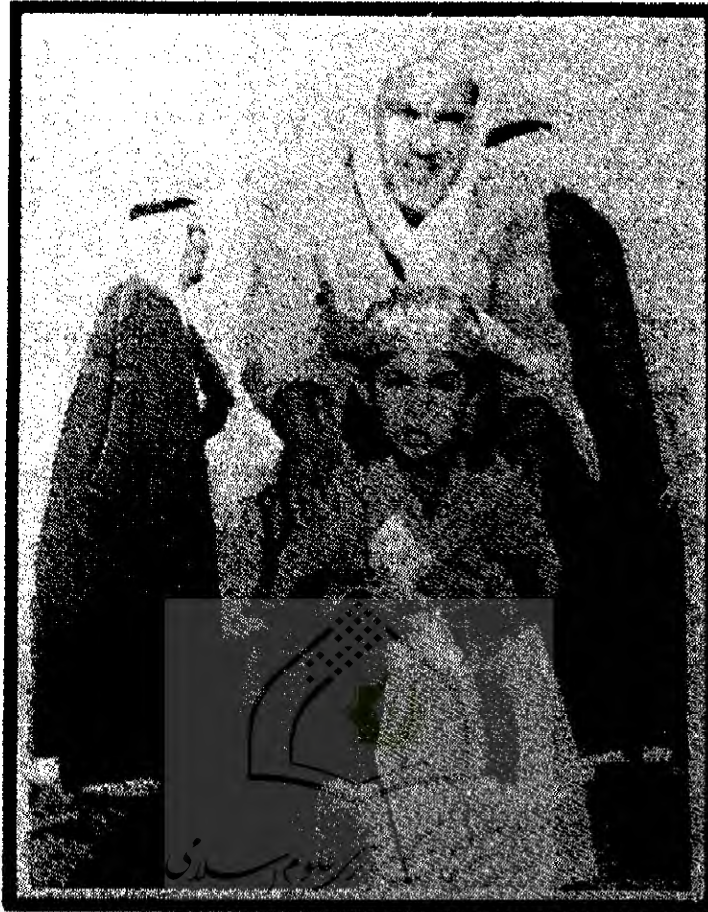
وبعد اتمام الدراسة سافر الثلاثة الى (أوروبا) للبدء في عملهم ، وفي العودة كانت المفاجعة بهم !!

كانت حوادث (بيروت) في عنفوان شدتها ، فقد كثر القتل والختطف . واحرق الفنادق والمحلات الكبيرة . فانتقلت بالأسرة الى قرية (بعل شميه) لنكون في منأى عن الحوادث !!

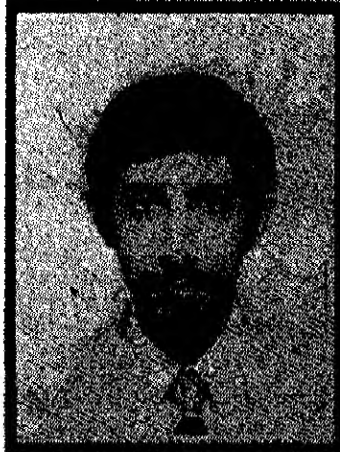
وفي مساء يوم الاثنين — ٢٥ رمضان سنة ١٣٩٥ هـ (١٩٧٥/٩/٢٩ م) سمعت أم محمد آخر صوت لابنها بواسطة الهاتف : (سنصل غدا الثلاثاء الساعة الخامسة صباحاً) .

لقد هدأت النفوس تلك الليلة بعد سماع الجملة المألوفة في الاذاعة (الطرق سالكة وآمنة) مع أن دوي المدافع وأصوات الانفجارات تصم الآذان .

ما أطولها من ليلة : ان طريق المطار من الجبل — طريق عرمون — لا يزال آمناً ولكن لا بد من المرور بالبيت في بيروت اذ السيارة هناك ، والطريق العام — طريق الحازمية — قد كثر فيه القتل والختطف ، ولكن الله سلم .



في البيت عند العائدين تلتصق يادته حميدة، وقد ظهر عن يمينه لفتان الشيخ ناصر المنصور
 مفار حائله و برصطية *



وها هو سائق سيارة الجيران الذين سيذهبون لاستقبال ابنهم يتصل بالمطار للتثبت من وقت وصول الطائرة .

ما الأمر؟ انه يهمس في أذن أحد الواقفين بجواره ، فيفتح فاه شاهقاً : (لأ . لأ) ثم يتواصل الهمس بين أفراد أسرة (آل دندن) ولا يقطعه سوى شهيق أم جميل ، ثم ارتفاع نحيبها !! (ما الخبر يا محمد شمس ، لا تخف على شيئاً) ! الطائرة احترقت وسقطت في البحر — ثم يضيف وقد رأى ما عراني من شدة الاضطراب بحيث لم أطق الوقوف — فيقول : محمد تخلف عن رفقاته الذين سقطت بهم الطائرة . (أنا لست طفلاً . قل لي الحقيقة) !! تعال الى (السفارة) — وكانت بجوار البيت — فعندها الخبر فالطائرة من طائراتها ، وتستطيع معرفة اسماء راكبيها .

وها هي عاملة الهاتف بعد ان تتصل بمكتب شركة الطيران وتشاهد ما انا عليه من اضطراب توجه الى الكلام . (ولو!! ما تصدقني ، ابنك ما هو في الطائرة) !! ولقد صدقت . فابني تلك الساعة جثة هامدة في البحر ، وليس في الطائرة !
إنني لا أزال بين اليأس والرجاء ، لا أصدق ما حدث على حد قول المتنبي :

طوى الجزيرة حتى جاعني خبر

فزعت فيه بآمالي إلى الكذب

لقد طغى الحزن على كل أهل البيت . فقد تحققوا فقدان عزيزهم ، ونشرت الصحف في اليوم الثاني (٢٧ رمضان) الأسماء ومن بينها (محمد بن حمد الجاسر) وذهب «معن» لمحاولة معرفة جثة أخيه بين الجثث المحترقة ، التي أخرجت من البحر ، وعرضت في (الكرنتينة) ولكنه عاد بدونها بعد أن كاد يسقط بينها من شدة التأثر؟؟
أما أنا فقد استولى الأسى على جميع مشاعري فترة من الزمن . بحيث كنت أحس أنني في عالم غير العالم الذي أعيش فيه .

ولقد كنت أتوقع في كل لحظة أن أرى محمدا واقفا أمامي ، وكثيراً ما كنت أتخيل أنني أسمع صدى كلمته التي كان يرددها حين يراني بحاجة الى إدخال السرور على نفسي (أبي . أبي) ثم يسترسل في الحديث .

لم أبلك ، ويا ليتني أطق البكاء . لأخفف به من وقع المصيبة في نفسي ، وكنت حين أرعوي أردد قول الشاعر مع تحويره :

بكيتك يا (علي) بدمع (قلي)
فلم يغن البكاء عليك شيئا !!
وكانت في حياتك لي عظات
وأنت اليوم أوعظ منك حياً !!

وقد يعتريني من زفرات الحزن ما يملأ صدري فيطغي عليّ الشهيق بدون ارادة ، فأحس بعد ذلك بالراحة ، وليس هذا الأمر متوقفاً على هذه الحالة ، فقد يحدث لي عند مشاهدة أية حادثة مؤثرة . ولو كانت خيالا في (مسرح) أو (سينما) .

وها أنا الآن — بعد مرور خمس سنوات وستة شهور تنقص عشر أيام بعد فقد محمد — أصبحت أشعر بالعزاء يغمز فؤادي ، وبطمأنينة اليقين تسيطر على جميع مشاعري .
وحين يتتابني من بواعث الذكريات ما يهيج الأسى أغالبه — ما استطعت — بالرجوع الى عقلي .

لقد مضى محموداً مرضياً عنه ، وفاز بالشهادة محترقاً غريقاً ، ورأيت في المنام مرارا ، مستبشراً مسروراً ، فأيقنت — وما كنت شاكاً يوماً ما — بأن الله اختار له الخير ، فلماذا الأسى والحزن ، وهما لا يجديان ، والأمر لله ، من قبل ومن بعد ؟؟

لقد كنت كثير التأسى بتعزية متمم بن نويرة للفاروق . وقد قال له : ليتني كنت شاعراً لأرثي أخي زيدا كما رثيت أخاك مالكا !! فأجابه : لو مات أخي كما مات أخوك ما حزنت لموته !! فقال عمر : ما عزاني احد كما عزيتني ! وكان أخوه زيد استشهد في وقعة (عقرباء) بقرب موقع بلدة (الجبيلة) الآن !

ان «معنا» أخا محمد قد بلغ الآن مبلغ الرجال ، ونيطت به بعد الله الامال . وهو وأخواته الأربع قد ملأوا من قلبي ما تركه أخوهم فارغا ، ملأوه بالطاعة ، وبحسن الرعاية ، لا بإثارة الاحزان ، كولدني ابن الرومي :

أرى أخويك الباقيين كليهما
يكونان للأحزان أورى من الزند
لقى طغى الشاؤم على نفس ابن الرومي ، واستولى اليأس على جميع مشاعره ، حتى
أودى بحياته !!
إنني حين أشاهد سبطي (صبا نجد) و(محمد) يلعبان أمامي لا أرى في لعبهما ما رآه
ذلك الشاعر المتشائم في ولديه :

إذا لعبا في ملعب لك لدعا

فؤادي بمثل النار في غير ما عمد

بل يغمران قلبي سروراً بحيث أترك ما بين يدي من عمل ، لأشاركهما في لعبهما ،
فأحس بالراحة طوال وجودهما أمامي ، وإن كان في عبثهما بأوراقى وكتبتي ما يسبب لي
تعباً ، ولكن على حد المثل : (تعبك راحة) !!!

وبعد : فأراني قد أملت حين أطلت في غير محل الاطالة ، وماذا يعني القاريء
باتراح المرء الخاصة أو أفراحه ، ولكنني غير ملوم ، أكثر من أخي الأستاذ الكريم ، الذي
حرك في نفسي شجنا لم أحاول يوماً ما التعبير عنه .

وسأعفيه — رعاه الله — من التطلع إلى معرفة ما تحويه (المكتبة المحترقة التي عز
فقدتها عندي على فقد ولدي) وأعني الابن الكريم الأستاذ محمد الوعيل الذي أجرى
معي الحديث من (اللذع) .

إنها — يا سيدي — لا تحوي من نفائس الكتب ونوادرها أكثر مما تحويه أية مكتبة
خاصة ولكنها حوت جزءاً غير يسير من عصارة فكري طوال حياتي ، وتلك (العصارة)
قد لا يهتم بها ولا يأسى لذهابها أحد سواي ، لأنني أرى بها امتداداً لبقائي في هذا
الوجود .

كنت أسفه رأي (فلي) حين قرأت وصيته لمن يريد قتله ، بأن يصون أوراقه ، وأن
لا يفعل بها فعل ابن شميلان بأوراق (شارل هوبر) — كيف فضل صيانة أوراقه على
صيانة حياته !!

ولكنني أدركت — فيما بعد — ان موت المرء بموت أثره ، لا بذهاب عمره . فهل لا
أزال جديراً باللوم !

حمد الجاسر

هذيل : فروعها ومنازلها

[جاءنا من الأخ الأستاذ محمد جابر الحسني مقال مطول عن قبيلة هذيل حذفنا منه ما يتعلق بالأحلاف أو الأصول القديمة ، وها هو ملخصه] .

المسودة وفروعهم :

- ١ — القرح وعدد فروعها آل محسن وآل ساري وآل كامل وآل دعيج .
- ٢ — الندوية .
- ٣ — بنو صبح .
- ٤ — زليفة وهم يسكنون الشريف وزليفة ابن صاهلة ابن كاهل ابن تميم .
- ٥ — آل زيد بضواحي الطائف .
- ٦ — بنو خالد .
- ٧ — الطلحات .
- ٨ — آل جاهل ويقال لهم الكباكة وهم الآن مع ثقيف ترعة .
- ٩ — السوالة ومنهم آل فرج والبقلة ... الخ .
- ١٠ — آل زيدان ويقطنون بالضحياء .
- ١١ — الجوابرة ويقطنون وادي رهجان وعرعر .
- ١٢ — بنو ياس ويسكنون الضيقة .
- ١٣ — السراونة ويقال لهم الرمدا ويسكنون وادي نعمان .
- ١٤ — محيا ويسكنون المضيق .
- ١٥ — نباتة .

السَّراوِنة :

وهم :-

آل عليه والمجاريش والظهران والمبالشة وآل حميد والسودة وآل حمود ويسكنون شداد هذه فروع من المسودة .

ومن هذيل :

١ — آل خالد ومنهم آل عاطف وآل راشد وآل صالح ويسكنون الشفا .

٢ — الطلحات ومنهم آل مناع وآل منيف وآل عاصب وآل حميدان والبقلة وآل زيد وجميعهم يسكنون الشفا .

٣ — آل فضل وهم الآن يسكنون بأطراف جبل كبكب من الشمال والغرب والجنوب .

وينقسمون إلى ثلاثة أقسام وهم آل محسن والمشابعة وآل دابس .

٤ — السهمة ويسكنون بشعب مدفار في جبل كبكب وأصلهم من ذرية معاوية ابن تميم ابن سعد ابن هذيل ابن مقدرية .

٥ — السبعان ويسكنون ضلعة بجبل كبكب في الطرف الجنوبي وأصلهم من خزاعة دخلوا في هذيل وسبب ذلك أن بني لحيان قتلوا حاطم بن جابر وكان جاراً لأبي جندب الهذلي وكان أبو جندب مريضاً وبعد أن شفي طلب من قومه آل معاوية أن يطالبوا ثأر الخزاعي وزوجته اللذين قُتلا ولكن لم يفعلوا فتركهم وذهب إلى البيت ثم طاف به وبعد الطواف شق ثوبه وصاح في الخلاء من بكر وخزاعة فاستجاشهم على بني لحيان وطلب منهم النصرة فخرجوا معه حتى أصبح بهم بني لحيان فقتل منهم وأخذ بثأر جاره الخزاعي الكعبي وقاتل جاره الخزاعي هو الأغر اللحياني ومن ذلك الوقت دخل بنو كعب في هذيل .

ومنهم السبعان والكعوب اللذين يقطنون بعرفة .

ومن هذيل بنو عمير ويسكنون وادي الزبارة .

٦ — آل جابر وهم من بني قرد وهو عمرو بن معاوية بن تميم بن سعد بن مدركة سمو بهذا الاسم لأن جدهم عمرو ابن معاوية قتل قرداً والعرب يعيرون ذلك ويسكنون شعب مدفار في الطرف الشمالي الشرقي من جبل كبكب .

٧ — الجلاجلة وأصلهم من خزاعة نسبة إلى جدهم جلجلة ابن عمرو الخزاعي ودخلوا مع بني هذيل بن معاوية ويسكنون وادي الشرا شمال وادي نعمان .

٨ — الحوازم وأصلهم من حوازم حرب من أهل وادي الصفراء ويسكنون الآن جنوب كبكب في برقة والنمر ووسيق .

٩ — المشاعلة ويسكنون في النقرة جنوب كبكب بوادي نعمان وأصلهم من آل حميدان من قحطان أهل تثليث في خميس مشيط .

١٠ — القمشان ويسكنون بضلعه بوادي نعمان وأصلهم من مطير أهل الحرّة ، ولهم في ذلك رجز يطول ذكره .

١١ — آل مناع وهم ذرية منيعة ابن كاهل ابن سعد ابن هذيل ويسكنون وادي نعمان .

هذيل آل جميل :

١ — دَعْد وفروعهم : الصمان وآل يعلا والذبية والحسان والضبان والزمان وتسكن قبيلة دعد في وادي ملكان وملك .

٢ — الصلحان وفروعهم السواهرة والسعائد والزواهره ومن الصلحان أيضاً بنو عقيل والضمان ينسبون إلى صخر الغي الشاعر المشهور المعروف هم والمطعان ويسكنون نخلة الشامية والزيمة .

٣ — الحتارشة ويسكنون وادي الصدر ومنهم الرياشا ويسكنون عرفة ووادي نعمان .

٤ — بني مسعود من صاهلة بن كاهل بن الحارث بن تميم بن سعد بن هذيل ويسكنون شمال الزيمة ولهم بلدان بوادي مر الظهران .

٥ — المطارفة .

محمد جابر الحسيني

هذيل : فروعها ومنازلها

[جاءنا من الأخ الأستاذ محمد جابر الحسني مقال مطول عن قبيلة هذيل حذفنا منه ما يتعلق بالأحلاف أو الأصول القديمة ، وها هو ملخصه] .

المسودة وفروعهم :

- ١ — القرح وعدد فروعها آل محسن وآل ساري وآل كامل وآل دعيج .
- ٢ — الندوية .
- ٣ — بنو صبح .
- ٤ — زليفة وهم يسكنون الشريف وزليفة ابن صاهلة ابن كاهل ابن تميم .
- ٥ — آل زيد بضواحي الطائف .
- ٦ — بنو خالد .
- ٧ — الطلحات .
- ٨ — آل جاهل ويقال لهم الكباكة وهم الآن مع ثقيف ترعة .
- ٩ — السوالة ومنهم آل فرج والبقلة ... الخ .
- ١٠ — آل زيدان ويقطنون بالضحياء .
- ١١ — الجوابرة ويقطنون وادي رهجان وعرعر .
- ١٢ — بنو ياس ويسكنون الضيقة .
- ١٣ — السراونة ويقال لهم الرمدا ويسكنون وادي نعمان .
- ١٤ — محيا ويسكنون المضيق .
- ١٥ — نباتة .

السَّراوِنة :

وهم :-

آل عليه والمجاريش والظهران والمبالشة وآل حميد والسودة وآل حمود ويسكنون شداد هذه فروع من المسودة .

ومن هذيل :

١ — آل خالد ومنهم آل عاطف وآل راشد وآل صالح ويسكنون الشفا .

٢ — الطلحات ومنهم آل مناع وآل منيف وآل عاصب وآل حميدان والبقلة وآل زيد وجميعهم يسكنون الشفا .

٣ — آل فضل وهم الآن يسكنون بأطراف جبل كبكب من الشمال والغرب والجنوب .

وينقسمون إلى ثلاثة أقسام وهم آل محسن والمشابعة وآل دابس .

٤ — السهمة ويسكنون بشعب مدفار في جبل كبكب وأصلهم من ذرية معاوية ابن تميم ابن سعد ابن هذيل ابن مقدرية .

٥ — السبعان ويسكنون ضلعة بجبل كبكب في الطرف الجنوبي وأصلهم من خزاعة دخلوا في هذيل وسبب ذلك أن بني لحيان قتلوا حاطم بن جابر وكان جاراً لأبي جندب الهذلي وكان أبو جندب مريضاً وبعد أن شفي طلب من قومه آل معاوية أن يطالبوا ثأر الخزاعي وزوجته اللذين قُتلا ولكن لم يفعلوا فتركهم وذهب إلى البيت ثم طاف به وبعد الطواف شق ثوبه وصاح في الخلاء من بكر وخزاعة فاستجاشهم على بني لحيان وطلب منهم النصرة فخرجوا معه حتى أصبح بهم بني لحيان فقتل منهم وأخذ بثأر جاره الخزاعي الكعبي وقاتل جاره الخزاعي هو الأغر اللحياني ومن ذلك الوقت دخل بنو كعب في هذيل .

ومنهم السبعان والكعوب اللذين يقطنون بعرفه .

ومن هذيل بنو عمير ويسكنون وادي الزبارة .

٦ — آل جابر وهم من بني قرد وهو عمرو بن معاوية بن تميم بن سعد بن مدركة سمو بهذا الاسم لأن جدهم عمرو ابن معاوية قتل قرداً والعرب يعيرون ذلك ويسكنون شعب مدفار في الطرف الشمالي الشرقي من جبل كبكب .

٧ — الجلاجلة وأصلهم من خزاعة نسبة إلى جدهم جلجلة ابن عمرو الخزاعي ودخلوا مع بني هذيل بن معاوية ويسكنون وادي الشرا شمال وادي نعمان .

٨ — الحوازم وأصلهم من حوازم حرب من أهل وادي الصفراء ويسكنون الآن جنوب كبكب في برقة والنمر ووسيق .

٩ — المشاعلة ويسكنون في النقرة جنوب كبكب بوادي نعمان وأصلهم من آل حميدان من قحطان أهل تثليث في خميس مشيط .

١٠ — القمشان ويسكنون بضلعه بوادي نعمان وأصلهم من مطير أهل الحرّة ، ولهم في ذلك رجز يطول ذكره .

١١ — آل مناع وهم ذرية منيعة ابن كاهل ابن سعد ابن هذيل ويسكنون وادي نعمان .

هذيل آل جميل :

١ — دَعْد وفروعهم : الصمان وآل يعلا والذبية والحسان والضبان والزمان وتسكن قبيلة دعد في وادي ملكان وملك .

٢ — الصلحان وفروعهم السواهرة والسعائد والزواهره ومن الصلحان أيضاً بنو عقيل والضمان ينسبون إلى صخر الغي الشاعر المشهور المعروف هم والمطعان ويسكنون نخلة الشامية والزيمة .

٣ — الحتارشة ويسكنون وادي الصدر ومنهم الرياشا ويسكنون عرفة ووادي نعمان .

٤ — بني مسعود من صاهلة بن كاهل بن الحارث بن تميم بن سعد بن هذيل ويسكنون شمال الزيمة ولهم بلدان بوادي مر الظهران .

٥ — المطارفة .

محمد جابر الحسيني

مَا تَّفَقَّ لَفْظُهُ وَافْتَرَقَ مَسْمَاهُ مِنْ أَسْمَاءِ الْأَمَكِنَةِ

للإمام محمد بن موسى الحازمي
(٥٤٨ / ٥٥٨ هـ)

— ٨ —

١٦٩ — بَابُ جَبَلٍ وَجَبَلٍ وَجَبَلٍ وَجَبَلٍ وَجَبَلٍ وَجَبَلٍ وَجَبَلٍ^(١)

أَمَّا الْأَوَّلُ — بَعْدَ الْجِيمِ الْمَفْتُوحَةِ بَاءً مُوَحَّدَةً مَضْمُومَةً مُشَدَّدَةً — : بَلِيدَةٌ قُرْبَ
وَاسِطِ الْعِرَاقِ عَلَى دِجْلَةٍ يُنسَبُ إِلَيْهَا جَمَاعَةٌ مِنْ أَهْلِ الْعِلْمِ مِنْهُمْ أَبُو عِمْرَانَ مُوسَى بْنُ
إِسْمَاعِيلَ الْجَبَلِيُّ رَفِيقُ يَحْيَى بْنِ مَعِينٍ ، حَدَّثَ عَنْ عُمَرَ بْنِ أَبِي جَعْفَرٍ خُثْعَمِ الْهَامِي
وَحَفْصِ بْنِ سَالِمٍ وَغَيْرِهِمَا^(٢) .

(١) هذا الباب عند نصر في حرف الحاء : (باب الحَبَل ، والحَبَل والحَبَل ، والحَبَل والحَبَل والحَبَل ، وحَبَل) .
(٢) لم يزد نصر في تعريف جَبَلٍ على القول : (بفتح الجيم وضم الباء الموحدة المشددة : قرية من سواد العراق ، بين
واسط ومدينة السلام .

وقال ياقوت في «معجم البلدان» : جَبَلٌ : بَلِيدَةٌ بَيْنَ الثُّعَانِيَةِ وَوَاسِطِ فِي الْجَانِبِ الشَّرْقِيِّ كَانَتْ مَدِينَةً ،
وَأَمَّا الْآنَ ، فَلَانِي رَأَيْتُهَا مَرَارًا ، وَهِيَ قَرْيَةٌ كَبِيرَةٌ ، وَإِيَّاهَا عَنَى الْبُحْزَرِيُّ بِقَوْلِهِ :

حَنَانِيكَ مِنْ هَوْلِ الْبَطَاحِ سَائِرًا عَلَى خَطَرٍ ، وَالرَّيْحُ هَوْلٌ دَبُورُهَا
لَشِنْ أَوْحَشَنِي جَبَلٌ وَخَصَّاصُهَا لَمَّا آتَسَنِي وَاسِطٌ وَقُصُورُهَا

وَأَمَّا الثَّانِي — بِفَتْحِ الْجِيمِ وَالْبَاءِ الْمُوَحَّدَةِ — : جَبَلُ الْفِضَّةِ مَوْضِعٌ يُنسَبُ إِلَيْهِ أَبُو إِسْحَاقَ إِبْرَاهِيمُ بْنُ الشَّاذِلِ بْنِ مُحَمَّدٍ الْجَبَلِيُّ ، سَكَنَ هَرَاةَ وَحَدَّثَ بِهَا عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ السَّامِيِّ الْهَرَوِيِّ ، وَمُحَمَّدِ بْنِ إِسْحَاقَ بْنِ خُزَيْمَةَ وَغَيْرِهِمَا ^(١) .

وَأَمَّا الثَّالِثُ — أَوَّلُهُ جِيمٌ مَكْسُورَةٌ ، ثُمَّ يَاءٌ سَاكِنَةٌ تَحْتَهَا نَقْطَتَانِ — : اسْمٌ لِجَبَلَانِ نَاحِيَةٍ كَبِيرَةٍ فِي بِلَادِ الْعَجَمِ ، يُنسَبُ إِلَيْهَا جَمَاعَةٌ ، مِنْهُمْ أَبُو عَلِيٍّ كُوشِيَارُ الْجَبَلِيُّ ، حَدَّثَ عَنْ عُمَرَ بْنِ أَحْمَدَ بْنِ خُرْجَةَ النَّهْأَوْنَدِيِّ وَغَيْرِهِ .

وَقِيلَ : إِذَا قِيلَ : جَبَلَانِي فَهُوَ نِسْبَةٌ إِلَى الْبِلَادِ ، وَإِذَا قِيلَ : جَبَلِيٌّ نِسْبَةٌ إِلَى الْقَوْمِ الَّذِينَ سَكَنُوا هَذِهِ الْبِلَادَ ^(٢) .

وَأَيْضًا : قَرْيَةٌ مِنْ أَعْمَالِ مَدِينَةِ السَّلَامِ ، دُونَ الْمَدَائِنِ ، وَيُقَالُ : بِالْكَافِ بَدَلُ

وبقاضيها يضرب المثل ، وكان من حديثه أن المأمون كان راكباً يوماً في سفينة ، يريد واسطاً ، ومعه القاضي يحيى بن أكرم فرأى رجلاً على شاطئ دجلة ، ينادي ، يُنادي بأعلى صوته : يا أمير المؤمنين ، نِعْمَ الْقَاضِي قَاضِينَا ، نِعْمَ الْقَاضِي قَاضِي جَبَلٍ ، فَضَحَكَ الْقَاضِي يَحْيَى بْنُ أَكْرَمٍ ، فَقَالَ لَهُ الْمَأْمُونُ : مَا يُضْحِكُكَ ؟ قَالَ : يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ هَذَا الْمُنَادِي هُوَ قَاضِي جَبَلٍ يَشِي عَلَى نَفْسِهِ . فَضَحَكَ مِنْهُ ، وَأَمَرَهُ بِشَيْءٍ ، وَعَزَلَهُ وَقَالَ : لَا يَجُوزُ أَنْ يَلِيَ الْمُسْلِمِينَ مِنْ هَذَا عَقْلُهُ — ثُمَّ ذَكَرَ الْمُنْسَوْبِينَ إِلَيْهَا ، فِي مَطْبُوعَةِ «الْمَعْجَمِ الْجَمَامِيِّ» — بَدَلُ الْجَمَامِيِّ .

وزاد ياقوت في المنسوبين إلى الجبل — : قَالَ : (وَأَبُو الْخَطَّابِ مُحَمَّدُ بْنُ عَلِيٍّ بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ إِبْرَاهِيمَ الْجَبَلِيُّ الشَّاعِرُ ، كَانَ مِنَ الْمُجِيدِينَ ، وَكَانَ بَيْنَهُ وَبَيْنَ أَبِي الْعَلَاءِ الْمَعْرِيِّ مُشَاعَرَةٌ ، وَفِيهِ قَالَ أَبُو الْعَلَاءِ قَصِيدَتُهُ :

غَيْرُ مُجْدٍ فِي مِلَّتِي وَاعْتِقَادِي نَوْحُ بَالِكٍ وَلَا تَرْنَمُ شَادِي

ومات أبو الخطاب في ذي القعدة سنة تسع وثلاثين وأربع مئة . انتهى .

(١) لم يذكر نَصْرٌ — فِي الْبَابِ — جَبَلُ الْفِضَّةِ . وَلَمْ يَزِدْ يَاقُوتُ عَلَى مَا ذَكَرَ الْحَازِمِيُّ سِوَى قَوْلِهِ — بَعْدَ كَلِمَةِ (خُزَيْمَةَ) : وَذَكَرَهُ الْخَطِيبُ ، وَأَظُنُّ هَذَا الْجَبَلَ هُوَ جَبَلُ بَنْجَهَرٍ ، وَتَقَدَّمَ ذِكْرُهُ . وَذَكَرَ (بَنْجَهَرٍ) فِي حَرْفِ الْبَاءِ قَائِلًا : (بَنْجَهَرٍ — الْمَاءُ مَكْسُورَةٌ وَيَاءٌ سَاكِنَةٌ وَرَاءَ — مَدِينَةِ بَنَوَاحِي بَلْخٍ ، فِيهَا جَبَلُ الْفِضَّةِ ، وَأَهْلُهَا أَخْلَاطٌ — ثُمَّ وَصَفَ كَثْرَةَ الْفِضَّةِ فِي أَعْلَى جَبَلٍ مَشْرُوفٍ عَلَى الْبَلَدَةِ ، وَطَرِيقَةَ اسْتِخْرَاجِهَا .

(٢) جَبَلٌ — لَمْ يَذْكُرِ الْاسْمَ نَصْرٌ — وَذَكَرَ يَاقُوتُ كُلَّ مَا جَاءَ فِي كِتَابِ الْحَازِمِيِّ غَيْرَ مَنْسُوبٍ ، وَسَمَّى كُوشِيَارَ بْنَ لِيَالِيُوزَ وَذَكَرَ أَنَّ ابْنَ مَآكُولَا رَوَى عَنْهُ ، وَكُلَّ مَا ذَكَرَ فِي كِتَابِ «الْأَنْسَابِ» لِلْسَمْعَانِيِّ ج ٣ ص ٤٦٢ .

الجَيْم — يُنسَبُ إِلَيْهَا أَبُو الْعِزِّ ثَابِتُ بْنُ مَنْصُورِ بْنِ الْمُبَارَكِ الْجَيْلِيُّ مِنْ أَهْلِ الْقُرْآنِ ،
وَسَمِعَ الْحَدِيثَ الْكَثِيرَ ، مُتَأَخِّرٌ .

وقال بعضهم : اسمُ الْقَرْيَةِ جَالٌ — بِالْأَلْفِ — وَتَمَالٌ ^(١) .

وَأَمَّا الرَّابِعُ — أَوَّلُهُ حَاءٌ مُهْمَلَةٌ بَعْدَهَا بَاءٌ مُوَحَّدَةٌ سَاكِنَةٌ — : حَبْلٌ عَرَفَةٌ عِنْدَ
عَرَفَاتٍ ^(٢) .

وَأَمَّا الْخَامِسُ — أَوَّلُهُ حَاءٌ مُهْمَلَةٌ مَضْمُومَةٌ بَعْدَهَا بَاءٌ مُوَحَّدَةٌ مَفْتُوحَةٌ : مَوْضِعٌ
بِالْهَامَةِ .

وَفِي حَدِيثِ سِرَاجِ بْنِ مُجَاعَةَ بْنِ مُرَّارَةَ بْنِ سُلَيْمٍ عَنْ أَبِيهِ عَنْ جَدِّهِ قَالَ : أَتَيْتُ
النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَأَقْطَعَنِي الْفُورَةَ وَغُرَابَةَ وَالْحَبْلَ .

وَبَيْنَ الْحَبْلِ وَحَجَرٍ خَمْسَةَ فَرَاسِخَ .

وقال الْأَزْهَرِيُّ : حَبْلٌ مَوْضِعٌ فِي شَعْرِ لَيْدٍ :

(١) قال ياقوت في تعريف الجليل : والجيلُ أيضاً قرية من أعمال بغداد ، تحت المدائن ، بعد زرارين ، يسمونها
الكيل ، وقد سماها ابن الحجَّاج الكال فقال :

لَعَنَ اللَّهُ لَيْلَتِي بِالْكَالِ إِنَّهَا لَيْلَةٌ تَمُرُّ اللَّيَالِي

كَأَنَّهُ ظَنَّ أَنَّهَا مُمَالَةٌ — واطال ياقوت الحديث عن ثابت بن منصور ، ولم يؤرخ زمانه ، ولكنه ذكر من شيوخه
ومن تلاميذه من يحدد الزمن .

(٦) قال نصر عن الحبل — بفتح الحاء وسكون الباء الموحدة : عرفة (؟) مرةً يقولون الحبل ، ومرةً حبل عرفة ،
وأيضاً بالبصرة ، على شاطئ الفيض ، مُمتدٌّ معه ، وفي عدة مواضع . انتهى .

وذكر ياقوت : الحبل الرمل المستطيل ، وحبل عرفة عند عرقات . قال أبو ذؤيب الهذلي :

فَسَرَّوْحَهَا عِنْدَ الْمَجَازِ عَنِيْبَةٌ تَبَادُرُ أَوَّلِ السَّابِقَاتِ إِلَى الْحَبْلِ

وقال : والحبل أيضاً : موضع بالبصرة على شاطئ الفيض ، مُمتدٌّ منه . وتحدث عن الفيض في موضعه . أما
حبل عرفة فلا يزال معروفاً ، وهو حبلٌ رملٌ مُمتدٌّ من جبل عرفة نحو الجنوب يقف عليه الحجَّاج يوم عرفة .

فَبِخَيْرٍ فَأَطْرَافِ الْحَبْلِ^(١)

وَأَمَّا السَّادِسُ — أَوَّلُهُ خَآءٌ مُعْجَمَةٌ ثُمَّ يَاءٌ سَاكِنَةٌ تَحْتَهَا نَقْطَتَانِ — : بَقِيْعُ الْحَبْلِ

(١) المواضع التي أقطعها الرسول صلى الله عليه وسلم مجاعة بن مُرارة ردت أسماؤها في كثير من كتب المتقدمين محرقة — بصور مختلفة مثل (الفورة — الفورة ، غرابة ، عوانة) إلى صور أخرى ، وقارات الحبل لا تعرف الآن ، ولكن كل المواضع بقرب حَجَرٍ ، قاعدة الإمامة قديماً ، التي قامت مدينة الرياض مكانها .

وترجمة مُجَاعَةٌ في «الاصابة» رقم ٧٧٢٢ — مطولة — وهو المُقْطَع . واسم هلال — الراوي — سقط من كتاب الحازمي ومن «معجم البلدان» ولا يستقيم الكلام بدون ذكره ، إذ جَذُّهُ المُقْطَع هو مُجَاعَةٌ ، وليس مُرارة ، وخبر الاقطاع أورده الأزهرى وغيره بهذا النص «تهذيب اللغة» ج ١٠ ص ١٢ وما بعدها

وجدثنا محمد بن اسحاق ، قال : حدثنا يعقوب الدورقي ، قال : حدثنا الحارث بن مرارة الحنفي ، قال : حدثنا المأمور بن سراج بن مجاعة ، وطريف بن سلامة بن نوح بن مجاعة والأفواقي بنت الأغر أن مجاعة أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال قائلهم :

وَمَجَاعُ الْإِمَامَةِ قَدْ أَتَانَا يُخْبِرُنَا بِمَا قَالَ الرَّسُولُ
فَأَعْطَيْنَا الْمَقَادَةَ وَاسْتَقَمْنَا وَكَانَ الْمَرْءُ يَسْمَعُ مَا يَقُولُ

فأقطعته رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وكتب له بذلك كتاباً :

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

هذا كتاب كتبه محمد رسول الله لمجاعة بن مرارة بن سُلمي : إني أقطعك الفورة وعوانة من العرمة والحبل فمن حاجك فإلي .

قال : فلما قبض رسول الله صلى الله عليه وسلم وفد على أبي بكر فأقطعته الخِصْرَمَةَ ثم وفد على عمر فأقطعته الرِّيا بالحجر .

ثم إن هلال بن سراج بن مجاعة وفد إلى عمر بن عبد العزيز بكتاب رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد ما استخلف فأخذه عمر فقبله ووضع على عينيه ومسح به رسول الله صلى الله عليه وسلم فسمّر عنده هلال ليلة فقال له يا هلال : أبقني من كهول بني مجاعة أحد؟ قال نعم وشكراً كثير . فضحك عمر وقال : كلمة عربية ، قال فقال جلساؤه : وما الشكر يا أمير المؤمنين ؟

قال : ألم تر إلى الزرع إذا زكا فأخرج فنبت في أصوله فذلكم الشكر ، ثم أجازته وأعطاه وأكرمه وأعطاه في فرائض العيال ، والمقاتلة . قلت أراد بقوله : وشكراً كثير أي ذرية صغار شبههم بشكر الزرع وهو ما نبت منه صغاراً في أصوله .

وتحديد المسافة بين حَجَرٍ وبين الحبل بخمسة فراسخ (الفرسخ ٣ أميال = ١٥ ميلاً نحو ٣٠ كيلاً) ذكره كثير من المتقدمين كصاحب كتاب «بلاد العرب» وغيره وجاء في كتاب نصر : — عن الحبل — (بضم الحاء وفتح

مَوْضِعُ بِالْمَدِينَةِ عِنْدَ دَارِ زَيْدِ بْنِ ثَابِتٍ^(١) .

وَأَيْضاً : جَبَلُ قُرْبِ الْمَدِينَةِ ، بَيْنَ مُجَنَّبٍ وَصِرَارٍ ، لَهُ ذِكْرٌ فِي الْمَغَازِي^(٢) .

وَرَوْضَةُ الْخَيْلِ نَجْدِيَّةٌ^(٣) .

وَأَمَّا السَّابِعُ — أَوَّلُهُ خَاءٌ مُعْجَمَةٌ مَضْمُومَةٌ بَعْدَهَا تَاءٌ فَوْقَهَا نُقْطَتَانِ مُشَدَّدَةٌ مَضْمُومَةٌ
أَيْضاً — : صُقْعٌ فِي بِلَادِ الشَّرْقِ يُنسَبُ إِلَيْهِ جَمَاعَةٌ مِنْ رِوَاةِ الْحَدِيثِ ، وَغَيْرُهُمْ مِنْهُمْ

→ الباء الموحدة : من أرض البغامة ، روى أبو عبيد أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أقطع مُجَاعَةَ بن مُرَاة بن سلمى الغورة ، وغرابة ، والحبل ، وبين الحبل وحجر نحو خمسة فراسخ) وهذا في كتاب «الأموال» لأبي عبيد القاسم بن سلام .

وللتوسع في خبر الاقطاع وتجهيد مواضعه يحسن الرجوع إلى كتابي «القطائع النبوية» .

والحبل الوارد في شعر لبيد هو الوارد في خبر الاقطاع ، وَخِزْرِ حَدُّهُ الهمداني في «صفة جزيرة العرب» ص ٢٨٠ طبع دار البغامة — بما نصه : (ففرع السلمي من دون قارات الحبل من عن يمين حجر ، من قصدير مطلع الشمس ، يلب خنزير بينه وبين بركة السخالي ، فيه الحفير العليا ، والحفيرة السفلى ، وهما ماءان دفنان ، وفي وسط السلمي من تحت خنزير هيت النجدية . انتهى . وإذن فخنزير هو الجبل الممتد شرق السلمي الذي يقع فيه هيت ، الذي يعرف أحد أنوفه باسم (خشم العان) .

(١) زاد نصر عن بقيع الخيل : دُفِنَ بِهِ عَامَةٌ قَتَلَى أُحُدٍ ، وَأَظْلَهُ بَقِيعُ (الفرقد) كَذَا قَالَ وَأَرَاهُ أخطاءً ، فشهداء أحد دفنوا بقرب جبل أحد بينه وبين المدينة حيث قُتِلُوا ، ولا يزال موضع دفنهم معروفاً . وبقيع الفرقد هو مقبرة المدينة المعروفة الآن ، وهو غير بقيع الخيل الذي كان موقعه داخل المدينة بقرب دار زيد بن ثابت ، ولتجهيد موقع الموضعين يحسن الرجوع إلى كتاب «وفاء الوفاء» للسهودي ، وقد تغيرت أسماء المواضع التي داخل المدينة بتغير العمران في كل زمان .

(٢) كلام نصر : جبل بالمدينة إلى آخر التعريف وقال نصر عن صرار في باب (الصاد) : ماء قرب المدينة محترف جاهلي على سمت العراق ، وقيل أطم لبني عبد الأشهل ، وحدد ياقوت والفيروز آبادي موقع صرار : بأنه على ثلاثة أميال من المدينة على طريق العراق ، من ناحية الحرّة .

أما مُحَنَّبٌ فقد ذكر ياقوت أنه اسم بئر وأرض بالمدينة من ناحية طريق العراق .

(٣) لم يزد نصر في تعريف روضة الخيل على ما ذكر الحازمي ، ولكن ياقوتاً — طيب الله ثراه — قال في «معجم البلدان» : روضة الخيل لبني يربوع ، قال أبو عمرو بن العلاء ، المنجشانية على ستة أيام (كذا) من البصرة ، وفوق ذلك روضة الخيل ، كانت مهارة قيس بن مسعود بن قيس بن خالد الشيباني — ذي الجدين ، صاحب مَسْلَعَةٍ كَسَرَى عَلَى الطُّغْ — تَرَعَى فِيهَا . قال الشمرذل بن شريك اليربوعي :

دَارُ الْجَمِيعِ بِرَوْضَةِ الْخَيْلِ اسْلَمِي وَسُقِيَتْ مِنْ بَحْرِ السَّحَابِ مَطِيرًا

وكلمة (ستة أيام) صوابها (سنة أميال) كما نقل ياقوت كلام أبي عمرو بن العلاء في رسم (المنجشانية) وكما ورد تحديد هذا الموضع في كتاب «المناسك» .

وَأَذَنُ : فروضة الخيل تلك ليست معدودة من بلاد نجد ، فهي في أحواز العراق ، بقرب البصرة .

عَبَادُ بْنُ مُوسَى الْخَثَلِيُّ وَابْنُهُ إِسْحَاقُ بْنُ عَبَّادٍ (١) .

١٧٠ — بَابُ جَبِيلٍ وَجَبَلٍ وَحَبْلٍ (٢)

أَمَّا الْأَوَّلُ — بَعْدَ الْجِيمِ الْمَضْمُومَةِ بَاءً مُوَحَّدَةً مَفْتُوحَةً ، ثُمَّ يَاءً سَاكِنَةً تَحْتَهَا نَقْطَتَانِ — : مِنْ مُدُنِ الْعَوَاصِمِ ، عِنْدَ بَيْرُوتَ مِنْ فُتُوحِ يَزِيدَ بْنِ أَبِي سَفْيَانَ ، يُنسَبُ إِلَيْهَا أَبُو سَعِيدٍ الْجَبِيلِيُّ يَرْوِي عَنْ أَبِي زِيَادٍ عَبْدِ الْمَلِكِ بْنِ دَاوُدَ ، رَوَى عَنْهُ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ يُونُسَ ، وَغَيْرُهُ نَفَرٌ (٣) .

وَأَيْضًا : جَبَلٌ أَحْمَرٌ مِنْ أُخَيْلَةَ حِمَى فَيْدَ ، بَيْنَهُ وَبَيْنَ فَيْدَ سِتَّةَ عَشَرَ مِيلًا ، وَلَيْسَ بَيْنَ الْكُوفَةِ وَفَيْدَ جَبَلٌ غَيْرُهُ (٤) .

- (١) قال نصر عن خثل : صَفْعٌ واسع بخراسان وقال ياقوت : خَثَلٌ كورة واسعة كثيرة المدن ، خلف جيجون — وراء النهر — وأطال الكلام ، وذكر المنسويين إلى خثلٍ وقبله السمعاني في «الأنساب» .
- (٢) هذا الباب في كتاب نصر في حرف الحاء : (باب حَبْلٍ وَخَثَلٍ وَجَبِيلٍ وَجَبَلٍ) .
- (٣) عن جَبِيلٍ قال نصر : — وبضم الجيم وفتح الباء الموحدة وباء ساكنة — : جبل أَحْمَرٌ عَظِيمٌ ، مِنْ أُخَيْلَةَ حِمَى فَيْدَ ، لَيْسَ بَيْنَ الْكُوفَةِ وَفَيْدَ جَبَلٌ غَيْرُهُ ، بَيْنَهُ وَبَيْنَ فَيْدَ سِتَّةَ عَشَرَ مِيلًا ، وَأَيْضًا : بَيْنَ الْمُشَلَّلِ بِالْمَدِينَةِ وَالْبَحْرِ وَأَيْضًا مَدِينَةٌ بِالشَّامِ عِنْدَ بَيْرُوتَ مِنْ فُتُوحِ يَزِيدَ بْنِ أَبِي سَفْيَانَ ، وَجَبِيلٌ بَأَنُ جَبَلٍ بَيْنَ أَقَاعِيَةِ وَالْمَسْلُحِ ، يَنْبِتُ الْبَانُ ، وَهُوَ صَلْدٌ أَصْمٌ . انْهَى كَلَامَ نَصْرٍ . وَقَدْ أورد ياقوت كلام نصر غير منسوب ولكنه قال : وَجَبِيلٌ أَيْضًا مَوْضِعٌ بَيْنَ الْمُشَلَّلِ — مِنْ أَعْمَالِ الْمَدِينَةِ وَالْبَحْرِ — وَهَذِهِ الْجُمْلَةُ أَوْضَحُ مِنْ كَلَامِ نَصْرٍ ، فَالْمُشَلَّلُ لَيْسَ فِي الْمَدِينَةِ ، وَلَا مِنْ أَعْمَالِهَا أَيْضًا — بَلْ مِنْ أَعْمَالِ مَكَّةَ ، إِذْ هُوَ الْجَبَلُ الَّذِي فِيهِ الثَّنْبَةُ الَّتِي يَنْزِلُ مِنْهَا عَلَى قَدِيدٍ .
- أَمَّا جَبِيلٌ الَّتِي عِنْدَ بَيْرُوتَ ، فَلَا تَزَالُ مَعْرُوفَةً ، وَتَقَعُ بَيْنَ مَدِينَةِ بَيْرُوتَ وَبَيْنَ طَرَابُلُسَ وَقَدْ أَطَالَ ياقوت الحديث عنها ، وذكر كثيرًا ممن ينسب إليها .

كما ذكر ياقوت مواضع يطلق عليها اسم الجبيل أخرى منها :
الْجَبِيلُ : ماء لبني زيد بن عُبَيْدِ بْنِ ثَعْلَبَةَ الْخَنْفِيَّينَ ، بِالْإِمَامَةِ . وَلَا أَسْتَبْعِدُ الصَّلَةَ بَيْنَ الْجَبِيلِ هَذَا وَبَيْنَ الْجَبِيلَةِ الَّتِي أَصْبَحَتْ الْآنَ قَرْيَةً ، فَهِيَ فِي بِلَادِ بَنِي حَنْفِيَّةَ ، وَقَدْ سُمِّيَتْ الْعَيْنُ الَّتِي مِنْ بِلَادِهِمْ أَيْضًا بِقَرْبِ الْجَبِيلَةِ — الْعَيْنَةُ الْآنَ .

- (٤) وَأَمَّا الَّذِي مِنْ أُخَيْلَةَ الْحِمَى ، فَقَدْ ذَكَرَهُ الْمَهْجَرِيُّ بِقَوْلِهِ — فَمَا وَرَدَ مِنْ كَلَامِهِ فِي «مَعْجَمٍ مَا اسْتَعْجَمَ» غَيْرَ مَنْسُوبٍ — فِي الْكَلَامِ عَلَى حِمَى فَيْدَ : (وَأَوَّلُ أَجْبَلِهِ عَلَى ظَهْرِ طَرِيقِ الْكُوفَةِ بَيْنَ الْأَجْفَرِ وَفَيْدَ — جَبِيلٌ عَنِيْزَةٌ ، وَهُوَ فِي شَقِّ بَنِي سَعْدَ بْنِ ثَعْلَبَةَ . أَمَّا السَّمْعُودِيُّ فِي «وَفَاءِ الْوَفَاءِ» الَّذِي صَرَّحَ بِالنَّقْلِ عَنِ الْمَهْجَرِيِّ فَأورد العبارة هكذا : (جبل يقال له الْجَبِيلُ أَحمر عظيم) إلخ .

وجَبِيلُ بَانَ : جَبَلٌ بَيْنَ أَقَاعِيَّةَ وَالْمَسْلَحِ ، نَبَاتُهُ الْبَانُ^(١) .

وَأَمَّا الثَّانِي — بَعْدَ الْجَبِيمِ الْمَفْتُوحَةِ بِآءٍ مُوَحَّدَةٍ سَاكِئَةٍ ثُمَّ تَاءٌ فَوْقَهَا تُقْطَعَانِ ،
مَفْتُوحَةٌ — : مَوْضِعٌ بِالْيَمَنِ مِنْ دِيَارِ نَهْدٍ ، لَهُ ذِكْرٌ فِي الشَّعْرِ^(٢) .

وَأَمَّا الثَّالِثُ — أَوَّلُهُ حَاءٌ مُهْمَلَةٌ مَفْتُوحَةٌ بَعْدَهَا نُونٌ سَاكِئَةٌ ثُمَّ بَاءٌ مُوَحَّدَةٌ مَفْتُوحَةٌ
— : رَوْضَةٌ فِي دِيَارِ تَمِيمٍ^(٣) .

→ وزاد المهجريُّ موقعَ هذا الجبيلِ تحديداً بقوله : (وإلى جنبه ماء يقال لها الكهفة) . ويرى المستشرق موزل في كتاب «شمال نجد» أنه جبل الوبرية ، ولكن هذا شرق فيد ، وتكاد الأوصاف تنطبق على الجبل الواقع شمال الكهفة بقربها ، المعروف الآن باسم (جبل الحَوَيْضِ) وطريق الحج الكوفي يمرُّ بقربه (يقع بقرب خط الطول ٢٧/٥٨ وخط العرض ٢٧/١٥) وبقربه آثار بركة قديمة تدعى بركة الحَوَيْضِ (وانظر هذا الاسم في كتاب «شمال المملكة» ص ٤٨٦) .

(١) جَبِيلُ بَانَ : ذكره عَرَّامُ السُّلَمِيِّ في كتابه «أسماء جبال تهامة وسكانها» — ص ٤٣٧ — نوادر المخطوطات ج ٢ — بما نصَّه — في كلامه على صُفِينَةِ الْبَلَدَةِ الْمَرْوُوقَةِ الْآنَ — وحذاؤها مياه أخرى يقال لها التَّجِيرُ ، وبجذائها ماءٌ يقال لها التَّجَارَةُ .. وأسفل منها بصحراء مستوية عمودان طويلان ، لا يرقاها أحد إلا أن يكون طائراً ، يقال لأحدهما عمود البان — موضع — والآخر عمود السفح ، وهو من عن يمين الطريق المصعد من الكوفة ، على ميل من أفيعة وأقاعية هضبة كبيرة شامخة ، وإنا اسم القرية ذو النَّحْلِ ، وهي مرحلة من مراحل الطريق ، وبها مَلْعٌ ، ويستعذب لها من التَّجَارَةِ والتَّجِيرِ . انتهى كلام عَرَّامٍ وأراه أصل من ذكروا (جَبِيلُ بَانَ) ولكن عَرَّاماً لم يَقُلْ أنه ينبت البان ، بل ذكر أن البان اسم موضع ، وكيف يُنْبِتُ البان وهو — على ما وصف نَصْرٌ — صَلْدٌ أَصَمٌ .

(٢) جَبِيلٌ — قال نَصْرٌ : بفتح الجيم وسكون الباء الموحدة تليها تاءٌ عليها نقطتان — : موضع باليمن من ديار نَهْدٍ . انتهى ولم يزد ياقوت على ما في كتاب الحازمي سوى قوله (علم مرتجل) فلم يورد شعراً . ولا أستبعد أن يكون الاسم مصحفاً . وبلاد نَهْدٍ هي أودية تَثْلِيثٍ وطَرِيبٌ وأعلى بيشة — أي بلاد قمحطان الآن ، جنوب شرق إمارة بلاد عسير .

(٣) حَنْبَلٌ — لم يزد تعريف الحازمي هذا على ما في كتاب نَصْرٍ . وزاد ياقوت : قال الفرزدق :
أَعْرِفْتَ بَيْنَ رَوَيْتَيْنِ وَحَنْبَلٍ
دِمْنًا تَلُوحُ كَأَنَّهَا أَسْطَارُ
ولم أعرف موقع هذه الروضة ، ولا أستبعد الصِّلةَ بينها وبين الْحَنْبَلِيِّ الموضع المعروف قديماً وحديثاً بهذا الاسم ، وهو من بلاد بني تميم ، بين الدهناء والصَّمَّانِ ، وفيه رياض ، وانظر عن تحديد موقعه كتاب «المنطقة الشرقية» من أقسام «المعجم الجغرافي للبلاد العربية السعودية» أما حَنْبَلٌ — الوارد في كلام نَصْرٍ — وعرفه بأنه موضع في ديار بني كلاب ، فلا يزال معروفاً بهذا الاسم . وهو وادٍ من أودية عالية نجد — أنظر عنه كتاب «عالية نجد» للأستاذ سعد بن جنيدي ، وهو من أقسام «المعجم الجغرافي» .

١٧١ — بَابُ جَبَلَةٍ وَحَيْلَةٍ^(١)

أَمَّا الْأَوَّلُ — بَعْدَ الْجَيْمِ الْمَفْتُوحَةِ بَاءً مُوَحَّدَةً مَفْتُوحَةً أَيْضاً — : عِدَّةُ مَوَاضِعَ^(٢) .

مِنْهَا جَبَلَةُ الْحِجَازِ ، يُنسَبُ إِلَيْهَا أَبُو الْقَاسِمِ سُلَيْمَانُ بْنُ عَلِيٍّ الْجَبَلِيُّ الْحِجَازِيُّ الْمُقِيمُ بِمَكَّةَ ، سَمِعَ الْحَدِيثَ ، وَرَوَى^(٣) .

(١) هذا من أبواب كتاب نصر في حرف الحاء .

(٢) عَرَفَ نَصْرُ جَبَلَةٍ بِقَوْلِهِ : مِنْ بُلْدَانِ الثُّغُورِ الشَّامِيَّةِ ، وَأَيْضاً : جَبَلٌ بِضَرِيَّةَ ، ذُو شِعَابٍ . وَقِيلَ : هَضْبَةٌ حَمْرَاءُ ، قِيلِي أَضَاحَ . انْتَهَى .

(٣) قال ياقوت في «معجم البلدان» : وجبلَةٌ أيضاً موضع بالحجاز ، قال أبو بكر في «الفصل» : منها أبو القاسم سليمان بن علي الجبلي الحجازي ، المقيم بمكة ، حدث عن ابن عبد المؤمن وغيره . قال : والحسن بن علي بن أحمد ، أبو علي الجبلي — أَظُنُّهُ مِنْ جَبَلَةِ الْحِجَازِ ، كَانَ بِالْبَصْرَةِ ، رَوَى عَنْ أَبِي خَلِيفَةَ الْفَضْلِ بْنِ الْحُبَابِ الْجُمُحِيِّ ، وَمُحَمَّدَ بْنَ عَزْرَةِ الْجَوْهَرِيِّ ، وَبَكْرَ بْنَ أَحْمَدَ بْنِ مَقْبَلٍ ، وَمُحَمَّدَ بْنَ يُونُسَ الْعُصْفَرِيِّ ، وَمُحَمَّدَ بْنَ عَلِيٍّ النَّاقِدِ ، الْبَصْرِيِّ . رَوَى عَنْهُ الْقَاضِي أَبُو الْحَسَنِ عَلِيُّ بْنُ مُحَمَّدَ بْنِ حَبِيبٍ الْمَوْرُوثِيُّ وَغَيْرُهُ . انْتَهَى كَلَامُ يَاقُوتَ .

وأبو بكر هو الحازمي ، و«الْقَيْصَلُ» مِنْ مَوْلاَتِهِ — ذَكَرْتُهُ فِي الْمَقْدِمَةِ . وَيُظْهِرُ أَنَّ الْحَازِمِيَّ نَقَلَ عَنْ كِتَابِ «الْإِكْمَالِ» لابن ماكولا ، فَالْكَلَامُ فِيهِ — ج ٣ ص ٣٢٥ — وَعَنْهُ نَقَلَ السَّمْعَانِيُّ فِي «الْأَنْسَابِ» ج ٣ ص ١٩٢ .

وأورد ياقوت في كلامه على جبلَةِ الشَّامِ مَا نَصَّهُ : قَالَ أَبُو الْفَضْلِ مُحَمَّدُ بْنُ طَاهِرٍ : مِنْ جَبَلَةِ هَذِهِ أَبُو الْقَاسِمِ سُلَيْمَانُ بْنُ عَلِيٍّ الْجَبَلِيُّ الْمُقِيمُ بِمَكَّةَ ، وَهُوَ مِنْ جَبَلَةِ الشَّامِ . فَهَذَا كَمَا تَرَى نَسَبَهُ الْحَازِمِيَّ إِلَى جَبَلَةِ الْحِجَازِ ، وَلَمْ أَرْ غَيْرَهُ ذَكَرَ بِالْحِجَازِ مَوْضِعاً يُنسَبُ إِلَيْهِ يَقَالُ لَهُ جَبَلَةٌ وَاللَّهِ أَعْلَمُ . ثُمَّ قَالَ بَعْدَ كَلَامٍ طَوِيلٍ : وَجَبَلَةٌ أَيْضاً قَالَ أَبُو زَيْدٍ : جَبَلَةٌ حِصْنٌ فِي آخِرِ وَادِي السَّنَارَةِ ، بَنِيَامَةٌ مِنْ نَاحِيَةِ ذَرَّةَ — ثُمَّ أوردَ كَلَامَ عَرَّامٍ — وَقَالَ : وَلَعَلَّ الْحَازِمِيَّ أَرَادَ جَبَلَةَ هَذِهِ . ثُمَّ ذَكَرَ جَبَلَةَ أَيْضاً : قَرْيَةٌ لِبَنِي عَامِرِ بْنِ عَبْدِ الْقَيْسِ ، بِالْبَحْرَيْنِ . انْتَهَى . وَيَاقُوتَ كَثِيرُ التَّعَقُّبِ عَلَى الْحَازِمِيِّ ، وَكَثِيرُ النَّقْدِ لِكَلَامِهِ . وَفَاتَهُ أَنَّ ابْنَ مَآكُولَا نَسَبَ سُلَيْمَانَ بْنَ عَلِيٍّ إِلَى جَبَلَةِ الْحِجَازِ وَهُوَ قَبْلَ الْحَازِمِيِّ بِنَحْوِ قَرْنٍ مِنَ الزَّمَانِ .

وَعَدُّ صَاحِبِ كِتَابِ «الْمَنَاسِكِ» — ص ٤١٤ جَبَلَةً مِنْ مَنَابِرِ الْمَدِينَةِ فَقَالَ — مَا مَلَخَصَهُ — الْمَدِينَةُ نَجْمِي عَلَى أَرْبَعَةِ عَشَرَ مَنَابِرًا : خَيْرٌ ، ثُمَّ وَادِي الْقَرْيِ ، ثُمَّ الْمُرُوءَةُ ، ثُمَّ الْعَيْصُ ، ثُمَّ يَنْبِيعٌ ، ثُمَّ الْجَارُ ، ثُمَّ الصَّفْرَاءُ ، ثُمَّ وَدَّانٌ وَقَدْ خَرِبَتْ ، ثُمَّ الْفَرْعُ عَامِرَةٌ ، ثُمَّ السَّائِرَتَيْنِ بَيْنَهُمَا مَيْبِرَانٌ ، ثُمَّ جَبَلَةٌ ، أَكْثَرُ أَهْلِهَا الْفَرَسُ ، ثُمَّ رَهَاطٌ . وَأَقْدَمُ نَصٍّ قَرَأْتُهُ عَنْ جَبَلَةِ الْحِجَازِ مَا جَاءَ فِي رِسَالَةِ عَرَّامِ السَّلْمِيِّ «أَسْمَاءُ جِبَالِ تِهَامَةٍ» — ٤٠٨ مِنْ نَوَادِرِ الْمَخْطُوطَاتِ ج ٢ — قَالَ : وَيَزْعُمُونَ أَنَّ جَبَلَةَ أَوَّلَ قَرْيَةٍ اتَّخَذَتْ بَنِيَامَةٌ ، وَبِجَبَلَةٍ حَصُونٌ مُنْكَرَةٌ ، مَبْنِيَّةٌ بِالصُّخْرِ ، لَا يَرُومُهَا أَحَدٌ . وَقَالَ الْبُشَارِيُّ فِي «أَحْسَنِ التَّقَاسِيمِ» — ص ٧٩ — طَبْعَةٌ لِيَدْنِ سَنَةِ ١٩٠٧ — : —

ومنها جبلة : قرية بالشام منها يوسف بن بحر الجبلي سمع سليم بن ميمون الخواص ، وغيره ، روى عنه أبو المعافا أحمد بن محمد بن إبراهيم الأنصاري الجبلي^(١) .

وأما الثاني — أوله حاء مهملة مفتوحة بعدها ياء ساكنة تحتها نقطتان — : بلد بالسراة كان يسكنه حي من العاربة الأولى ، أجلتهم عنه قسر بن عبقر بن أنار بن إراش^(٢) .

١٧٢ — باب جب وحت وحت^(٣)

أما الأول — بعد الجيم المضمومة بآء موحدة مشددة — : ماء في ديار بني عامر

→ (جبلة كبيرة ، بها متاجر ، جبلة عليها حصن منيع ، يقال له المهد ، الجامع خارجة انتهى . وموقع جبلة هذه لا يزال معروفاً ، في وادٍ يدعى ظفر من روافد وادي قديد ، في بلاد بني سليم وأضافها المحجري إلى الفرع فقد روى في كتابه «النوادر والتعليقات» : عن شيخ من أهل جبلة الفرع ، روى شعراً لحاتم بن مذكرك الحنشي السلمي — ص ٢٢٢ —
(١) أطال ياقوت الكلام على جبلة الشام ، ولا تزال هذه البلدة معروفة ، ولكن اسمها ينطق بإسكان الباء — وهي مدينة على ساحل البحر ، يتر بها الطريق من طرابلس الشام إلى اللاذقية ، وفي هذه البلدة ولد الشيخ عز الدين القسام ، المؤسس الأول للمقاومة الفلسطينية — أنظر مجلة «العرب» س ٦ ص ٢٦ — وانظر عن جبلة التي في البحرين كتاب «المنطقة الشرقية» .

وأما جبلة الجبل الذي ذكر نصر ، فهو من أشهر جبال نجد المعروفة ، وهو خارج حتى ضربة ، ويقع جنوب أضاخ ، يقربه ، وقد أطال ياقوت الكلام عليه — وانظر كتاب «عالية نجد» أحد أقسام «المعجم الجغرافي للبلاد العربية السعودية» .

(٢) قال نصر عن جبلة : بفاح الحاء وتليها ياء ساكنة — : بلد بالسراة ، وكان يسكنه بنو ثابر ، حي من العاربة الأولى ، أجلتهم عنه قسر بن عبقر بن أنار . انتهى ويظهر أن أصل هذا القول من كلام ابن الكلبي في كتاب «افتراق القبائل» ولكن البكري أورد كلام ابن الكلبي بطوله ، ومما جاء فيه قوله — «معجم ما استعجم» — ٥٨ الطبعة المصرية — : فظلمت بجيلة وختتم ابنا أنمار إلى جبال السراوات فنزلوها ، وانتسبوا فيهم ، فنزلت قسر بن عبقر بن أنمار حقال حلية وأسالم ، وما صاقيها من البلاد ، وأهلها يومئذ حي من الغاربة ، يقال لهم بنو ثابر ، فأجلوهم عنها ، وحلوا مساكنهم منها ، ثم قاتلوهم فغلبوهم على السراة ، ونفوهم عنها . انتهى فانت ترى اسم المكان حلية — بتقديم اللام على المثناة التحتية — وأراه الصواب وأن ما ورد في كتاب نصر وعنه نقل الحازمي — مصحفاً ، وياقوت قلدهما فنقل كلامها غير منسوب ولا مُحقق ، مع أنه نقل الكلام المتقدم في رسم (حلية) بعد قوله : حلية واد بين أعيار وعليب ، يفرغ في السرين .

(٣) عند نصر : (باب الجب والغب والغت والحت وحت) .

يَقَالُ لَهُ الْجُبُّ^(١) .

وَجُبُّ عَمِيرَةَ بِمِصْرَ ، يُنسَبُ إِلَى عَمِيرَةَ بْنِ تَمِيمٍ بْنِ جَزَةَ التَّجِيبِيِّ^(٢) .

وَأَمَّا الثَّانِي — أَوَّلُهُ حَاءٌ مُهْمَلَةٌ ثُمَّ تَاءٌ فَوْقَهَا نُقْطَتَانِ — : مَحَلَّةٌ مِنْ مَحَالِّ الْبُصْرَةِ خَارِجَةٌ عَنْ سُورِهَا ، سُمِّيَتْ بِقَبِيلٍ مِنَ الْيَمَنِ نَزَلُوهَا^(٣) .

(١) لم يزد على تعريف نصر . أما ياقوت فقال : الْجُبُّ : واحد الجُبَابِ ، وهي البئر التي لَمْ تُطَوَّ : مدينة قُربَ بلاد الرُّنَجِ ، في أرض بَرْبَرَةٍ ، يُجَلَّبُ مِنْهَا الزَّرَافَةُ ، وَجُلُودُهَا يَتَّخِذُهَا أَهْلُ فَارِسَ نَعَالًا وَالْجُبُّ أَيْضًا : أَحَدُ حَاضِرِ طِيءٍ ، يَسْلَمَى أَحَدُ جَبَلَيْهِمْ ، وَبِهِ نَخْلٌ وَمِيَاهٌ .

وَالْجُبُّ أَيْضًا : مَاءٌ فِي دِيَارِ بَنِي عَامِرٍ .

وَالْجُبُّ أَيْضًا مَاءٌ مَعْرُوفٌ لِبَنِي ضَبِيئَةَ بْنِ جَعْدَةَ بْنِ غَنِيٍّ بْنِ يَعْقُزَ ، قَالَ لَيْدٌ :

أَبْنِي كَلَابٍ كَيْفَ تُنْفَى جَعْفَرُ وَبَنُو ضَبِيئَةَ حَاضِرُوا الْأَجَابِ ؟

وَالْجُبُّ أَيْضًا : ذَكَرَهُ الْأَصْمَعِيُّ فِي كِتَابِ «جَزِيرَةِ الْعَرَبِ» مِنْ مِيَاهِ جَعْفَرِ بْنِ كَلَابٍ يَنْجِدُ ، قَالَ : ثُمَّ

الْجُبُّ يَأْرُ فِي وَسْطِ وَادٍ ، وَهُوَ الَّذِي يَقَالُ لَهُ جُبُّ يَوْسُفَ عَلَيْهِ السَّلَامُ — كَذَا قَالَ !

وَالْجُبُّ أَيْضًا : دَاخِلٌ فِي بِلَادِ الضَّبَابِ وَبِلَادِ عَبَسَ ، ثُمَّ بِلَادِ أَبِي بَكْرٍ — ثُمَّ ذَكَرَ جُبَّ عَمِيرَةَ .

فَكَانَ الْجُبُّ فِي الْأَصْلِ وَصْفٌ ، ثُمَّ أُطْلِقَ عَلَمًا عَلَى عِدَدٍ مِنَ الْمِيَاهِ ، مِنْهَا فِي دِيَارِ بَنِي عَامِرٍ غَيْرُ وَاحِدٍ ،

لَأَنَّ جُبَّ بَنِي ضَبِيئَةَ كَانَ مِنْ مِيَاهِ جَعْفَرِ بْنِ كَلَابٍ وَهُمْ وَالضَّبَابُ وَبَنُو أَبِي بَكْرٍ كُلُّهُمْ مِنْ بَنِي عَامِرٍ أَمَّا جُبُّ

يَوْسُفَ الْمَعْدُودِ مِنْ مِيَاهِ بَنِي جَعْفَرٍ ، فَقَدْ وَرَدَ ذِكْرُهُ فِي كِتَابِ «بِلَادِ الْعَرَبِ» — ص ١١٢ مِنْ مَنَشُورَاتِ دَارِ

الْعِلْمِ — هَذَا النَّصُّ : — فِي الْكَلَامِ عَلَى مِيَاهِ بَنِي جَعْفَرٍ وَجَاهَا — بَعْدَ ذِكْرِ وَسَطٍ وَقُبَيْعٍ وَالنَّامِيَةِ ، وَالْأَنْبِجَةِ

وَذَبْدَبٍ وَكُلَّهَا فِي حِمَى ضَرْبَةٍ جَنُوبَةٍ : — (ثُمَّ مَعْرُوفٌ ، وَهُوَ مَاءٌ لَهُ جِبَالٌ يَقَالُ لَهَا جِبَالُ مَعْرُوفٍ ، ثُمَّ

الْجُبُّ : بَنَارٌ فِي بَطْنِ وَادٍ ، وَهُوَ الَّذِي يَقَالُ إِنَّهُ جُبُّ يَوْسُفَ — عَلَيْهِ السَّلَامُ — إِلَى أَنْ قَالَ : — وَجَمِيعُ ذَلِكَ

مَا بَيْنَ ضَرْبَةٍ إِلَى حَقِيرَةِ الْقُرْشِيِّ إِلَى قُبَيْعٍ إِلَى مِذْعَا إِلَى مَعْرُوفٍ ، فَأَمَّا الْجُبُّ فَدَاخِلٌ فِي بِلَادِ الضَّبَابِ وَنَاحِيَةِ

بِلَادِ عَبَسَ — انْتَهَى وَمِنْ هَذَا يَتَضَحُّ أَنَّ جَمِيعَ مَا ذَكَرَ يَاقُوتُ يَنْطَبِقُ عَلَى مُسَمًّى وَاحِدٍ . وَالْقَوْلُ بِأَنَّهُ دَاخِلٌ فِي

نَاحِيَةِ بِلَادِ عَبَسَ بَدَلٌ عَلَى أَنَّهُ فِي شِمَالِ حِمَى ضَرْبَةٍ ، غَيْرَ خَارِجٍ عَنْ الْحِمَى ، وَلَيْسَ جَنُوبَ الْحِمَى حَيْثُ

يَقَعُ مَعْرُوفٌ الَّذِي ذَكَرَ الْأَصْمَعِيُّ — فَمَا نَقَلَهُ عَنْهُ يَاقُوتُ — أَنَّهُ بِجَبَلِ كَيْشَاتٍ ، إِذْ جَبَلُ كَيْشَاتٍ يَقَعُ جَنُوبَ

شَرْقِ الْحِمَى .

أَمَّا جُبُّ يَوْسُفَ النَّبِيِّ — عَلَيْهِ السَّلَامُ — فَلَا صِلَةَ لَهُ بِهَذَا الْجُبِّ الَّذِي فِي نَجْدٍ ، لِأَنَّهُ فِي بِلَادِ الْأُرْدُنِ مِنْ

الشَّامِ ، فِي الطَّرِيقِ مِنْهَا إِلَى مِصْرَ — نَقَلَ يَاقُوتُ عَنْ الْأَصْطَخَرِيِّ : هُوَ بِالْأُرْدُنِ بَيْنَ بَانِيَّاسَ وَطَبْرِئَةَ عَلَى اثْنِي

عَشْرَ مِيلًا مِنْ طَبْرِئَةَ مِمَّا يَلِي دِمَشْقَ . ثُمَّ نَقَلَ عَنْ غَيْرِ الْأَصْطَخَرِيِّ : كَانَ مَتَزِلٌ يَعْقُوبُ بَنَابِلِسَ ، وَالْجُبُّ الَّذِي

أَلْفِي فِيهِ يَوْسُفُ بَيْنَ قَرْيَةٍ مِنْ قَرَاهَا يَقَالُ لَهَا سَنْجَلٌ وَبَيْنَ نَابِلِسَ — وَيُظْهِرُ أَنَّهُ لَا يَزَالُ مَعْرُوفًا فِي تِلْكَ الْبِلَادِ ،

فَقَدْ قَرَأْتُ بَحْثًا فِي تَحْدِيدِ مَوْقِعِهِ لِأَحَدِ أَدْبَانِهَا — وَلَعَلَّهُ عَبْدُ اللَّهِ مَخْلَصٌ — فِي إِحْدَى الْمَجَلَّاتِ مِنْذُ زَمَنِ .

(٢) لم يذكر نصر جُبَّ عَمِيرَةَ ، وَذَكَرَهُ يَاقُوتُ بِقَوْلِهِ : يُنسَبُ إِلَى عَمِيرَةَ بْنِ تَمِيمٍ بْنِ جَزَةَ التَّجِيبِيِّ ، قَرِيبٌ مِنْ

الْقَاهِرَةِ ، يَبْزُزُ إِلَيْهِ الْحَاجُّ وَالْعَسَاكِرُ ، وَحَدَّدَ الْقَرِيزِيُّ فِي «الْخَطَطِ» مَوْقِعَهُ .

(٣) لم يزد الْحَازِمِيُّ عَلَى تَعْرِيفِ حُتِّ الْوَاردِ فِي كِتَابِ نَصَرٍ ، سِوَى تَغْيِيرِ كَلِمَةِ (اِخْتَطَوْهَا) بِكَلِمَةِ (نَزَلُوهَا) . وَقَالَ

العرب في "مدغشقر"

[من أطراف ما قرأت من كتب الرحلات كتاب «مَدَغَشْقَر» : بلد المسلمين الفاسعين ، الذي ألفه العالم الجليل الرحالة المحقق الأستاذ الشيخ محمد بن ناصر العبودي . ونشره (نادي الرياض الأدبي) فصدر حديثاً . ومن أعجب ما قرأت فيه حديثاً عن ملكة عربية الأصل تحكم جزءاً من تلك البلاد ، وقد رأيت أطراف قراء «العرب» بما كتبه الأستاذ العبودي عنها في ذلك الكتاب ، بأسلوب يستلذه القاري ، ويستويه لمطالعة الكتاب جميعه] .

قاضية من أصل عربي :

قال الأستاذ العبودي .

بعد هذه الجولة في مدينة (فورديفان) عدنا إلى الفندق بصحبة الأخ (محي الدين بن عبدالله) إمام مسجد القمرين وذلك لنكمل سؤاله عن المعلومات وكان معرفته باللغة الفرنسية محدودة ، ومعرفته بالعربية أقل من ذلك بكثير واللغة التي يحسنها جيداً هي

وَأَمَّا الثَّالِثُ — أَوَّلُهُ خَاءٌ مُعْجَمَةٌ مَفْتُوحَةٌ ، ثُمَّ تَاءٌ أَيْضاً — : مَوْضِعٌ نَاحِيَةِ

عُمَانَ (٤)

→ ياقوت في «معجم البلدان» : الْحُتُّ — بالضم والتشديد — : موضع بِعْمَان ، يُنسَبُ إِلَيْهِ الْحُتُّ مِنْ كِنْدَةَ ، وليس بِأَمِّ لَمْ ، ولا أَب . وقال الزُّمَحْرِيُّ : الْحُتُّ مِنْ جِبَالِ الْقَبِيلَةِ ، لِبَنِي عَزْرَكٍ مِنْ جُهَيْنَةَ ، — ثم أورد كلام الحازمي وقال بعده — قلت : أراهم من كِنْدَةَ المَقدم ذكرهم .
أما الْحُتُّ الَّذِي فِي بِلَادِ جُهَيْنَةَ ، فَالزُّمَحْرِيُّ فِي كِتَابِهِ لَمْ يَضْبُطِ الْأَسْمَاءَ ضَبْطًا تَامًا ، وَقَدْ نَقَلَ أَسْمَاءَ جِبَالِ الْقَبِيلَةِ عَنْ عَلِيِّ بْنِ وَهَّاسٍ ، كَمَا نَقَلَ عَنْهُ كَثِيرًا فِي كِتَابِهِ ، وَمَا نَقَلَهُ هُوَ خَيْرٌ مَا فِي ذَلِكَ الْكِتَابِ ، وَالْقَبِيلَةُ مَا أَقْبَلَ سَبِيلَهَا نَحْوَ الْمَدِينَةِ مِنْ سِلْسِلَةِ السَّرَاةِ .

(٥) قال نصر : — وأما بفتح الخاء المعجمة وآخره تاء عليها نُقْطَتَانِ : — نَاحِيَةُ بَيْنِ جِبَالِ عُمَانَ . انتهى وقال ياقوت في «المعجم» : حَتُّ — بفتح أوله وتشديد ثانيه — : مدينة من نواحي جِبَالِ عُمَانَ ، وَالْحَتُّ عِنْدَ الْعَرَبِ : الطَّعْنُ ، وَالِاسْتِحْيَاءُ وَالثَّيْبُ الْحَسْبِيسُ ، كَأَنَّهُ لُغَةٌ فِي خَسٍّ . انتهى . وتقدم كلامه أَنَّ الْحُتَّ مَوْضِعٌ بِعْمَانَ ، وَلَا أَسْتَعِدُّ أَنْ يَكُونَ أَحَدُ الْأَسْمَاءِ مُصَحَّفًا عَنْ الْآخَرِ .

العرب في "مدغشقر"

[من أطراف ما قرأت من كتب الرحلات كتاب «مَدَغَشْقَر» : بلد المسلمين الفاسعين، الذي ألفه العالم الجليل الرحالة المحقق الأستاذ الشيخ محمد بن ناصر العبودي . ونشره (نادي الرياض الأدبي) فصدر حديثاً . ومن أعجب ما قرأت فيه حديثاً عن ملكة عربية الأصل تحكم جزءاً من تلك البلاد ، وقد رأيت أطراف قراء «العرب» بما كتبه الأستاذ العبودي عنها في ذلك الكتاب ، بأسلوب يستلذه القاريء ، ويستويه لمطالعة الكتاب جميعه] .

قاضية من أصل عربي :

قال الأستاذ العبودي .

بعد هذه الجولة في مدينة (فورديفان) عدنا إلى الفندق بصحبة الأخ (محي الدين بن عبدالله) إمام مسجد القمرين وذلك لنكمل سؤاله عن المعلومات وكان معرفته باللغة الفرنسية محدودة ، ومعرفته بالعربية أقل من ذلك بكثير واللغة التي يحسنها جيداً هي

وأما الثالث — أوله خَاءٌ مُعْجَمَةٌ مَفْتُوحَةٌ ، ثُمَّ تَاءٌ أَيْضاً — : مَوْضِعٌ نَاحِيَّةُ

عُمَانٌ^(٤) .

→ يا قوت في «معجم البلدان» : الْحُتُّ — بالضم والتشديد — : موضع بِعْمَان ، يُنسَبُ إِلَيْهِ الْحُتُّ مِنْ كِنْدَةَ ، وليس بِأَمِّ لَمْ ، ولا أَب . وقال الزُّمَحْشَرِيُّ : الْحُتُّ مِنْ جِبَالِ الْقَبِيلَةِ ، لِبَنِي عَزْرَكٍ مِنْ جُهَيْنَةَ ، — ثم أورد كلام الحازمي وقال بعده — قلت : أراهم من كِنْدَةَ المَقدم ذكرهم . أما الْحُتُّ الَّذِي فِي بِلَادِ جُهَيْنَةَ ، فَالزُّمَحْشَرِيُّ فِي كِتَابِهِ لَمْ يَضْبُطِ الْأَسْمَاءَ ضَبْطاً تَاماً ، وَقَدْ نَقَلَ أَسْمَاءَ جِبَالِ الْقَبِيلَةِ عَنْ عَلِيِّ بْنِ وَهَّاسٍ ، كَمَا نَقَلَ عَنْهُ كَثِيراً فِي كِتَابِهِ ، وَمَا نَقَلَهُ هُوَ خَيْرٌ مَا فِي ذَلِكَ الْكِتَابِ ، وَالْقَبِيلَةُ مَا أَقْبَلَ سَبِيلَهَا نَحْوَ الْمَدِينَةِ مِنْ سِلْسِلَةِ السَّرَاةِ .

(٥) قال نصرٌ : — وأما بفتح الخاء المعجمة وآخره تاء عليها نُقْطَتَانِ : — نَاحِيَّةٌ بَيْنَ جِبَالِ عُمَانَ . انتهى وقال يا قوت في «المعجم» : حَتٌّ — بفتح أوله وتشديد ثانيه — : مدينة من نواحي جِبَالِ عُمَانَ ، وَالْحَتُّ عِنْدَ الْعَرَبِ : الطَّعْنَ ، وَالِاسْتِحْيَاءُ وَالثَّيْبُ الْحَسْبِسُ ، كَأَنَّهُ لُغَةٌ فِي خَسٍّ . انتهى . وتقدم كلامه أَنَّ الْحَتَّ مَوْضِعٌ بِعُمَانَ ، وَلَا أَسْتَعِدُّ أَنْ يَكُونَ أَحَدُ الْأَسْمَاءِ مُصَحَّحاً عَنْ الْآخَرِ .

الملاقاشية التي لا نعرف منها شيئاً . وكنا نلاقي شيئاً من العناء في فهم ما يقوله وفي إفهامه ما نقول .

وبينا كنا على ذلك إذ بالقاضية (سولانج) تحضر إلينا في الفندق ومعها فتاة أخرى ، وبعد أن سلمت وحيث قالت : أرجو أن يكون الحاكم وأهل الفندق قد قاموا بواجب الخدمة لكم فقد أمرتهم بذلك . فقلنا : نعم ذلك ولك الشكر .

وقد بدت لنا اليوم أكثر وقاراً إذ كانت عندما رأيناها أمس ترتدي سروالاً أما اليوم فقد لبست قميصاً طويلاً نوعاً ذا أكمام . وقالت : إن هذه الفتاة ابنة لصديقتي ليس لديها عمل اليوم فأحضرتها لتصحبني .

وكانت فرصة طيبة لكي تقوم القاضية بالترجمة الواضحة ما بيننا وبين إمام المسجد . فكان مما قاله : إننا قوم فقراء ولا يوجد من يعتني ببناء مساجدنا كما يعتني المسيحيون الذين في الخارج بكنائس النصارى في هذه البلاد لذلك جمعنا نحن فيما بيننا مبلغاً قليلاً من المال لبناية المسجد إلا أنه تهدم عدة مرات بسبب الإغصار ونحن نرجو أن يأتي اليوم الذي تتمكن فيه من بناء مسجد ومدرسة إسلامية من الاسمنت لأن أولادنا يضيعون بدون تعليم .

فوافقناه على قوله ذلك . وسألناه عن المبلغ الذي يظنه لازماً لذلك فقال : إذا بنينا بناء متواضعاً يحتاج إلى ٦٠٠ ألف فرنك أي حوالي خمسة وتسعين ألف ريال سعودي . فقلت له : إذا تيسر بناء المدرسة فمن الذي يدرس الأولاد ؟ قال : أنا ، لقد تعلمت على فلان في مدينة ماجنقا . كما قال أن من حاجاتهم العاجلة الحصول على نعش وما يتبعه لتجهيز أموات المسلمين وأن ذلك يحتاج إلى ٢٠ ألف فرنك أي مائتين وتسعين ريالاً سعودياً .

وأردنا أن نفتح الكلام عن الديانة مع القاضية (سولانج) فسألناها عن هذه الفتاة التي معها وعما إذا كانت مسلمة وهي لونها أسمر شديد السمرة إلا أن تقاسيم وجهها ليست كما في وجوه الأفريقيين ، ولا كما في وجوه الملايويين .

فأجابت القاضية : إن أصلها عربي إسلامي فهي من (ديفو) حيث العرب هناك ،

وقد علقت الفتاة على ذلك بقولها : هذا صحيح وعمي لا يزال مسلماً يصلي صلاة المسلمين ، أما والدي فقد أدخله الأوروبيون في المسيحية وصرت أنا مسيحية كاثوليكية تبعاً لذلك .

وقالت القاضية بعد أن أنهت الفتاة كلامها : إن أهلي الأوائل كانوا من المسلمين وأمي مسلمة تتعبد كما يتعبد المسلمون وتقرأ كتاباً لا أعرف حروفه تتعبد بذلك .

وهنا وجدنا الفرصة سانحة فحدثناها عن الإسلام ومزاياه ، وحركنا مشاعرها للعودة إلى أصلها الإسلامي العريق . مع أن أمثالها هنا يعدون بعشرات الآلاف بل بمئات الآلاف . فقالت القاضية : ولكن الإسلام يقيد المرأة ويجبرها على البقاء في البيت كما أنه يميز للرجل أن يتزوج بأربع زوجات .

فشرحنا لها أن كون الرجال قوامين على النساء بمعنى أنهم ملزمون بالإنفاق على النساء ، فإن ذلك بطبيعة الحال يجعل المرأة أكثر راحة ، وبقيةا شر الحاجة إلى العمل ويضمن لها أن تنفرغ لشؤون بيتها وأطفالها . أما إذا كان هناك داع لعملها في جو يحفظ كرامتها وصيانتها فلا مانع من ذلك .

ثم شرحنا لها الحكمة في تعدد الزوجات وبعد كلام طويل سألناها قائلين : أتعقدن أن الرجل الملاقاشي المتزوج بواحدة يقتصر على تلك الواحدة ؟

فأجابت : كلا فكلهم يكون لهم عدد من الخليلات والعشيقات قد يصلن إلى عشر . فقلنا لها : إذاً تلك الخليلات من النساء اللاتي أجاز الإسلام أن يتزوج الرجل منهن واحدة فأكثر حسب شروط الاستطاعة على النفقة والإسكان والعدل بين الزوجات فيكون لها حقوق شرعية واجبة ويكون لها أولاد يقرون عينا يلزم الزوج بأن ينفق عليهم وليس كما هو الحال عليه الآن من أن يستمتع الرجل بالعشيقة في وقت شبابها القصير دون مقابل إلا أن يدفع لها شيئاً مادياً مؤقتاً ثم يتركها بعد أن تتجاوز مرحلة الإغراء دون حقوق أو حاية فقالت : هذا صحيح . فقلت لها : وشيء آخر فالزوجة المسلمة إذا تزوج زوجها بثنائية فهي تعلم وتطمئن إلى أنه لا يعرف غيرها وهذا كاف .

فسألنا — مقاطعة — وهل من الممكن ألا يعرف الرجل إلا زوجته ؟

فأجبنا : نعم وهذا هو الواقع من المسلمين في بلادنا حسبنا نعرفه ، فقالت : الرجل هنا يعرف في العادة مع زوجته عدداً آخر من النساء .

وهنا سألناها : أتذهبين إلى الكنيسة ؟ قالت : نعم ، في الماضي ، فقلنا : لماذا كان ذلك في الماضي ؟ فقالت ، لأنه كان الذي لا يذهب إلى الكنيسة يعاقب أما الآن فنجد أن توقف العقاب توقف الناس عن الذهاب للكنيسة فلا يذهب إليها إلا عدد قليل جداً ثم ودَّعَتْ وانصرفت .

وهنا كان موعد الغداء الذي رتبته صاحب الفندق قد أوفى ، وذلك لقرب موعد قيام الطائرة وسفرنا إلى مدينة (مانكار) . وقد كررنا الأكل من أفخر أنواع السرطان البحري في العالم وكان معه حمامٌ من حمام (فورديفان) المحشي .
العرب في مانكار :

ثم قال الأستاذ العبودي — بعد الكلام المفصل عن مدينة (مانكار) :

بعد ذلك وقفت السيارة عند السوق الشعبي فصرفناها وأخذنا نتمشى ، ونحن نبحث عن الوجوه التي تنتمي إلى قبيلة تيمور التي تشتهر عند الناس بأنها من أصل عربي فوجدناها ظاهرة في هذا السوق بمظهر لا يوجد عند غيرها فيما رأينا من بلاد مدغشقر ولا غيرها في أفريقية ذلك بأن أفراد هذه القبيلة من رجال ونساء وأطفال يلبسون طاقية موحدة لا تختلف في واحد عن الآخر حتى العجائز يلبسها وهي طاقية من القش الأصفر أعتقد أنها مصنوعة من قش الأرز مستديرة الأسفل مع تربيع يسير أما أعلاها فله أربع زوايا وفي كل ركن من أركانها الأربعة نقطة حمراء مربعة ، من القش المصبوغ . أما وجوه الناس فهي الوجوه العربية التهامية الموجودة في تهامة في السواحل الجنوبية الغربية في الجزيرة بعد أن تضيف إليها بؤساً لا يوجد عند أولئك ، وإهمالاً للنظافة ظاهر وسمة فوق سمة التهاميين وصفرة ليس بعدها صفرة إلا في الجنس الصيني ، وحفا في الأرجل عاماً فالجميع مثلهم في ذلك مثل معظم سكان مدغشقر خارج المدن الرئيسية ومثل بعض السكان داخل تلك المدن . إلا أن الملاحظ أن قاماتهم أقصر مستوى من قامات

سكان الشرق الأوسط فهم بذلك يشبهون بعض سكان السواحل الجنوبية من الجزيرة العربية وهم يشبهون بقية سكان مدغشقر في كون النساء يعملن أكثر من الرجال وفي كونهن سافرات إلا أنهن غير متبرجات كما يفعل نساء غيرهم من الأجناس إلا فيما ندر منهن ولا تكاد نجد واحداً أو واحدة منهن في وجته دم صاف أو على وجهه نصارة وذلك خلاف الذين يسكنون معهم والذين هم من أصول أفريقية فانك ترى بعضهم وبعض منهن عليهن ملامح الجمال وسمات العافية رغم أن الحفاء من شيم الجميع .

وأكبر ظني وهذا ما ليس عليه دليل أن هذا الجو الاستوائي الحار الرطب الذي تسطع شمسهِ وترسل من الأشعة وسط بحر من الأبحرة التي تنبعث من مياه المحيط شبه الاستوائية أو تنزل مع الأمطار الغزيرة التي يقل مثلها في العالم أن ذلك كله لا يناسب الجسم العربي ولا يستطيع الصبر عليه لذلك كان وقعه على وجوه أولئك القوم وقعاً شديداً لا يحس بعنفه ومدى تأثيره إلا من هو غريب عن المنطقة لم تألف عينه النظر إلى تلك المظاهر .

وشيء ملفت للنظر وهو أن أولئك التيموريين يتشابهون في مظهرهم وبخاصة مظاهر النساء . حتى يكاد المرء يجزم بأنهم من سلالة رجل واحد . وأنهم لا يختلطون بغيرهم مع أننا علمنا أن الاتصال بالزواج مع الجنس الآخر الذي يسكن في تلك المنطقة والذي هو من أصول أفريقية هو قليل إلا أنه موجود وأن الأنواع الأخرى من الاتصال موجودة متوفرة ليس عليها حجاب أو مانع .

أما أجناس الناس الأخرى في هذه المنطقة كالجنس الذي ينحدر من أصول جاوية أو ملايوية والذي هو موجود في الهضبة الوسطى في منطقة العاصمة (تانا ناريف) فهي غير موجودة أصلاً .

ومعروف عند الناس هنا أن هؤلاء التيموريين هم من العرب وكانوا يكتبون لغتهم المحلية التي هي الملاقاشية بعد أن نسوا العربية بحروف عربية ولهم ملوك وملكات يتعاقبون على قيادتهم على مدى السنين معروفون حتى الآن .

وجعلت أنفوس في وجوه الناس وبخاصة وجوه البائعين والبائعات التمس التقاسيم العربية وأحاول أن أكون رأياً في ردها إلى إحدى القبائل وأهالي البلاد العربية وإذا بي

أفاجأ قبل أن أحكم على التقاسيم والتقاطع الظاهرة بما يؤكد نسبتهم إلى العرب من طباعهم التي كنا نعرفها في العرب الذين لم يتحضروا وخصوصاً من أهل البدو وأهل القرى من أمور لم ألمحها ولم أمر بها في طباع أناس آخرين رأيتهم في مدغشقر من قبل . ذلك بأننا بينما نتفرج عليهم إذ بهم ينقلبون إلى متفرجين علينا ينظرون إلى وجوهنا وأثوابنا ، ويستمعون إلى كلامنا بكل اهتمام بل بكل فضول نعرفه في غير المتعلمين من العرب بل إذا بهم إذا بدرت منا لفظة أو حركة غير مألوفة لهم يضحكون منا ويقهقهون من سماع كلامنا ، وإذا سمع بعضهم ضحك الآخرين أو حتى أن هناك ما يجذب الآخرين إلى الضحك أو إلى النظر سارع يستجلي الأمر وترك بضاعته على الأرض مفضلاً الاطلاع على أمر غريب أو وجوه قوم غرباء على حفظها .

وأمر آخر له أهميته فقد رأيت القوم فجأة من نساء وأطفال وبعض الرجال قد فروا من السوق فجأة كأنما فروا من حريق واتجهوا إلى شارع قريب وصفوا على الشارع وهم يتطلعون بفضول وإذا بموكب عرس لقوم من الهنود المقيمين في البلاد . وعندما فات الموكب رجعوا إلى سوقهم وبضائعهم يتراخضون وهذا شيء لم أره في غير هذه المنطقة العربية أو التي كان عربية من مدغشقر .

أما ألوانهم فقد اعترتها السمرة الشديدة وإن كانت لا تزال أكثر بياضاً من وجوه الذين يعيشون معهم من ذوي الأصول الأفريقية بكثير وهي أيضاً أكثر بياضاً من وجوه ذوي الأصل الملايوي بقليل .

هذه هي الانطباعات عن منظر هؤلاء العرب الضائعين الذين لم يبق لهم مما يعتزون به أو يعتز به من ينتمي إليهم إلا التاريخ فقد ضاع سلطانهم الذي كان في هذا الجزء من مدغشقر وقبل ضياعه ضاعت لغتهم .

أما صحتهم التي لا أظن أنها كانت بهذا السوء فلا يمكن الحديث عنها أكانت هكذا قبل أن يصلوا أم ساءت بعد ذلك ولكنني أعتقد أنه لا يمكن أن تصل إلى درك من السوء أنزل مما هم عليه الآن فهم على غاية السوء وقد ضيعوا ارتباطهم بالعالم العربي والإسلامي ، وبذلك فقدوا عاصماً مهماً من أسباب البقاء .

وقد ضيعوا أهم من ذلك كله وهو دينهم فأصبحوا لا يوجد لديهم حتى المساجد التي هي في بعض البلدان مجرد مظاهر دينية وهم لا ينهضون لبنائها لجهلهم وفقرهم وأظن أن الجهل هو السبب وليس الفقر لأنه لن يعجز جماعة مهما كان فقرهم أن يبنوا لهم مسجداً من جنس ما يبنون لهم من بيوت كما رأيت بنفسني المساجد في بعض القرى الأفريقية تبنى من القش إذا كانت بيوت السكن نفسها من القش . ولكنهم فقدوا حتى الاهتمام بالدين فليس لديهم مدرس ولا كتاب ولا مسجد ولا ثقافة ولا لغة إن لم نقل : ولا صحة ، ولا لون ولا .. ولا ... ولا ... حتى نقول : ولا نعل .

إنني أذكر هذه الحقائق التي أعرف أنها ستكون مؤلمة للقراء من العرب لا محبة في جلب الآلام لهم كما جلبتها لنفسي وإنما لإبلاغهم ذلك حتى يشاركوا في حمل مسؤولية إنقاذ هؤلاء القوم الذين يعيشون في كارثة مريعة ، وأن يهب كل شخص لأنقاذهم بقدر ما يستطيع .

وانتقلنا من السوق الشعبي الذي لاحظنا أن معروضاته من الفواكه والخضروات أقل من مثيلاته في مدينة (فورديفان) في الجنوب ومدينة (توليار) في الجنوب الغربي .

وتجولنا فيما حول السوق فإذا بنا نزيد ملاحظة أن النساء من قبيلة تيمور لا تزال فيهن بقية من حياء النساء العربيات فالمرأة تكلم الرجل الأجنبي كما تفعل كل النساء في مدغشقر ولكنها ليس فيها وقاحة نساء الأجناس الأخرى اللاتي يجادثن ويمارحن وقد يغازلن الرجال . بل أن بعضهن إذا أردنا الحديث معها غلبها الحياء فصدت وجهها وأبعدت ، وكنا نريد أن نسأل نستزيد من المعلومات فلم نجد امرأة تسرع إلى الحديث إلا واحدة واضحة عليها أنها عربية تكلمت معنا فقلنا : إننا نريد شخصاً يرينا المتاجر في بقية السوق فأرسلت أختها صغيراً تطلب رجلاً لهذا الغرض فسألناها بعد ذلك : أنت من تيمور؟ فأجابت : نعم . فقلنا : أم أنت عربية؟ فقالتا : تيمور من العرب فسألناها : إذا مسلمة؟ فأجابت : لا إنني كاثوليكية . ولكن أهلي كلهم مسلمون !!

إن نصرانياتها هي التي جعلتها من بين أولئك المسلمات في الأصل تسارع إلى الحديث معنا .

وأمر آخر يلاحظه المرء وهو أن بعض النساء خاصة من قبيلة تيمور تقوم الواحدة منهن بلف فوطه حول جسمها كما يفعل العرب من جنوب الجزيرة والخليج فبعضهن ترسل تلك الفوطه إلى ركبتيها أو أسفل من ذلك وبعضهن ترفعها لتغطي ما بين أسفل أبطيها وما فوق ركبتيها .

وقد عدنا إلى الفندق مع غروب الشمس بعد أن اشترينا فاكهة من السوق بما لا يعد رخيصاً مع أن هذه المنطقة من أخصب مناطق مدغشقر وأكثرها أمطاراً .

وفي النفس ما فيها من الكرب والغم على ما رايناه ومن التحمل والهم للواجب الذي نرى أن علينا إبلاغه . وكان الفندق نفسه سيئة من السيئات في مرافقه وغرفه حتى البعوض كثير هنا وقد رأيناهم وضعوا في الغرفة دواء يحرق لطرد البعوض وما أظنه ينفع في ذلك لأنها كبيرة كثيرة المنافذ وأبوابها ونوافذها ليست محكمة .

وقبل النوم أخرجت المذياع التمس السلوان في بعض ما أسمع منه عسى أن أتمكن من التقاط إذاعة عربية لأنني لم أستطع أن التقط منها شيئاً الليلة البارحة في فورديفان بعدها إلى الجنوب وكونها واقعة خلف هضاب مدغشقر الجبلية التي تحجب عنها الإذاعات المنطلقة من البلدان العربية أو الموجهة إليها وفوجئت بأن بعض الإذاعات العربية مسموعة هنا كالكويت والسودان والعراق . فكأنها بذلك تريد تؤكد أن هذه المنطقة هي لا تزال — ولو في الخيال — تحتفظ بما كان للعرب والعربية فيها من سلطان .

يوم الأحد : ١٣ رجب ١٣٩٨ هـ ١٨ يونيو ١٩٧٨ م .

من خطتنا المقررة أن يكون برنامج زيارتنا هذا اليوم لمدينة (وي بن) .

في بلدة وي بن :

ثم قال الأستاذ بعد أن تحدث حديثاً ممتعاً عن بلدة (وي وين) قاعدة تيمور العربية :

لم نكد ندخل الشارع الرئيسي الذي يقع على الطريق الاسفلتي فيها حتى وجدناه قد انتهى لقصره ويوته والحوانيت فيه مبنية بالخشب ومقامة على أرجل خشبية ترفعها عن

الأرض اتقاء الرطوبة الدائمة ، فوقفنا على رجل حداد قد اتخذ من بيته حانوتاً وقد أخرج معدات له قديمة وهو لا يعمل فسأله الشيخ الذكوري بالفرنسية فلم يفهم شيئاً فسارعت الفتاة الصينية إلى سؤاله بلغتهم ففهم منها بعد تعب فقلت لها قولي له : إننا نريد أن نتصل بأي رجل مسلم من كبار المسلمين حتى يستطيع أن يجمع لنا المسلمين لتكلم معهم في أمور دينهم . فقال : أنه سيكون هناك اجتماع للمسلمين للدعاء للحكومة لمناسبة حلول عيد الاستقلال ثم ذكر مكاناً ذهبنا نبحث عنه فلم نجده . ويلاحظ هنا أن الحكومة غير إسلامية ولكنها تطلب من المسلمين أن يدعوا لها .

وسألت الفتاة رجلاً ورجلين فلم يفيدوها بشيء . وقلنا أخيراً : دلونا على المسجد فسألت امرأة تحدثت معها طويلاً ثم اركبت معنا بالسيارة صبيّاً ذهب بنا إلى المسجد وقد تبينا البلدة بعد ذلك فاذا بها أكواخ خشبية كثيرة ولكنها مشورة غير متلاصقة وأرض البلدة غير مستوية قد تختفي بعض البيوت فيها كما أن علو الأشجار وكثافتها يخفي البيوت التي هي أكواخ من طابق واحد .

وقصدنا المسجد فوجدناه في ركن من البلدة يقع على منحدر وإذا به صندوق مبنية من الخشب ومسقوفة بالزنك وأرضه قد فرشت بالمشمع وفي آخره مكان منفصل مخصوص للنساء وقد علق في المسجد لوحان إحداهما عادية عليها الآية الكريمة (نصر من الله وفتح قريب) والثانية بالخط العربي على الطريقة المحلية التي هي عادية ليس لها طابع خاص (ليس البر أن تولوا وجوهكم قبل المشرق والمغرب) الآية وبين سطورها كتبت ترجمة لمعانيها باللغة الملاقاشية . وحالة المسجد جيدة بالنسبة إلى حالة البيوت الأخرى . ورأينا رجلاً يقرب منا فسألناه عن إمام المسجد أو المسؤول فيه فلم يبد جواباً ، كما سألناه عن بيت الإمام أو عن اسم أي شخص من كبار المسلمين في هذه المدينة فكان يفتح فاه كالمتذكر ثم يسكت .

ولا مجال هنا لزيه الاسماء والعناوين التي حصلنا عليها لأنه لا يعرف الفرنسية أولاً ولأنه كسائر أهل البلدة الذي عرفناهم فيما بعد قد تَبَلَّدَتْ أذهانهم ثانياً بسبب الجهل وقلة الثقافة .

وأخذتنا الحيرة وأخذنا نجول في أنحاء البلدة فإذا بامرأة من نساء البلدة كلمتها الفتاة الصينية بغرضنا . فقالت : إن الناس هنا لا يجتمعون ولا يسمعون ولا يطيعون إلا بأمر الملكة فعليكم الاتصال بالملكة أولاً . ولما سمعنا ذلك ظننا أن في الأمر هزلاً فلم نسمع بنفوذ الملكة لهذا الحد ، ولكن المهم عندنا أن نحصل على ما نريده من معرفة عن أحوال المسلمين في هذه المنطقة .

ولكن كيف الوصول إلى الملكة ؟ وما هو مقدار ملكها واين مكانها ؟
سألنا أحد الأشخاص عن ذلك فلم يجب ، وأخيراً وجدنا شخصاً رضي بأن يدلنا .

في حضرة الملكة :

طلب الدليل منا ان نُوقِف السيارة في الشارع في أسفل تل ، ثم تقدمنا مع درج في التل وسط أشجار كثيفة كأشجار الغابات .

وعندما علونا التل وجدنا بيوتاً خشبية مرفوعة عن الأرض بأعواد من الخشب أو قل هي أكواخ من الخشب قد بنيت على دعائم خشبية واقفة لترفعها عن رطوبة الأرض وهي متفرقة إلا أنها تكاد تكون متلاصقة إذا الفراغ الذي يفصل بينها قد تركوه لحاجات أهل المنزل مثل الحصر التي ينشر عليها الأرز ليجف ، أو مربوط العتر ، أو مكان للدجاج الذي رأيناه سائباً وهي بيوت كثيرة فوق هذا التل الذي هو أيضاً يكاد يكون غابة من الغابات وان كان مرتفعاً .

ورأينا عدداً من المارة من رجال ونساء كلهم حفاة في هذا الجو الرطب بل الطيني الذي يجعل الأرجل كلها ملطخة بالطين ، وربما كانت هذه الرطوبة الزائدة هي السبب في الحفاء لأنهم لا يعرفون من المواد التي تتخذ منها النعال إلا الجلد وهو يتلف مع الرطوبة والماء الدائم أما اللدائن ونحوها من المواد فانهم لا يعرفونها في السابق لعدم وجودها وفي الزمن الحديث لا يستطيعون الحصول عليها لعدم مقدرتهم المالية وربما لاعتيادهم الحفاء وعدم مبالاتهم به .

ووصلنا كوخاً من الأكواخ لا يكاد يميزه عن غيره شيء . إلا أنه من الأكواخ

الكبيرة . وتأخر الرجل الذي كان يدلنا فنفتحناه ما تيسر من النقود فأخذها وانصرف شاكراً ثم تقدمت الفتاة الصينية وصعدت إلى باب الكوخ المرفوع على درجتين من الخشب أمام المدخل وأطلت من الداخل ورطنت لمن كان بالداخل ثم عادت إلينا وقالت : ادخلوا ها هو بيت الملكة : ملكة قبيلة تيمور العربية !!!

لقد سمعت هذا وأنا بين المصدق والمكذب ولكن حب الاطلاع على أحوال هذه الملكة العربية التي احتفظت بعرشها في هذا الزمن الذي صعب فيه على الملوك الصناديد من الرجال الاحتفاظ بعروشهم قد أنساني كل شيء إلا محاولة معرفة كل ما يحيط به .

دخلنا إلى غرفة الاستقبال أو الغرفة الرئيسة في البيت فإذا بها واسعة أقدر أنها في حدود ثمانية عشر متراً مربعاً فيها نافذتان إحداهما إلى الشمال والأخرى إلى الغرب . وإذا بالبيت نفسه يبين من الداخل أكثر وجاهة وأعلى قيمة بل أكثر تكلفة فهو من الخارج خشبي من خشب عادي وأما جدرانها الداخلية فإنها من أعواد مظفورة أي أعواد كالعصي منسقة تنسيقاً جميلاً ومضمومة بعضها إلى بعض في شكل متناسق جميل إذا وصلت إلى مستوى النافذة مثلاً وقفت ثم تلتها بقيتها فوق النافذة وإذا بالسقف من أعواد مظفورة بنية اللون مع شيء من الصفرة وهي جميلة ، وقد علق على الحائط عدة لوحات منها وسام منحتة الحكومة الفرنسية لزوج الملكة وصور بعض الأسرة وصوره مقطوعة من إحدى المجلات لمنظر جميل . أما أرض البيت بيت الملكة فإنها من الخشب العادي المرصوف الذي هو في الحقيقة معلق لأنه مرفوع عن وجه الأرض بأخشاب كما تقدم .

وجدنا في المنزل أو في غرفة الاستقبال عدداً من الناس هم رجل واحد وأربع نساء وصبي صغير وطفل رضيع مع إحدى النساء .

وكان أول من استقبلنا وانتصب للحديث معنا هو الرجل وهو زوج الملكة في سن الستين حليق الوجه والشارب ما عدا نقطة من الشعر تحت فتحة الأنف تشبه شارب هتلر .

وهو ممتلئ الجسم في غير ترهل أسمر اللون شديد السمرة إلا أنه ليس بأسود ،

وقال : إنني أمير ولكنني ابن ملك ولهذا كان من حقي أن أتزوج بالملكة ملكة قبيلة تيمور ، فسلمنا عليه وأحفيها السلام . وكان يسرع في الحديث وكان حديثه كحركاته سريعاً يتسم بالحوية بل والحماس ويكاد يكون ظاهرة غير عادية في أهل هذه البلدة الذين رأيناهم فأكثرهم يتسم بالجمود وعدم السرعة في التصريحات حتى التفكير عندهم قد أصابه الجمود بل الخمود .

قال الأمير زوج الملكة وهو يزهو ويفتخر وحق له ذلك فهو ذو مزايا ذهنية وعقلية نادرة في سائر قومه : إن أجدادي جاؤا من مكة واسمي موسى بن علي ، وهو لا يعرف إلا قدرأ قليلاً من الفرنسية . وكانت الفتاة الصينية تترجم كلامه للشيخ الدكوري بالفرنسية فيترجمه إلي بالعربية وهكذا كلامي يترجمه الشيخ الدكوري فترجمه الفتاة الصينية إلى الملاقاشية المحلية ولولا وجودها معنا لما استطعنا التفاهم معهم بل ربما لم نستطع الاهتمام إلى مقر قيادة هذه القبيلة المتمثلة بالملكة وزوجها الأمير .

كان يسترسل في الكلام فقاطعته قائلاً : أين الملكة ؟ فأمر إحدى النسوة أن تدخل البيت :

وجاءت الملكة :

امراة عربية عجوز أو تقرب من أن تكون عجوزاً فهي في حدود الستين من العمر حالما رأيتها تبادر إلى ذهني صورة عجوز من عجائر البدو في بلادنا لولا أن سمرة الملكة أكثر وصفرة لونها أوفر إلا أن ذلك كله لم يخرجها من حد السمرة إلى حد السواد ، ولم يتزع منها مظهر المرأة العربية .

جاءت الملكة متواضعة تمشي الهوينا قصيرة الخطى غير شاحخة الرأس ولكنها تمشي مشية الواثق بنفسه المتواضع عن مقامه .

سلمت تسليماً لا يبعد عن تسليم النسوة العربيات على كبار السن من الرجال الأجانب أي بخف مع عدم استحياء وباعتزاز بالنفس دون وقاحة . ولكن مظهرها لا يوحي أبداً بأنها ملكة لقبيلة كبيرة واسعة منتشرة في منطقة من أخصب مناطق مدغشقر ، ومعترف بزعامتها رسمياً لتلك القبيلة وبعرشها الذي تربع فوقه لتصريف شؤونها .

لم يكن لباسها فاخراً ، ولم يكن عليها شيء من الحلى الثمينة . أما الأصباغ والزينة فلا وجود لها في كل من رأيتن من نساء قبيلة تيمور ولا أدري أمبعث ذلك عدم الرغبة فيه أم عدم القدرة على شرائه ولكنني أظن الأول هو السبب إذ ليس من المعقول أن يكون جميع نساء قبيلة كبيرة تقطن مساحة واسعة وتملك من أشجار القهوة ومن الأراضي الزراعية قدراً كبيراً من لا تستطيع أن تشتري لنفسها ما تزين به المرأة التي تضع زينتها في المقام الأول من اهتمامها .

وفما يتعلق بالملكة أكاد أجزم أنه لا يوجد فرق كبير في المظهر واللباس والزينة بينها وبين سائر النساء من رعيته .

بعد أن جلست الملكة ناحية كما هي عادة النساء العربيات استمر زوجها في الحديث وتصدر الجلسة فقال بعد أن أخبرناه أننا قد زرنا المسجد : إن مسجدنا صغير ونحن نحتاج إلى توسعته ، وقد كتبت للمسلمين في كل مكان في تاتاناريف وفي موريشيوس فلم تردنا إجابة .

وكانه ظن أن تاتاناريف التي لا تبعد عن بلدته (وي بن) إلا بمسافة أربعمئة كيل هي آخر المعمور من الدنيا إذ قلنا له : أكتبتم للملكة العربية السعودية وغيرها من البلاد العربية ؟ فلم يفهم المقصود بسرعة فقال زميلي الشيخ الدكتور للمترجمة : قولي له : أن هذا الشيخ — يقصدني (برفيسور) في مكة التي قدم منها جده فهل كتب إلى مكة ؟ فأجاب : لا إنما كتبنا إلى تاتاناريف وتاتاناريف كتبت إلى موريشيوس بطلب المساعدة على إصلاح المسجد ولكن لم يستجب لكلامنا أحد .

وكان يتكلم بقوة وكانت عضلات وجهه وحركات يديه تشارك لسانه التعبير إذا كانت المترجمة تتأكد من فهمه لترجمتها وعندما كان يصل إلى جملة (ولكن لم نجد مساعدة) كانت كلماته تخرج من فمه وكأنها تهديدات الحسرة وصيحات الألم ، وكنا نشاركه ذلك بل أكثر من ذلك لأننا نعلم من إمكانيات العرب المسلمين على مساعدته أكثر مما يعلم ثم أخرج لنا رسماً لواجهة مسجد حديث على طراز عربي جميل وقال : إننا نريد أن نبني المسجد على هذا الطراز وكان يتكلم وكأنه يحب أن ينتهز فرصة ظن أنها لن

تؤاتيه بأن يجد من يحدثه في هذا الموضوع هذا مع أنه لم يسألنا عن أسمائنا ولا من أي بلد نكون ولا عن مهمتنا ما هي .

فقلنا للمترجمة : بعد أن هدأ كلامه : اشرح لي ما يأتي : إننا وفد من المملكة العربية السعودية قدمنا إلى بلاده لكي نراه ونرى إخواننا المسلمين في هذه البلاد وخصوصاً قبيلة تيمور التي هي ذات أصل عربي وأهم ما عندنا أن نعرف ما يحتاجون إليه في أمور دينهم مثل احتياجهم إلى توسيع المسجد والمساعدة على إنشاء مدرسة إسلامية لذلك نرجو أن يجمع لنا زعماء المسلمين وكبارهم في هذا المساء على أن يكون معهم رجل يحسن الفرنسية لأن المترجمة التي معنا ستركنا في (فرفتان) وسوف نبحث كل ما يتعلق بما ذكر في ذلك الوقت . فأبدى استعداداه لذلك .

بين الملكة والأمير :

طلبت أن آخذ صورة تذكارية بين الملكة وزوجها الأمير ففرح بذلك ونادى امرأة أحضرت له ملابس عربية لبسها ونحن معه وكان قبل ذلك عليه قميص قصير وسروال وطاقيّة من القش . أما الآن فقد نزع القميص القصير ولبس ثوباً عربياً واسعاً طويلاً إلا أنه يرتفع عن القدم قليلاً شبيهاً بالقميص العربي الطويلة التي يلبسها العمانيون وطربوشاً أحمر قصيراً في أعلاه مجموعة من الخيوط السوداء والتي كانت العامة في نجد تسميها (فيس) عندما كان الناس في الجزيرة يلبسونها تقليداً للأتراك . ثم أدار على الطربوش عمامة طويلة ولكنها ليست عريضة بحيث أدار عدة طيات منها ولكن أعلا الطربوش بقي بارزاً .

وبدا الرجل مزهواً بهذه الثياب العربية فخوراً يخطو وكأنه يحجل ورفع حاجبيه وهو ينظر إلى كل واحد ، ويزم شفثيه يرفعها إلى أعلى وهو يتكلم . وعندما أخبرته أن الملابس العربية هذه هي التي نلبسها في البلدان العربية في مكة مثلاً ما عدا الطربوش الذي هجر منذ زمن فرح بذلك وازداد فخراً ومن المفارقات الطريفة أن هذا الأمير في هذا الركن القصبيّ الحقني من العالم قد امتنع عن أن تؤخذ له صورة إلا وهو يرتدي الملابس العربية وأنا الذي ألبس الملابس العربية في العادة أرتدي الآن ملابس أجنبية ذلك بأن القوم في

العاصمة نصحوني ألا أظهر بمظهر يميزني عن الآخرين التماساً للأمن ولا اعتبارات أخرى تتعلق بمهمتنا .

أما الملكة فقد كانت دخلت إلى غرفة في البيت ثم عادت وقد لبست ثيابها الملكية قيصاً أخضر لا أدري عن طوله لأنه مستور من أسفل الصدر برداء مخطط بخطوط قرمزية وسوداء وقد وضعت على رأسها ورقبتها شالاً أبيض وبدت في هذه الثياب أكثر وجاهة ألا أنه بان على وجهها أكثر أن صحتها ليست على ما يرام فقد كانت علامات عدم الصحة وهي في ملابسها الأولى منسجمة مع تلك الملابس غير المعنى بها

ووقفت بينها لأخذ الصورة وكانت الملكة تبدو رزينة غير مهتمة بالأمر أما الأمير فإنه فرح جداً بهذه الصورة حتى إذا لمع ضوء المصورة في عينيه يعلن التقاط الصورة قفز وصفق بيديه .

وهذا يدل على اعترازه بملابسه وعلى أن المصورات عندهم غير موجودة وإلا لما كان يحتفل بالصورة كل هذا الاحتفال .

وعندما انتهى التصوير لم أشأ أن أغادر المكان دون أن أجعل الملكة تتكلم فقلت للمترجمة : أخبريها أننا من المملكة العربية السعودية وأننا سنبلغ إخواننا ونبلغ أخواتنا المسلمات أننا قد رأيناها ونحمل لمن تحية منها فمن أين أصلها ؟

فقالت الملكة : أن أصلها من بلاد العرب فقلنا : من أي جزء من بلاد العرب قدم أجدادها قالت : من مكة . فسألناها وما اسم أجدادها قبل أن يغادروا مكة ؟ فقالت : إنها لا تدري وهنا قال زوجها أن أجدادها قدموا إلى هذه البلاد بعد عام ١٥٠٠ م ميلادية بقليل .

وكان في المجلس امرأة يبدو أنها شابة لأن معها طفلاً تخرج ثديها أمام الناس وترضعه مع يقيني أن ذلك الثدي ليس فيه شيء من اللبن لأنه نحيل ضعيف وهي تبدو صفراء اللون كأنها العليقة مع أنها أكثر بياضاً من جميع من في البلدة بل أن لونها في مثل لون البدويات في الجزيرة في الوقت الحاضر إلا أنه يظهر أنها وأكثر أفراد هذه القبيلة في هذا المكان الرطب المليء بالمستنقعات ومع الحلفاء الذي لا يعرف النعال ربما تكون مصابة

بطفيليات معوية تساعد على هدر الغذاء واعتلال الصحة واصفرار اللون . وسألنا الأمير عنها فقلنا : من تكون هذه المرأة ؟ فقال : إنها ابنتي .

وجعلت أرقب الملكة وزوجها وابنتها وحفيدتهما بالنسبة إلى من يشابهون من العرب فإذا الملكة تشبه عجوزاً بدوية بائسة سمراء والبنت تشبه امرأة مريضة من أهل نجد والطفل يشبه أحد صبيان تهامة . والأمير يشبه أحد الحضارمة البدينين الذين يسكنون بين الساحل والداخل في حضر موت فهو أكثر بياضاً من سكان الساحل الحضرمي وأقل بياضاً من سكان الداخل ولكن تقاطيعه تشبه الحضرميين .

وبقي عليّ أن أعرف اسم الملكة فسألت عن اسمها لأنها كما قلت قد جلست في طرف مجلسنا كما تفعل المرأة العربية المحافظة فأخذ يفكر ويلتفت إلى من حوله ثم قال : اسمها باسولا التي أصلها بتول بنت موسى ونظراً إلى أن هذا الاسم غير واضح أنه عربي فربما كان يتذكر اسماً عربياً آخر . على أن عدم الاهتمام بالاسم أمر ليس مستغرباً . في هذه البلاد كما سنقص ذلك بعد العودة إلى (وي وين) ثانية في هذا المساء .

إلى فرفتان :

وتنطق بفتح الراء في أولها . وقد حاولت أن أعرف معنى اشتقاق اسمها واسم (وي بن) فلم أعرف .

خرجنا من عرين الملكة مع هذا السلم نازلين من البلدة المقامة على التلة وقال زميلي الشيخ الدكوري : إن بيت الملكة والأمير يكون عادة في مكان عال من البلدة إجلالاً واحتراماً .

كنت أهبط مع الدرج وأنا لا أكاد أصدق ما رأيت بل أقول في نفسي : أنا في نوم أم في يقظة فقد اختلطت مشاعر الفرخ بالحصول على معرفة شيء مجهول بمشاعر المرارة والحسرة على ما علمناه من حال أولئك القوم بمشاعر الأسف على ما هم عليه من الحال مع وجود الامكانيات المادية التي تجعلهم أحسن حالاً إذا ما أخذوا بها ولكنهم لم يفعلوا ذلك .

الرياض : محمد بن ناصر العبودي

صَوِيرٌ : قديماً وحديثاً

[سيصدر قريباً كتاب «بلاد الجوف — أو دومة الجندل» تأليف الأستاذ الباحث الشيخ سعد بن عبدالله بن جندل ، وسر مجلة «العرب» أن تعرض للقارئ الكريم فصلاً من فصول ذلك الكتاب الطريف — وهو من منشورات (دار الجامعة للبحث والترجمة والنشر) و(صوير) من المناهل القديمة التي تحدثت عنها في كتاب «شمال المملكة» أحد أقسام «المعجم الجغرافي للبلاد العربية السعودية»^(١)]

صَوِيرٌ :

بضم الصاد المهملة وفتح الواو ثم ياء مثناة ساكنة وآخره راء مهملة ، على لفظ تصغير صُور : ماء قديم وقد أقيمت عليه قرية زراعية ، يقع شرقاً من مدينة سكاكة على بعد خمسة عشر كيلاً تقريباً غير أنه يعترض بينه وبين مدينة سكاكة كثبان رملية لا تجوزها السيارة بسهولة فيؤتى إليه من طريق أطول . تسلك الطريق المسفلت الذاهب إلى مدينة عرعر ، حتى تبلغ مركز زلوم على بعد عشرين كيلاً تقريباً ثم تخرج منه في اتجاه جنوبي شرقي مع طريق وعر غير ممهد يتعثر في منخفضات رملية غزيرة ويتجشم عقبات جبلية وعرة تارة أخرى ، كثير الالتواءات والمضايق حتى تصل إلى قرية صوير على بعد اثني عشر كيلاً من مركز زلوم . تأسست هذه القرية عام ١٣٨٠ هـ ، وسكانها قبيلة القعقعة — واحداهم قعقاع — من الرولة من عترة ، وعمدتهم مرعي بن مليح القعقاع وابن عمه مهل بن خشم القعقاع .

وصوير قد ورد ذكره في المعاجم القديمة باسم «صُور» بفتح أوله وثانيه ، وذكر أيضاً بزيادة ألف في آخره مقصور «صُورَى» . وقد ذكره المتنبي في قصيدة له وذكر معه عدة مواضع قريبة منه ، وفيها يقول :

وَجَابَتْ بُسَيْطَةُ جَوْبَ الرِّدَا ۝ بَيْنَ النُّعَامِ وَبَيْنَ الْمَهَا

(١) أنظر عن المواضع الواردة في هذا المقال (قسم شمال المملكة) من «المعجم الجغرافي» تأليف حمد الحامد .

إلى عُقْدَةِ الجُوفِ حَتَّى شَفَتْ بِمَاءِ الجُرَاوِيِّ بَعْضَ الصَّدَا
وَلَا حَ لَهَا صَوْرٌ وَالصَّبَاحُ وَلَا حَ الشَّغُورُ لَهَا وَالضَّحَا

قال ياقوت : قال الواحدي في شرح الأبيات : والصَّوَابُ صَوْرَى ، عن الجرمي .

وقال البكري : على وزن فَعَلَى ، ذكره سيبويه .

وقد ورد ذكر صوير مقروناً بذكر الوديان الواقعة شرقاً منه وذكر الجوف في قصيدة
للشاعر الشعبي مغبّ الدريعي الرويلي يذكر فيها المعركة التي جرت بين الشعلان وبين
العواجي ، في نقرة الحيران ، وكان قائد الشعلان فيصل بن شعلان ، وقتل في هذه
المعركة خلف الأذن العواجي ، قال مغبّ الدريعي في قصيدته : (١)

حَرَّ شَلَعٌ يَوْمَ البَوَاشِقِ مَحَامِيرُ عَدَلَ المَنَاكِبِ مِسْفِهْلُ الحَجَّاجِ
شَهْرٌ مِنَ الودِيَانِ وَاسْتَدَّ مِنَ الشَّيْرِ وَفِي نِقْرَةِ الحِيرَانِ صَادَ العَوَاجِي
أَيْمَنَ مَكَاسِينَهُ وَطَا الجُوفَ وَصَوِيرُ وَأَيْسَرَ مَكَاسِينِهِ وَطَنُ النَّبَاجِ
بِشَرْقِي جِبَالِ غَنِيمٍ جِبْنًا تَحْتَ المَغَاتِيرِ وَضَحَى تَلَاعَجَ كَنَهَا عَظُمٌ عَاجِ

الوديان : عدة أودية متوازية يطلق على مجموعها هذا الاسم ، وقديماً يقال لها
الأوداه ، والأودية ، وأشهرها وادي عرعر ووادي أبا القور .

النباج : ماء قديم معروف ، يقع في وادي السرحان وفيه قرية صغيرة ، قريب من
ماء الميسري ، غرب بلاد الجوف ، قال ناصر الكذبية الشَّرَارِي :

يَا عَيْنَ مَا كُنْتَ عَلَى جَالِ زَافُورٍ دَمْعُكَ غَرِيفَ المَيْسِرِيِّ والنَّبَاجِ

غَنِيمٌ : جبل أسود يطلّ على بلدة تيماء من الجنوب .

ويقع صَوِيرُ في بطن منخفض ذي تجاويف عميقة ، يحفّ به من الشرق مرتفعات
جبلية ذات اتجاه غربي قائم ، وانحرافات شرقية متدرجة ، وسطوحها مستوية قد بدت

فيها آثار التعرية المائية القديمة واضحة كما أن الرياح قد أخذت دوراً ذا أثر واضح في تجاوزها وفي ترسباتها الرملية المتقنة ، وهذا الوصف عام في بلاد الجوف الممتدة من منحدر خشم زلوم إلى المرتفعات الواقعة غرباً من دومة الجندل .

ويبدو لي أن هذا المنخفض الممتد ذا التجاويف الهابطة كان في فترة زمنية سحيقة بحيرة مائية طامية ، ويؤيد هذا القول ما تشاهده وأنت تسير في هذه البلاد من القور الصغيرة المخروطية الأشكال والصخور الطبقيّة التي لا يخالفك شكّ في أنها تكونت نتيجة لترسبات بحرية قديمة ، ويمتد منخفض صوير صوب الجنوب إلى قرية هُدَيْب ، حافاً به من الغرب كئبان رملية متصلة ، ويأتي فيما بينه وبينها واد يأتي من الشمال ، وهو الوادي الكبير الذي يأتي من ناحية قرية الشُّوَيْحِطِيَّة ، وتستقر سيوله في خبة في جانب الكئبان الرملية غرب قرية صَوِير .

ويبلغ امتداد هذا المنخفض الذي يشمل قريتي صَوِير وهُدَيْب من الشمال إلى الجنوب ما يقارب عشرين كيلاً ، أما سعته من الغرب إلى الشرق فانها تتراوح بين أربعة أكيال إلى خمسة ، بين مكان وآخر .

وسكان قرية صوير رغم أنهم مستقرون ويعملون في الزراعة ، وقد مضت على استقرارهم فيه عدة سنوات فإنهم ما زالوا يسكنون في بيوت الشعر وحالتهم المادية ضعيفة ، لا يملكون شيئاً من الإبل أو الغنم وقد اتجهوا للزراعة ، وفيه (٢٦) بئراً ارتوازية مزروعة و(١٦) بئراً ارتوازية أخرى معطّلة ، لعجزهم عن زراعتها . وعامتهم يستفيدون من مخصّصات الضمان الاجتماعي .

أمّا ماء الآبار فإنه عذب ووفير ، والتربة طينية خفيفة وجيدة للزراعة ، ويعتمد الزارع في الزراعة على محاصيل الخضر الصيفية ، كالشمام والخيار والكوسة والباذنجان وغيرها .

وطريقهم في زراعة هذه الخضر سليمة ، أما أشجار الفاكهة فانهم يزرعونها بطريقة

غير سليمة وبعضها يجود في ثمره كالعنب والمشمش ، وينقصهم الفهم لأموال الزراعة إلى جانب ضعف قدرتهم المادية واعتمادهم في رفع الماء على مضخات (موتورات) غير جيدة ثم حداثة الزراعة والخبرة الزراعية عندهم إضافة إلى قلة الأيدي العاملة وارتفاع أجورهم .

وفي قرية صُوير مدرسة ابتدائية للبنين ومدرسة ابتدائية للبنات ، وفيها مستوصف صحي ، فيه دكتور وممرضة وصيولي ، وقد أقيم للمدرستين والمستوصف أبنية بالاسمنت والخشب ، وفيها مركز حكومي فيه موظفون ولهم رئيس مرتبط في جميع شؤونه بإمارة الجوف وبهذا المركز تناط شؤون قرية صوير وقرية هديب . ورئيسه في هذا العهد يدعى : عيد بن سلطان من قبيلة الدّعاجين من عُتبية ، وهو قديم العهد في بلاد الجوف وقد تنقل في رئاسة عدة مراكز من المراكز التابعة لإمارة الجوف ، وقد لقي منه العاملون في مركز الحملة في هديب وفي صوير حفاوة وإكراماً برهن عن كرم عربي أصيل ، كما دل على مدى تقديره لما يقومون به من جهد في أداء واجبهم في التدريس والتوعية والإرشاد .

مركز تحقيقات صوير عام ١٣٩٥ هـ

الرّولة في صُوير :

سبق أن ذكرت أنني وصلت إلى مركز الحملة في صوير في الثلاثاء الموافق ١/٦/١٣٩٥ هـ ، والتقيت بأفراد أهله في فصول الدراسة وفي حلق الوعظ والذكر ، ولبت فيه عدة أيام عملت فيها مدرساً لمواد الدين ومرشداً في كلّ جلسة وفي كلّ مناسبة وأجيب على أسئلتهم مراعيّاً في ذلك قدرتهم على الفهم وحاجاتهم النفسيّة وملاءمة ذلك لمداركهم وظروفهم ودوافعهم الاجتماعيّة ، وكانوا — رغم ضحالتهم الثقافيّة — يصيخون إلى الوعظ ويصغون إلى الإرشاد ويرتاحون كثيراً لقراءة الآيات الكريمة والأحاديث الشريفة ويستجيبون لحصص الدروس الدينيّة لأنها تلائم حاجتهم الروحية المقفّرة ، فهم في حالة فقر روحي يعانون منها الكثير ، وليس في قريتهم مسجد مبني تقام

فيه الصلاة — رغم أنهم يقيمون صلاة الجمعة — ويؤمهم في الجمعة رجل منهم ضعيف القراءة ، وثقافته في أمور العبادات ضحلة جداً . ويوتهم متفرقة وبعضهم يصلون أفراداً ، أو بأعداد قليلة كل رجلين أو ثلاثة يصلون وحدهم .

أما صلاة الجمعة فانهم يجتمعون لها في بيت كبير من الشعر ، هبىء لهذا الغرض يتسع لهم ، وهذا البيت يظل مطروحاً على الأرض خلال أيام الأسبوع لا يصلي فيه شيء من الفرائض . فإذا كان يوم الجمعة رفع قبل وقت الصلاة وصلوا فيه صلاة الجمعة وبعد انقضاء الصلاة يطرح على الأرض — كعادتهم — فلا يرفع إلا في الجمعة القادمة .

ويبدو لي أن اختلافهم في موقع بناء مسجد جامع لهم هو أحد الأسباب لتأخير بنائه ، والأولى بهم أن يهتموا بشأن بناء المسجد لصلاة الفرائض وصلاة الجمعة فيه وآلا يتخذوا منه مبعثاً للاختلاف فيما بينهم ، ولا شك أن تعصبيهم وإصرارهم على الاختلاف على موقعه ناشىء عن جهلهم وعدم اهتمامهم بأمر صلاتهم وآلا لما بقوا طيلة أعوام يقيمون الجمعة في بيت من الشعر ، لا يصلي فيه إلا فريضة الجمعة وبقية الأيام يبقى مهجوراً لا يصلي فيه ، بل ملقى على الأرض ، ومن الواجب أن ينظر في أمرهم من قبل المسئولين وينبى لهم جامع في الموقع الوسط المناسب ليكون عوناً لهم على إقامة الصلوات فيه جماعة ، وحتى تُقام الجمعة في مسجد معمور بالعبادة في سائر الأيام . وفي زيارة تالية أخبرني أمير الجوف أن موقع المسجد قد حدد واعتمدت الدولة تكلفة بنائه .

العادات والتقاليد لدى أهل صُوير :

لا يختلفون في عاداتهم وتقاليدهم كثيراً عن غيرهم من القبائل العربية الأخرى ، في ضيافتهم ومناسباتهم في الزواج وغيره ، بيوتهم كبيرة جداً وأعمدتها مرتفعة وهي من الشعر الأسود وبعضها منسوج من القطن الأبيض ، يقسم البيت إلى قسمين أحدهما لأثاث البيت وجلس النساء وعمل الطعام ، والقسم الثاني لجلس الرجال ، وفيه موقد محفور في الأرض للنار وتعمل فيه القهوة والشاي .

وفيه يستقبل الزوار والضيوف . وتوضع الفرش فيه بشكل دائري لجلوس الرجال ، وتوضع عليها وسائد يتكى عليها الجالسون ، بعضها من الاسفنج وبعضها محشو بالقطن .

ويقوم من يصب القهوة أو الشاي ويدور على الجالسين قائماً حتى يفرغ منها .

أما ضيافتهم فانها تصنع من الأرز واللحم ويوضع بعضه فوق بعض في صحن كبير ، ويتقدم له الضيف والمدعوون ثم يعقبهم الشبان والصبيان كدفعة ثانية فياكلون بعدهم .

ومن العادات المنتشرة بينهم ظاهرة التدخين ، فالأكثرون منهم يدخنون شيوخاً وشباناً ، ويتعاطونه في مجالسهم ، وفي أحوالهم العادية .

قبيلة القعاقعة :

تمثل قبيلة القعاقعة فرعاً كبيراً من الرولة من عترة ، وتتفرع هذه القبيلة إلى فروع عدة وهي :

١ — آل عطية ، وعدد بيوتهم أربعون بيتاً تقريباً ، ويرأسهم العاصي المطارح .

٢ — آل جرذي ، وعدد بيوتهم ستون بيتاً تقريباً ، ورئيسهم ذبيان بن محميد .

٣ — المصطَفقة ، وعدد بيوتهم خمسة وأربعون بيتاً تقريباً ، ويرأسهم وحش بن بطحي المصطَفق .

٤ — الحاميد ، وعدد بيوتهم خمسون بيتاً تقريباً ، ورئيسهم مناحي بن ضاين الحمادي .

٥ — آل عوينان ، وعدد بيوتهم خمسة وثلاثون بيتاً تقريباً ، ورئيسهم شهاب بن قليل .

٦ — آل وقيت ، وعدد بيوتهم يقرب من خمسين بيتاً ، ويرأسهم مطر بن مشنص بن نحيث .

٧ — آل ربشان ، وعدد بيوتهم يقرب من ستين بيتاً ، ورئيسهم المنفي بن حنيان الراوي .

٨ — آل مانع ، ويقرب عدد بيوتهم من خمسة وسبعين بيتاً .

٩ — الغشوم ، ويقرب عدد بيوتهم من ستين بيتاً ، ورئيسهم شبيب بن دغشم .

ويبدو أن هذه الفروع التي يرأس كلاً منها رئيس منه كانت تنقاد لرئاسة بيت القعقاع . وليس كل هذه الأعداد تقيم في بلدة صوير ، بل الأكثرون منهم يعيشون بدواً رحلاً ، والبعض منهم يعيشون في بلدان وقرى غير قرية صوير تبعاً لظروفهم المعيشية .

هَدَيْب :

بهاء مضبومة ودال مُهملة مفتوحة ثم ياء مثناة ساكنة وآخره باء موحدة ، كأنه تصغير هَدَب : ماء عذّ قديم ، آباره كثيرة ، يقع في جنوبي منخفض قرية صوير ، بينه وبين صوير ما يقرب من أربعة أكبال ، يحف به من الغرب ومن الجنوب كثبان رملية ومن الشرق جبل تقدم وصفه في ذكر صوير ، وفي الشمال منه قرية صوير ، ولا يختلف في تكوين بيئته الطبيعية وظواهره الجغرافية عن صوير ، وقد تقدم الحديث عنه ، ولم أر له ذكراً بهذا الاسم فيما اطلعت عليه من المعاجم الجغرافية وهو واقع شرق مدينة سكاكة ، ويؤدي إليه منها مع نفس الطريق الذي يؤدي معه إلى صوير ، وقد وصفته في ذكر صوير .

وهذا الماء لقبيلة الفُرَجّة من الرُّوَلَة من عَتَرَة ، وقد استقروا فيه وأقاموا فيه قرية لهم . ولا يختلف هؤلاء في أوضاعهم المعيشية والاجتماعية عن إخوانهم سكان صوير ، فهم معدمون من الإبل والغنم ، وقد اتجهوا للزراعة كحال جيرانهم في صوير ، قد احتفروا آباراً ارتوازية وزرعوها ، وطبيعة المياه والتربة ، وكذلك أنواع المزروعات وأساليب الزراعة عندهم لا تختلف في شيء عما هو قائم في صوير ، غير أنهم أحدث استقراراً في قريتهم من سكان صوير ، وبداية استقرارهم كانت عام ١٣٩٢ هـ .

وهي مرتبطة إدارياً بمركز صوير التابع لإمارة الجوف .

وما زال الأكثرون من سكانهم — رغم أنهم مستقرون — يسكنون في بيوت الشعر ، وقد أخذ العمران يظهر في قريتهم على شكل مساكن صغيرة تبنى بالاسمنت والأخشاب وهي محدودة لعجزهم عن البناء ، وقد شيد في قريتهم مبنى بالاسمنت المسلح لمدرسة البنين ، ومبنى للمستوصف . وليس في قريتهم مسجد معمور تقام فيه الصلاة ، وبيوتهم متفرقة هنا وهناك ولا يجتمعون مع بعضهم لإقامة الصلاة جماعة ، بل كل اثنين أو ثلاثة يصلون معاً لوحدهم . ولم أر منهم اهتماماً كبيراً بأمر المسجد كاهتمامهم بأمر المدرسة .

ويتسم أفراد هذه القبيلة بالهدوء وطيب المعشر رغم فقرهم وخلو أيديهم من الإبل والغنم ، وعامتهم يستفيدون من مخصصات الضمان الاجتماعي .

الرولة في هديب :

سبق القول أنني انتقلت من مركز صوير إلى مركز هديب في يوم الثلاثاء الموافق ٦/٨/١٣٩٦ هـ وقد التقيت في هذا المركز بأفراد قبيلة الفرجة من الرولة سكان هديب ، والدراسة فيه تسير على فترتين ، فترة صباحية يدرس فيها صغارهم ، وفترة مسائية يدرس فيها الكبار ، ويقوم بالتدريس في هاتين الفترتين شابان من خيرة المدرسين هما : محمد العبلان من أهالي الخرج ، مساعد المدير في (مدرسة اليرموك) في مدينة الخرج ، وسلطان بن خضران العتيبي مدير (مدرسة عمّار بن ياسر) بالرياض اجتمعت بالدارسين في هذا المركز في فصول الدراسة وفي حلق التذكير ، وفي غيرها من المناسبات وقد لاحظت أن لهم رغبة في دراسة القرآن الكريم والثقافة الدينية ، وأنهم يقبلون على حلق الوعظ والإشادة أكثر من إقبالهم على حصص الدروس في الفصول الدراسية ، وما ذاك إلا لملاءمتها لحاجتهم النفسية الناشئة عن فقرهم الثقافي وجذب بيئتهم الروحية في هذه المعرفة ، كما أنهم حريصون على حضور الدروس الدينية وفيهم رقة واصغاء عند الذكر ، ولم أر بينهم من العادات والمعتقدات ما يخالف أصول العقيدة الإسلامية .

غير أن الحياة التي عاشوها رُحلاً في بداوتهم جعلتهم في منأى عن التأثر بالنهضة التعليمية التي شملت أنحاء المملكة مدنها وقراها ، ويبدو لي أن التوعية والإشادة والأساليب التهديبية أنجع في تثقيفهم من الدروس التي يتلقونها في فصول دراسية ، هذا

بالنسبة لكبارهم ، أما شبانهم وأطفالهم فإن المدارس الحكومية الحديثة قد أصبحت موفرة لهم في قريتهم وقد انتظموا فيها ، وهم لا يختلفون عن غيرهم من أبناء القبائل الأخرى في المدن والقرى في إقبالهم على الدراسة وذكائهم الفردي ومستواهم في التحصيل .

العادات والتقاليد :

لا يختلف سكان هديب عن جيرانهم سكان صَوِير اختلافاً ملحوظاً في عاداتهم وتقاليدهم ، في بيوتهم أو ضيافتهم أو مناسباتهم المختلفة .

عامّة بيوتهم من الشعر الأسود ، وبعضها منسوج من القطن الأبيض ، واسعة الأرجاء عالية الأعمدة ، يقسم البيت إلى قسمين رئيسين ، قسم لأثاث البيت وللنساء ، وقسم لاستقبال الضيوف والزوار — وغالباً يكون هو القسم الأيمن في البيت — وفيه موقد للنار محفور في الأرض وتعمل فيه القهوة والشاي ، وتوضع فيه الفرش بشكل دائري ، وتوضع عليها وسائد (مخدّات) بعضها محشوّ بالقطن وبعضها من الاسفنج يتكىء عليها الجالسون ، ويقوم من يصبّ القهوة أو الشاي ويدور بها على الجالسين قائماً حتى ينتهوا منها .

وعامتهم يتعاطون التدخين في مجالسهم ، فالتدخين من العادات الشائعة بينهم ، شيوخاً وشباناً ، أما ضيافتهم — وهم بحق يتحلّون بالكرم ، كرم طبيعي متأصل في نفوسهم — وضيافتهم تتكوّن من الأرز واللّحم ، ويوضع اللّحم فوق الأرز في صحن كبير ويجلس الزوار والمدعوون على الطعام حول الصّحن بشكل دائري . وتتميز قبيلة الفرجة بأن يجلس الضيف والمدعوون على الطعام وحدهم لا يزاحمون عليه ثم يجلس الآخرون بعد فراغهم ، وبأن صبيانهم لا يحضرون عند طعام الوليمة أمام الضيوف والمدعوين . وإنما يحضر من شبابهم من يخدم في الضيافة ، في حمل ماء الشرب ويناوله من يرغب في الشرب ، وفي صبّ الماء لغسل الأيدي قبل الطعام وبعده ومناولة المنشفة وغير ذلك . وقبل النهوض إلى الطعام يدار على الجالسين بابرّيق فيه ماء وقده فارغ فيصب على أيديهم ويغسلونها وهم في مجالسهم ويجمع غسيل الأيدي في القدح الفارغ

ويكفأ بعيداً . أما تقاليدهم في الزواج ، فإنها لا تختلف كثيراً عما هو معتاد عند القبائل الأخرى ، في أسلوب الخطبة والزفاف وحفل الزواج .

تبدأ الخطبة باتصال تمهيدي بين أهل الخاطب وأهل المخطوبة — ونعني بالخطبة طلب التزويج — وليس عقد النكاح كما هو معروف عند أهل تلك البلاد . يتلو ذلك طلب يقوم به ذو وجهة فيهم فإذا تمت الموافقة تلاها عقد النكاح ، وعند العقد يحدد مقدار المهر ، وغالباً يكون متوسطاً بالنسبة للمهر عند غيرهم من القبائل التي أخذت تغالي في مهور نساءها ، وفي ذلك دليل على التسامح والتعاون فيما بينهم ، ثم يبعث الصداق إلى بيت أهل الزوجة ، ومن ثم يحدد موعد الزفاف ، ويتم الزفاف في بيت المتزوج وكذلك حفل الزفاف .

يُعدّ الزوج في بيته طعاماً للأقارب والمدعوين لحفل الزفاف في ليلة الزفاف ، وتحضر زوجته إلى بيته حيث أقيم حفل الزفاف ترافقها أمه أو أخته أو إحدى كبريات النساء من أسرته ، ويقام الاحتفال — وغالباً تقام عرضة تشبه إلى حد ما الرقصة البدوية النجدية قديماً ، ويسمونها دحة ، وكذلك في بلاد الجوف يسمون هذا النوع من الرقصة أو العرضة دحة .

وبلغني أنه يشترك فيها نساء مع الرجال غير أنني لم أَر شيئاً من ذلك فيما أقيم من مناسبات أثناء وجودي هناك . وقد يكون ذلك في زمن غابر .

وبعد مضي ثلاثة أيام أو أربعة على الزفاف يُدعى الزوجان إلى بيت أبي الزوجة حيث يقيم ضيافة في بيته يدعو إليها أقارب كل منهما ، وبنهاية هذه الضيافة يعود الزوجان إلى بيتها وتنتهي مناسبات الزواج ، ويوجد في هذه القبيلة شعراء كغيرها من القبائل ، غير أنني لم أسمع بأخبار شعراء مشهورين منهم . وسأذكر نماذج من شعر الرولة .

ومن شعراء قبيلة الرولة قربان من المرعش له شعر في أخبار قبيلته ، وقصائده جيدة إلا أنها مقطوعات قصيرة منها قوله :

عَلِمَ لِي مِنْ لَأَنِّي يَبْرِي الْأَوْجَاعُ بَخْشَمَ اللَّيِّدِ بَيْنَ خَضْرَا وَلَيْنِهِ
رَكَبُوا لَهُ (الْفِدْعَان) لِلشَّيْطَانِ جِدَاعُ وَكُلُّ جَوَادِهِ جَاتُ تَبَارِي هَجِينِهِ^(٢)

على فَرِيقَ بِالْخَلَا قِطْمَ الْأَفْرَاحِ تَسْعِينَ بَيْتٍ وَالصَّنَمَ حَاسِبِينَ
رَكِبُوا هَلْ (الْهَدْلَا) عَلَى كُلِّ مَطْوَاعٍ مَنْ فَوْقَ شَهْبَ لَوْنِ صَافِي الشَّيْنَةِ (٣)
مِرْكَاطُهُمْ يَشْبَعُ بِهِ الذَّيْبُ لِيَا جَاعٍ وَالضَّبْعَةُ الْعَرَجَا تَصْبَحُ بَدِينَهُ
بَشْلَفٍ يَقْطُنُ الْفَنَائِدُ وَالْأَضْلَاحُ وَكَمْ رَأْسٌ عَنْ مُتُونِهِمْ قَارِطِينَهُ

كان قربان ذات يوم عند اللكود كبير قرية الحارة ، في نقرة الجولان ، وكان اللكود
فلاحاً ، وعنده أسراب من الحمام ، أخذت هذه الأسراب تطير ذاهبة وآية أمام الشاعر
فقال :

الله على رَكْبَةِ حَمَامِ اللُّكُودِ يَضْبَحُ عَلَيْهِنَّ ضَيْقَ الْبَالِ مِسَاحٍ
يَاشْلَهُنَّ مِنْ عِنْدِ خَشَمِ الْعُمُودِ مَنْ الْحَارَّةَ لِهِنَّ أَنْبِطُ بَسْ مِرْوَاحٍ (٤)
قِطْمِ الْخُشُومِ مَخْضِبَاتِ الزُّنُودِ شِعْوٍ ، يَلَاغِبَنَّ الْهَبَائِبُ بِالْأَجْنَاخِ
سَلَّمَ عَلَى اللَّيِّ سَاكِنِ النَّفُودِ يُمَضِّي كَوَانِينَ الشَّتَابَسِ بِمِرَاحٍ (٥)
هَذَا عَلَيْهِمْ مِنْ لِيَالِي السُّعُودِ يَا بَا الْخَلَا جَاهُمْ ، وَقَالَ : الْمَطَرَطَاخُ
لَا سَايَلُوا عَنِّي ، وَلَا عَنْ قُعُودِ وَلَا هِمَّةَ اللَّيِّ قَاعِدٍ عِنْدَ فَلَاحٍ

وتنقسم قبيلة الفرجة إلى فروع عدة ، ولكل فرع منها رئيس منهم ، وليسوا مقيمين
جميعهم في قرية هديب ، بل الأكثرون منهم بدو رُحَّل ، ومنهم من يقيم في مدن وفي
قرى متفرقة غير قرية هديب تبعاً لظروفهم المعيشية ، وفرعهم كما يأتي :

١ — الخُضْعَان ، ويبلغ عدد بيوتهم (٦٠) بيتاً تقريباً ، وعامتهم مقيمون في قرية
هديب ، ورئيسهم ناصر بن عويضة الخضع ، وقيم في قرية هديب .

٢ — الفلتا ، ويقرب عدد بيوتهم من (١٠٠) بيت ، ورئيسهم عبيد بن مغير
الفلتي ولآبائه سابق قيادة فيهم ، وهم مازالوا بدو رُحَلًا .

٣ — المِطْلَان ، وعدد بيوتهم يقرب من (٤٠) بيتاً ، وعامتهم بدو رُحَل ،
ورئيسهم حومان المشوِش ، وقيم حالياً في قرية هديب ، ولآبائه سابق قيادة وفروسية
في عشيرتهم .

٤ — السَّمْدَان ، ويقرب عدد بيوتهم من (٣٥) بيتاً ، وعامتهم بدو رحّل ، ويرأسهم جايي ابن زيدان بن متعب .

٥ — السَّبَّاح : ويقرب عدد بيوتهم من (١٠٠) بيت ، وعامتهم بدو رحّل ، ويرأسهم رايح بن شعيل بن وائل .

٦ — السَّوَّاحِلَة ، وعدد بيوتهم يقرب من (٧٠) بيتاً ، وعامتهم بدو رحّل ، ورئيسهم قابل بن عياط بن جزلة ، ولآبائه سابق قيادة في عشيرتهم .

٧ — القَفْيَان ، ويقرب عدد بيوتهم من (٥٠) بيتاً ، وهم بدو رحّل ، يرأسهم بطّاح بن حديج البوّاش .

٨ — الرَّمَّاح ، بتخفيف الميم ، وعدد بيوتهم يقرب من (١٠٠) بيت ، وهم بدو رحّل يرأسهم سُوْدَان ابن جضعان أبا الحشو .

٩ — القَدْرَان : ويقرب عدد بيوتهم من (٤٥) بيتاً ، وعامتهم بدو رحّل ، ويرأسهم ليلي بن عود بن قدران .

١٠ — المُدْهَرَشَة ، ويقرب عدد بيوتهم من (٦٠) بيتاً ، وعامتهم بدو رحّل ، ويرأسهم عبد الله بن جدعان المدهرش .

١١ — العَزُول ، وعدد بيوتهم يقرب من (٤٠) بيتاً ، وعامتهم بدو رحّل ، يرأسهم خلف بن شطيّط العزلي .

١٢ — المَشِيْط ، وعدد بيوتهم يقرب من (٥٠) بيتاً ، وعامتهم بدو رحّل ، ويرأسهم معيوف بن فقيرة ابن مشيط .

١٣ — البَادِي ، وعدد بيوتهم يقرب من (٢٠) بيتاً ، وهم لاحقون بالخضعان في قيادتهم .

وحدثتُ أن قيادة بيت الخضع تمثل قيادة عامة لهذه الفروع ، ويرأس قيادتها في هذا العهد ناصر بن عويضة الخضع ، ويقع في قرية هديب ، وهو شاب نشط ، تبدو —

مقتطفات :

من كتاب "الإيناس"

[وهذه مقتطفات أخرى من كتاب «الإيناس» تتعلق بأخبار العرب وأمثالهم ، استقاها الوزير ابن المغربي من مؤلفات لم تصل إلينا بعد .

وقد صدر كتاب «الإيناس» من مطبوعات (النادي الأدبي في الرياض) ومنشورات (دار الإمامة للبحث والترجمة والنشر) .
ولكن البحث قد أعيد للنشر قبل صدور الكتاب] .



يَقْنُ :

في عَادٍ : يَقْنُ .
وفي تَمِيمٍ : أَمْرًا اسْمُهَا : يَقْنُ بِنْتُ شَرِيقِ بْنِ غَنَمٍ ، من بَنِي جُشَمِ بْنِ سَعْدِ بْنِ

→ عليه سمات الذكاء ، يتحلّى بالكرم ودمائة الأخلاق وبعد النظر ، احتفى بأعضاء الحملة الذين يزاولون التدريس في مركز هديب ، وبذل جهداً ملحوظاً في اجتذاب أفراد قبيلته إلى الانتساب إلى هذه المدرسة واقناعهم بفائدتها وجدواها ، وأشاد بما توليه الحكومة من الاهتمام في سبيل مكافحة الأمية بين أفراد المواطنين بشتى الطرق ومختلف الوسائل ، وكان يتفقد حضورهم بين حين وآخر ، ويجلس معهم في فصول الدراسة وحلق التوعية والتذكير .

الرياض : سعد بن عبد الله بن جنيدي

مقتطفات :

من كتاب "الإيناس"

[وهذه مقتطفات أخرى من كتاب «الإيناس» تتعلق بأخبار العرب وأمثالهم ، استقاها الوزير ابن المغربي من مؤلفات لم تصل إلينا بعد .

وقد صدر كتاب «الإيناس» من مطبوعات (النادي الأدبي في الرياض) ومنشورات (دار الإمامة للبحث والترجمة والنشر) .
ولكن البحث قد أعيد للنشر قبل صدور الكتاب] .



يَقْنُ :

في عَادٍ : يَقْنُ .
وفي تَمِيمٍ : أَمْرًا اسْمُهَا : يَقْنُ بِنْتُ شَرِيقِ بْنِ غَنَمٍ ، من بَنِي جُشَمِ بْنِ سَعْدِ بْنِ

→ عليه سمات الذكاء ، يتحلّى بالكرم ودمائة الأخلاق وبعد النظر ، احتفى بأعضاء الحملة الذين يزاولون التدريس في مركز هديب ، وبذل جهداً ملحوظاً في اجتذاب أفراد قبيلته إلى الانتساب إلى هذه المدرسة واقناعهم بفائدتها وجدواها ، وأشاد بما توليه الحكومة من الاهتمام في سبيل مكافحة الأمية بين أفراد المواطنين بشتى الطرق ومختلف الوسائل ، وكان يتفقد حضورهم بين حين وآخر ، ويجلس معهم في فصول الدراسة وحلق التوعية والتذكير .

الرياض : سعد بن عبد الله بن جنيدي

زَيْدٍ مِّائَةً كَانَتْ تَحْتَ رَجُلٍ مِنْ قَوْمِهَا ، وَكَانَ أَخُوهَا الرَّيْبُ بْنُ شَرِيقٍ مِنْ فُرْسَانَ يَنْبِي
سَعْدٍ وَأَشْرَافِهِمْ وَكَانَتْ لَهَا ضَرَّةٌ ، وَلِضَرَّتِهَا ابْنٌ يُقَالُ لَهُ الْحَمِيْتُ ، فَوَقَعَ بَيْنَ تَقْنٍ
وَضَرَّتِهَا شَرٌّ فَاسْتَبَتَا فَغَلَبَتْهَا تَقْنٌ ، فَلَمَّا سَمِعَ ذَلِكَ الْحَمِيْتُ ، أَخَذَ الرُّمَحَ فَطَعَنَ بِهِ فِي
فَخْدِ تَقْنٍ فَأَنْفَذَ فَخَذَهَا ، فَلَمَّا رَأَى ذَلِكَ أَبُوهُ كَرِهَ أَنْ يَبْلُغَ أَخَاهَا ذَلِكَ ، فَاسْتَكْتَمَهَا
إِيَّاهُ عَنْهُ ، عَلَى أَنْ يُعْطِيَهَا ثَلَاثِينَ مِنَ الْإِبِلِ ، فَرَضِيَتْ ، وَأَخَذَتْ الْإِبِلَ فَوَسَمَتْهَا
بِمِيسَمٍ أَخِيهَا الرَّيْبِ ، وَالْحَقَّتْهَا بِإِبِلِهِ فَكَانَتْ فِي إِبِلِهِ مَا شَاءَ اللَّهُ ، ثُمَّ إِنَّ سُفْيَانَ بْنَ
شَرِيقٍ ، أَخَا الرَّيْبِ ، وَرَدَ الْمَاءَ بِإِبِلِهِ وَكَانَ بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْحَمِيَّتِ كَلَامٌ ، فَضَرَبَهُ
الْحَمِيْتُ فَأَدَمَاهُ : فَأَتَى سُفْيَانُ أَخَاهُ الرَّيْبَ فَأَعْلَمَهُ ، فَرَكِبَ فَرَسًا لَهُ يُقَالُ لَهُ : هَدَاجٌ ،
ثُمَّ لَحِقَ الْحَيَّ وَهُمْ سَائِرُونَ ، فَقَالَ : مَنْ أَحْسَنَ لِي مِنْ بَكْرِ أَوْرَقَ ضَلَّ مِنْ إِبِلِي ؟
فَيَقُولُونَ : مَا رَأَيْنَاهُ ، فَمَضَى حَتَّى لَحِقَ الْحَمِيَّتَ وَهُوَ يَسِيرُ فِي سَلَفِ الْحَيِّ ، فَقَالَ :
هَلْ أَحْسَسْتَ مِنْ بَكْرِ أَوْرَقَ ضَلَّ مِنْ إِبِلِي ؟ قَالَ : مَا رَأَيْتُهُ ، ثُمَّ إِنَّ الرَّيْبَ أَلْقَى سَوْطَهُ
كَأَنَّهُ وَقَعَ مِنْهُ ، وَقَالَ لِلْحَمِيَّتِ : نَاوِلْنِي سَوْطِي ، فَأَكَبَّ لِيُنَاوِلَهُ السَّوْطَ ، فَقَالَ
الرَّيْبُ : أَعَكَّرْتَنِي بِالْضَّفِيرِ ؟ ! ثُمَّ ضَرَبَهُ بِالسَّيْفِ عَلَى مَجَامِعِ كَتِفَيْهِ ضَرْبَةً كَادَتْ تَقَعُ
فِي جَوْفِهِ ، ثُمَّ مَضَى عَلَى فَرَسِهِ ، وَذَهَبَ قَوْلُهُ «أَعَكَّرْتَنِي بِالْضَّفِيرِ» مَثَلًا .

وَالضَّفِيرُ : حَبْلٌ مَضْفُورٌ ، يَقُولُ أَتَعَكَّرُ عَلَيَّ عَكَّرَتَيْنِ ، أَيُّ تَعَطَّفُ عَلَيَّ مَرَّتَيْنِ
تَضْرِبُنِي بِالْحَبْلِ ، وَالْعَكَّرُ . الرَّجُوعُ .

وَقَالَ الرَّيْبُ فِي هَذِهِ الْقِصَّةِ :

بَكَتْ تَقْنٌ فَأَوْجَعَنِي بُكَاءَهَا	وَعَزَّ عَلَيَّ أَنْ وَجِعَتْ نَسَاهَا
دَلَفْتُ لَهُ بِأَبْيَضَ مَشْرِفِي	أَلَمَّ عَلَى الْجَوَانِحِ فَاخْتَلَاهَا
وَكَانَ مُجَرَّبًا سَنِي صَنِيعًا	فِيَاكَ نَبُوءَةُ سَنِي نَبَاهَا

فِي آيَاتٍ :

حَبْشِيَّةُ :

في خُرَاعَةٍ : حَبْشِيَّةٌ — مَفْتُوحُ الْحَاءِ مُسَكَّنُ الْبَاءِ مَكْسُورُ الشَّيْنِ ، مُخَفَّفُ الْبَاءِ .

وقد قال قومٌ : إنه حَبْشِيَّةٌ ، مُشَدَّدًا ، وَالْأَوَّلُ هُوَ الصَّحِيحُ وَالْحَبْشِيَّةُ عِنْدَ أَبِي بَكْرٍ بنِ دُرَيْدٍ : النَّمْلَةُ الْكَبِيرَةُ . وَهُوَ حَبْشِيَّةٌ بنِ سَلُولِ ابنِ كَعْبٍ بنِ عَمْرِو بنِ لُحَيٍّ ، واسمُ لُحَيٍّ : رَيْبَعَةُ بنُ حَارِثَةَ بنِ عَمْرِو مَزِينِيَاءَ بنِ عَامِرٍ مَاءِ السَّمَاءِ بنِ حَارِثَةَ الْغَطْرِيفِ بنِ امرئِ الْقَيْسِ بنِ ثَعْلَبَةَ بنِ مَازَنَ بنِ الْأَزْدِ .

وقد قيل الْغَطْرِيفُ بنِ ثَعْلَبَةَ بنِ امرئِ الْقَيْسِ بنِ مَازَنَ .

فَمَنْ بَطُونِ حَبْشِيَّةٍ : بَنُو قُمَيْرِ بنِ حَبْشِيَّةٍ ، مِنْهُمْ قَبِيصَةُ بنُ ذُوَيْبِ بنِ حَلْحَلَةَ بنِ عَمْرِو بنِ كَلْبِ بنِ أَصْرَمَ بنِ عَبْدِ اللَّهِ بنِ قُمَيْرٍ ، كَانَ عَلَى خَاتَمِ عَبْدِ الْمَلِكِ بنِ مَرْوَانَ ، وَكَانَ كَالْوَزِيرِ لَهُ ، وَشَدِيدَ الْخُصُوصِ بِهِ ، وَكَانَ يُكْنَى أَبَا اسْحَاقَ . وَمَاتَ فِي أَيَّامِ عَبْدِ الْمَلِكِ .

وقد أنكرَ بَعْضُ أَهْلِ السِّيَرِ ، ذَلِكَ وَقَالُوا : إِنَّهُ خَدَمَ الْوَلِيدَ أَيْضًا وَخُصَّ بِهِ .

وقبِيصَةُ كَانَ قَدْ بَلَغَ مِنْ لَطَافَةِ مَحَلِّهِ عِنْدَ عَبْدِ الْمَلِكِ أَنَّهُ كَانَ يَفُضُّ الْكُتُبَ وَيَقْرُؤُهَا قَبْلَ وَقُوفِ عَبْدِ الْمَلِكِ عَلَيْهَا .

وَكَانَ مَرْوَانُ قَدْ عَهْدَ إِلَى ابْنِهِ عَبْدِ الْعَزِيزِ بَعْدَ عَبْدِ الْمَلِكِ ، فَلَمَّا تَمَكَّنَ عَبْدُ الْمَلِكِ هَمَّ بِخَلْعِهِ وَالْعَقْدَ لِابْنَيْهِ الْوَلِيدِ وَسَلَّيْمَانَ ، فَنَهَاهُ عَنْ ذَلِكَ قَبِيصَةُ وَقَالَ : لَعَلَّ الْمَوْتَ يَأْتِي عَلَيْهِ فَتَسْتَرِيحَ مِنْهُ .

فَوَرَدَ الْكِتَابُ فِي جُمَادَى الْأُولَى مِنْ سَنَةِ خَمْسٍ وَثَمَانِينَ بِمَوْتِهِ فَقَضَاهُ قَبِيصَةُ وَقَرَأَهُ وَدَخَلَ إِلَى عَبْدِ الْمَلِكِ فَعَزَّاهُ بِأَخِيهِ عَبْدِ الْعَزِيزِ فَوَلَّى عَبْدُ الْمَلِكِ ابْنَهُ عَبْدَ اللَّهِ بنَ عَبْدِ الْمَلِكِ مِصْرَ ، وَعَقَدَ لِابْنَيْهِ الْوَلِيدِ وَسَلَّيْمَانَ الْعَهْدَ .

ومن بَطُونِ حَبَشِيَّةَ ضَاطِرُّ بْنُ حَبَشِيَّةَ ، مِنْهُمْ قَيْسُ بْنُ عَمْرٍو بْنِ مُنْقِذِ بْنِ عُبَيْدِ بْنِ
ضَاطِرِّ الشَّاعِرِ الْمَعْرُوفِ بِقَيْسِ بْنِ الْحُدَّادِيَّةِ الْخَزَاعِيِّ . وَيُنْسَبُ إِلَى أُمِّهِ . وَهِيَ
الْحُدَّادِيَّةُ ، مِنْ حُدَادَ وَاسْمُ حُدَادَ : رَبِيعَةُ بْنُ مُعَاوِيَةَ بْنِ بَدَاوَةَ بْنِ ذَهْلٍ بْنِ طَرِيفِ بْنِ
خَلْفٍ بْنِ مُحَارِبِ بْنِ خَصَفَةَ ابْنِ قَيْسِ بْنِ عِيلَانَ .

وَقَدْ قِيلَ : إِنَّ أُمَّهُ مِنْ حُدَادِ بْنِ مَالِكِ بْنِ كِنَانَةَ . وَالْأَوَّلُ أَثْبَتُ عِنْدَ ابْنِ حَبِيبٍ ،
وَمَنْ قَوْلِ قَيْسٍ هَذَا :

وَمَا زِلْتُ تَحْتَ السَّرِّ حَتَّى كَانَنِي مِنْ الطَّلِّ ذُو طِمْرَيْنِ فِي الْبَحْرِ شَارِعُ
وَإِنِّي لِأَغْضِي الطَّرْفَ عَنْهَا تَحْمَلًا وَقَلْبِي إِلَى أَسْمَاءِ عَطْشَانُ جَائِعُ
تَقُولُ وَعَيْنَاهَا تَفِيضَانِ عَبْرَةً :

— الأبيات المعروفة

ومن قوله :

فَأَطِيبْ بِهَا لِمَنْ تَكُونُ ضَجِيعُهُ إِذَا مَا الثَّرِيَّا ذَبَذَتْ كُلَّ كَوَكَبِ
مُبْتَلَّةٌ هَيْفَاءُ ثَوْنِكَ شَيْمَةً عَلَى حَصْرِ فِي صَدْرِهَا وَتَهَيَّبِ

ومن قوله :

وإِنَّ ضَعِيفَ الرَّأْيِ مِنْ هَاجٍ شَوْقُهُ خِيَامٌ عَلَى قُرَّانٍ بَادٍ ثَمَامُهَا
مَرَزَتْ بِفَلْتٍ وَالْبُحُورَ كَانَهَا قِلَادَةٌ جَزَعٍ سُلٍّ مِنْهَا نِظَامُهَا
إِذَا سُمْتُهَا التَّقِيلَ صَدَّتْ وَأَعْرَضَتْ صُدُودَ شَمُوسِ الْخَيْلِ ضَلَّ لِحَامُهَا
وَعَضَّتْ عَلَى إِبْهَامِهَا ثُمَّ وَاَعَلَتْ حِذَارَ الْبُيُوتِ أَنَّ يَهْبُ نِيَامُهَا

ومن قوله :

فَيَوْمَانِ يَوْمٌ فِي الْحَدِيدِ مُسْرَبَلًا وَيَوْمٌ مَعَ الْبَيْضِ الْكَوَاعِبِ لَاهِيًا

إِذَا مَا طَوَاكِ الْبَعْدُ يَا بِنْتَ مَالِكٍ فَشَانَ الْمَنَابِي الْقَاضِيَاتِ وَشَانِيَا

وَابْنُ أَخِي قَيْسٍ هُوَ : الْجَوْنُ بْنُ عَبْدِ الْعَزَى بْنِ مُنْقِذِ الشَّاعِرِ الْقَائِلُ :
فَنَحْنُ خَلَطْنَا الْحَرْبَ بِالسَّلَامِ فَاسْتَوَتْ وَأَمَّ هَوَاهُ كُلُّ حَافٍ وَنَاعِلٍ
وَمِنْ بَطُونِ حَبْشِيَّةٍ حَلِيلُ بْنُ حَبْشِيَّةٍ ، مِنْهُمْ أَبُو غُبْشَانَ ، وَهُوَ الْمُحْتَرِشُ بْنُ
حَلِيلٍ ، وَأُخْتُهُ : حَبْيُ بِنْتُ حَلِيلٍ ، أُمُّ عَبْدِ مَنَافٍ بْنِ قُصَيٍّ .

حدثني عليُّ بن إبراهيم الدَّهْمَكِيُّ ، عن ابن أبي شَيْخٍ الْقَنَوِيِّ ، عن عَبْدِ اللَّهِ ابْنِ
الْمُعْتَزِّ ، عن أحمد بن يَحْيَى بن جَابِرِ الْبَلَاذُرِيِّ ، عن عَبَّاسِ ابْنِ هِشَامِ بْنِ مُحَمَّدٍ
الْكَلْبِيِّ ، وَغَيْرِهِ مِنْ أَشْيَاخِهِ .

وحدثني الحسن بن عبد الصمد بن الحسين ، عن أبيه ، عن أحمد بن إبراهيم
الإِسْنَانِيِّ عن أحمد بن عُبَيْدِ النَّحْوِيِّ ، عن الْوَاقِدِيِّ ، عن رِجَالِهِ .

وَأُخْبِرْتُ أَيْضاً عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ إِسْحَاقَ بْنِ يَسَارٍ صَاحِبِ «السِّيرَةِ» ، وَمَعْنَى الْحَدِيثِ
كُلَّهُ مُتَّفَقٌ إِلَّا أَنَّ أَلْفَاظَهُ وَالزِّيَادَاتِ فِي شَرْحِهِ تَخْتَلِفُ ، فَقَصَّدْتُ عُمُودَ [الْمَعْنَى]
وَزِدْتُ فَتَقْصِتُ لِيَطْرُدَ نَسْقُ الْحَدِيثِ عَلَى غَايَةِ الْإِخْتِصَارِ .

قَالُوا : كَانَ قَدْ تَزَوَّجَ كِلَابُ بْنُ مَرْةٍ فَاطِمَةَ بِنْتَ سَعْدِ بْنِ سَيْلٍ الْأَزْدِيِّ — كَمَا قَدْ
شَرَحْنَاهُ فِي غَيْرِ هَذَا الْمَوْضِعِ — فَوَلَدَتْ لَهُ زُهْرَةَ وَزَيْدًا ، وَمَاتَ عَنْهَا فَقَدِمَ حَاجٌّ مِنْ
قُضَاعَةَ . فَتَزَوَّجَ رَيْبَعَةُ بْنُ حَرَامٍ بْنِ ضِيْنَةَ الْعُدْرِيِّ فَاطِمَةَ وَأَرَادَ إِخْرَاجَهَا ، فَرَامَتْ أَخَذَ
وَلَدَيْهَا ، فَمَنَعَتْهَا قُرَيْشٌ ، فَتَرَكْتَ زُهْرَةَ وَأَخَذَتْ زَيْدًا لِأَنَّهُ كَانَ صَغِيرًا ، فَسُمِّيَ زَيْدُ
قُصَبًا لِذَلِكَ ، وَقَدْ ذَكَرَ لَهَا شَعْرُ قَالَتْهُ كَتَبْنَاهُ فِي مَوْضِعِهِ ، مِنْ كِتَابِ «أَشْعَارِ النِّسَاءِ» . ثُمَّ
إِنَّ لِحَاءَ جَرَى بَيْنَ زَيْدٍ وَبَيْنَ رَجُلٍ مِنْ بَنِي عُذْرَةَ ، يُقَالُ لَهُ رُفِيعٌ ، فَقَالَ لَهُ رُفِيعٌ :
إِنَّكَ بِقَوْمِكَ فَلَسْتَ مِنَّا . فَرَجَعَ إِلَى أُمِّهِ فَأَخْبَرَهَا وَسَأَلَهَا ، فَقَالَتْ : إِنَّكَ مِنْ قَوْمِ أَشْرَفُ
حَسَبًا ، وَأَعَزُّ مَنَزَلًا ، وَأَظْهَرُ فَضْلًا ، وَقَدْ قَالَتْ لِي كَاهِنَةٌ رَأَيْتُكَ : إِنَّكَ تَلِي أَمْرًا

جَلِيلًا ، فَطَبَّ نَفْسًا ، وَارْتَحِلَ إِلَى أَرْضِ قَوْمِكَ حَوْلَ الْحَرَمِ ثُمَّ جَهَّزَتْهُ فَأَحْسَنْتْ
جَهَّازَهُ وَأَخْرَجَتْهُ فِي الشَّهْرِ الْحَرَامِ ، فَلَمَّا وَصَلَ عَرَفُوهُ وَأَكْرَمُوهُ وَأَعْظَمُوهُ وَغَلَبَ عَلَى
رِيَاسَتِهِمْ ، وَتَزَوَّجَ حَبِيبُ بِنْتِ حَلِيلِ بْنِ حَبِشَةَ ، وَكَانَتْ خُزَاعَةً إِذْ ذَاكَ غَالِيَةً عَلَى
وَلَايَةِ الْبَيْتِ بَعْدَ جُرْهُمٍ ، وَمَاتَ حَلِيلٌ وَجَعَلَ الْمِفْتَاحُ فِي يَدِ ابْنِهِ الْمُخْتَرِشِ أَبِي غُبَّانَ
فَيَقُولُ الْمُتَعَصِّبُونَ عَلَى الْيَمَانِيَّةِ : إِنَّ قُصَيًّا اشْتَرَى الْمِفْتَاحَ وَوَلَايَةَ الْبَيْتِ بِنَاقَةٍ كَانَتْ لَهُ
نَاجِيَةٌ وَزَادَهُ زِقٌّ خَمِرٍ فَصَيَّرَهَا إِلَيْهِ ، وَكَانَ الْمُخْتَرِشُ مَضْعُوفًا .

وَقَالَ آخَرُونَ . بَلْ أَوْصَى حَلِيلٌ بِذَلِكَ لِقُصَيٍّ إِكْرَامًا لِبَيْتِهِ .

فَأَمَّا رِوَايَتُنَا عَنْ الْوَاقِدِيِّ وَابْنِ إِسْحَاقَ جَمِيعًا : فَهُوَ أَنَّ قُصَيًّا رَأَى بَعْدَ حَلِيلٍ أَنَّهُ
أَحَقُّ بِالْبَيْتِ وَوَلَايَتِهِ لِشَرَفِ نَسَبِهِ ، فَجَمَعَ لِذَلِكَ رِجَالًا مِنْ قُرَيْشٍ وَكِنَانَةَ ، وَكَاتَبَ
أَخَاهُ مِنْ أُمِّهِ رِزَاحَ بْنَ رَيْبَعَةَ ، فَأَنْجَدَهُ رِزَاحٌ ، وَاقْتُلُوا ، فَغَلَبَ قُصَيٌّ عَلَى الْأَمْرِ غُلْبَةً ،
وَقَالَ فِي ذَلِكَ قُصَيٌّ :

نَحْنُ الْعَاصِمُونَ بَنُو لُؤَيٍّ بِمَكَّةَ مَنْصِبِي وَبِهَا رَبَّيتُ
لَنَا الْبَطْحَاءُ قَدْ عَلِمْتَ مَعَدِّي وَمَرُوثَهَا، رَضِيتُ بِهَا رَضِيتُ
فَلَسْتُ لِغَالِبٍ إِنْ لَمْ تَأْتِلْ بِهَا أَوْلَادُ قَيْدَرٍ وَالنَّبِيتُ
قُضَاعَةُ نَاصِرِي وَبِهِمْ أَسَامِي فَلَسْتُ أَخَافُ ضَيْمًا مَا حَيْثُ

فَأَجَابَهُ رِزَاحٌ ، أَوْ قَالَ عَلَى وَزْنِ شِعْرِهِ :

إِنِّي فِي الْحَيَاةِ أَخُو قُصَيٍّ إِذَا مَا مَسَّهُ ضَيْمٌ أَبَيْتُ
إِذَا يَجْنِي عَلَيَّ بَذَلْتُ نَصْرِي وَيَبْدُلُ مِثْلَ ذَلِكَ إِنْ جَنَيْتُ
نَفْسِنَا عَنْ مَنَازِلِهَا عَلِيًّا فَمَا مِنْهَا بِذِي الْأَطْوَاءِ بَيْتُ

يُرِيدُ : عَلِيُّ بْنُ مَسْعُودٍ بْنُ مَازِنِ الْغَسَّانِيِّ ، لِأَنَّهُ كَانَ أَخَا كِنَانَةَ لِأُمِّهِ ، وَكَفَلَ وَلَدَهُ
مِنْ بَعْدِهِ ، فَتَنَسَّبُوا إِلَيْهِ .

وكان قال رزاح في ذلك أيضاً :

أَجَبْنَا قُصَيًّا عَلَى نَأْيِهِ عَلَى الْجُرْدِ تَرْدِي رَعِيلاً رَعِيلاً
نَهَضْنَا إِلَيْهِ نَقُودُ الْحَيَا دَ، وَنَطْرَحُ عَنَّا الْمَلُولَ الثَّقِيلَا
وَنُدْمِي مِنَ الْخَيْلِ أَفْلَاءَهَا مَخَافَةَ أَنْ يَسْتَرْقِنَ الصَّهِيلاً

والشعر طويلٌ ، وإنا نكتب ما لعلهُ أن يُحفظَ منه .

وحبشية نفسه ، الذي سقنا هذا القول كله من أجله ، كان شاعراً .

وقال بكر بن غالب بن عامر بن الحارث بن مضاخر الجرهمي ، بعد أن تفنهم

خزاعة عن مكة :

أَلَا لَيْتَ شِعْرِي هَلْ أَيْتَنَ لَيْلَةً وَأَهْلِي مَعَا بِالْمَأْزَمِينَ حُلُولُ
وَهَلْ أَبْصِرَنَّ الْعَيْسَ تَنْفُخُ فِي الْبَرَى لَهَا فِي مِنيَ بِالْمُخْرِمِينَ ذَمِيلُ

فأجابه حبشية :

تَمَنَّى أَمَانِيَّ الضَّلَالِ وَإِنَّا نَفْتِكَ رِجَالُ ذَادَةٍ وَخُبُولُ
تَمَنَيْتَ أَنْ تَلْقَى خَزَاعَةَ بَرْحَةٍ فَقَدْ مَعَجَتْ مِنْهَا عَلَيْكَ سَيُولُ

وبكر هو القائل يُخاطبُ شاعراً من خزاعة ، يقال له : عمرو بن الحارث بن

عمرو :

يَا عَمْرُو لَا تَفْجُرْ بِمَكَّةَ إِنَّهَا بَلَدٌ حَرَامُ
وَأَسْأَلُ بِعَادِ أَيْنَ هُمْ أَمْ كَيْفَ تُخْتَرَمُ الْأَنَامُ
أَوْ بِالْعِمَالِيقِ الَّذِينَ لَهُمْ بِهَا كَانَ السَّوَامُ

وحليل بن حبشية حمو قصي يقول الشعر أيضاً ، وأنشدونا له :

نَجْنُ بَنُو عَمْرٍو وُلَاةُ الشَّعْرِ نَدُقُّ بِالْمَعْرُوفِ أَهْلَ الْمُنْكَرِ
حُمْسًا وَلَسْنَا نُهْزَةَ لِلْمُحْضَرِ

الْحُمْسُ ، مِنْ قُرَيْشٍ وَخُزَاعَةٍ وَكَنَانَةٍ ، سَمُّوا بِذَلِكَ لِتَنَزِيهِهِمْ أَنْفُسَهُمْ عَنْ مِهْنَةِ
الْأَعْمَارِ ، وَشَرَحُ خَبَرِهِمْ طَوِيلٌ .

حَبِيبُ :

(وَفِي يَشْكُرُ : حَبِيبُ) بْنِ كَعْبِ بْنِ يَشْكُرَ بْنِ بَكْرِ بْنِ وَاثِلٍ .
مِنْهُمْ : بَاعِثُ بْنُ صُرَيْمِ بْنِ أَسَدِ بْنِ تَيْمِ بْنِ ثَعْلَبَةَ بْنِ غُبَرِ بْنِ غَنَمِ بْنِ حَبِيبِ ،
وَأَمَّا سُمِّيَ غُبَرُ غُبَرٍ لِأَنَّ غَنَمًا تَزَوَّجَ أُمُّهُ وَهِيَ عَجُوزٌ ، فَقِيلَ : مَا أَرَدْتَ إِلَيْهَا ؟
فَقَالَ : لَعَلِّي أَتَغَبَّرُهَا غُلَامًا ، فَوَلَدَتْ غُلَامًا فَسَمَّاهُ غُبَرًا ، وَأَصْلُ ذَلِكَ مِنْ تَغَبَّرَ
الْحَالِبُ الضَّرْعَ إِذَا طَلَبَ غُبَرَ اللَّبَنِ ، أَيْ بَقَايَاهُ ، وَكَانَ وَاثِلُ بْنُ صُرَيْمٍ ذَا مَنَزَلَةٍ عِنْدَ
الْمُلُوكِ ، وَكَانَ مَفْتُوقَ اللِّسَانِ حُلُوهُ جَمِيلًا ، فَبَعَثَهُ عَمْرُو بْنُ هِنْدٍ سَاعِيًا عَلَى تَيْمِ ،
فَأَخَذَ الْإِتَاوَةَ مِنْهُمْ جَمِيعًا ، فَلَمْ يَبْقَ غُبَرُ بَنِي أُسَيْدِ بْنِ عَمْرِو بْنِ تَيْمِ ، فَأَتَاهُمْ فَجَمَعَ
النَّعَمَ وَالشَّاءَ ، وَأَمَرَ بِإِحْصَائِهِ ، فَبَيْنَمَا هُوَ قَاعِدٌ عَلَى بَيْتٍ إِذْ أَتَاهُ شَيْخٌ مِنْهُمْ وَاعْتَفَلَهُ
فَدَفَعَهُ فِي الْبَيْتِ ، وَاجْتَمَعُوا فَرَمَوْهُ بِالْحِجَارَةِ حَتَّى قَتَلُوهُ ، وَتَزَعَمُ بَنُو أُسَيْدٍ أَنَّهُمْ رَمَوْا
مَعَهُ كَلْبًا وَرَجَمُوهَا حَتَّى هَلَكَا وَهُمْ يَرْتَجِزُونَ :

بَابُهَا الْمَائِحُ دَلَوِي دُونَكَ إِنِّي رَأَيْتُ النَّاسَ يَحْمَدُونَكَ

وَبَلَغَ الْخَبْرُ أَخَاهُ بَاعِثًا ، فَعَقَدَ لَوَاءً وَنَادَى فِي بَيْنِي غُبَرَ وَسَارَ ، وَآلِي أَنْ يَقْتُلُوهُمْ
حَتَّى تَمْتَلِيءَ الدَّلُوعُ عِنْدَ إِدْلَائِهَا فِي تِلْكَ الْبَيْتِ دَمًا فَوَقَعَ بِهِمْ ، فَلَمْ يَزَلْ يَقْتُلُ حَتَّى أَذَلَّى
أَحَدُهُمْ دَلْوًا فَرَفَعَهَا مَلَأَى دَمًا ، وَقَالَ بَاعِثُ فِي ذَلِكَ :

سَائِلُ أُسَيْدَ هَلْ ثَارَتْ بِوَاثِلٍ
إِذْ أَرْسَلُونِي مَائِحًا بِدَمَائِهِمْ
وَحِمَارِ غَانِيَةٍ عَقَدْتُ بِرَأْسِهَا
وَعَقِيلَةَ يَسْعَى عَلَيْهَا قَائِمٌ
أَمْ هَلْ شَفِيتُ النَّفْسَ مِنْ بَلْبَالِهَا ؟
فَمَلَأْتُهَا عَلَقًا إِلَى أَسْبَالِهَا
أُصْلًا وَكَانَ مُيسَّرًا بِشِمَالِهَا
مُتَغَطِّرِسٌ أَبَدَيْتُ عَنْ خَلْخَالِهَا

وفوارِسٍ سَفَعِ الوُجُوهِ بَوَاسِرِ كَالْأَسَدِ حِينَ تَذُبُّ عَنْ أَشْبَالِهَا
 قَدْ قُذْتُ أَوَّلَ عُنْفُوانٍ رَعِيلِهَا فَلَفَفْتُهَا بِكِتِيبَةِ أَمْثَالِهَا
 وَقَالَ فِي ذَلِكَ أَبِي بْنُ مَسْعُودٍ الْيَشْكُرِيُّ ، الْمَعْرُوفُ بِالْمُنْخَلِّ :

قَدْ قَرَى بَاعِثُ أَسِيدٍ حَرْبًا فِي النَّوَاحِي يَشُبُّ فِيهَا الضُّرَامَا
 جَرَّدَ السَّيْفَ ثَائِرًا بِأَخِيهِ يَقْتُلُ الْكَهْلَ مِنْهُمْ وَالْقُلَامَا
 وَمَلَأْنَا الرِّكِيَّ حَتَّى عُرَاهَا عَلَقًا يَبْرُدُ الْقُلُوبَ السَّقَامَا
 زَبَانُ :

فِي غَنِيٍّ : زَبَانُ بْنُ كَعْبٍ بْنُ جِلَانَ بْنِ غَنَمٍ بْنِ غِنِيٍّ بْنِ أَغْصَرَ وَهُوَ مُنْبَهُ بْنُ سَعْدِ
 بْنِ قَيْسِ بْنِ عَيْلَانَ .

مِنْهُمْ : عُصَيْمَةُ بْنُ وَهَبِ الزُّبَانِيِّ ، الَّذِي أَسَرَ مَعْبَدُ بْنُ زُرَّارَةَ يَوْمَ رَحْرَحَانَ . وَكَانَ
 سَبَبَ هَذَا الْيَوْمِ : أَنَّ الْحَارِثَ بْنَ ظَالِمٍ الْمُرِّيَّ لَمَّا قَتَلَ خَالِدَ ابْنَ جَعْفَرِ بْنِ كِلَابٍ ، جَاءَ
 فَلَجَأَ إِلَى بَنِي زُرَّارَةَ فَكَانَ الْمُتَوَلَّى لِأَيَّوَانِهِ مِنْهُمْ مَعْبَدُ بْنُ زُرَّارَةَ ، فَلَمَّا عَلِمَ الْأَحْوصُ بْنُ
 جَعْفَرٍ بِذَلِكَ ثَارَ لِلطَّلَبِ بِدَمِ أَخِيهِ وَالتَّقُوا بِرَحْرَحَانَ ، وَطَعَنَ مَعْبَدُ بْنُ زُرَّارَةَ طَعْنَةً أَثَخَنَتْهُ
 فَسَدَّ فِي هَضْبَةٍ فَأَبْصَرَهُ عُصَيْمَةُ بْنُ وَهَبٍ فَأَخَذَهُ وَحَدَرَهُ ، فَأَخَذَهُ مِنْهُ عَامِرُ وَالطُّفَيْلُ ابْنَا
 مَالِكِ بْنِ جَعْفَرِ بْنِ كِلَابٍ ، وَأَثَابَا الْغَنَوِيَّ عَشْرِينَ بَعِيرًا .

وَأَتَتْ بَنُو عَامِرِ بْنِ صَعْصَعَةَ بِمَعْبَدٍ فَوَضَعَتْهُ بِالطَّائِفِ عِنْدَ أَبِي عَقِيلٍ جَدِّ
 الْحَجَّاجِ ، فَكَانَ يُوَافِي بِهِ الْمَوْسِمَ فِي كُلِّ سَنَةٍ ، لِيُفْدَى ، وَطَلَبُوا فِدَاءَهُ أَلْفَ بَعِيرٍ ،
 فَقَالَ لَقَيْطُ : صَبْرًا أَبَا الْقَعْقَاعِ ، فَإِنَّا لَا نَقْدِرُ عَلَى هَذَا : فَقَالَ مَعْبَدُ : مَا كَانَ لِيَلْقَانِي
 أَحَدٌ مِنْ إِخْوَتِي أَشَدَّ بُغْضًا لِي مِنْكَ ، فَمَاتَ هَزْلًا وَضَعْفًا ، وَكَانُوا يَأْتُونَهُ بِاللَّبَنِ فَيَقُولُ :
 كَيْفَ أَقْبَلُ قَرَأَكُمْ وَأَنَا فِي الْقِدَّةِ ؟ ! إِنِّي إِذَنْ لِمِهْيَافٍ ، أَيُّ عَطْشَانَ ، وَكَانُوا يَعْمَدُونَ إِلَى
 شِظَاطٍ فَيَجْعَلُونَهُ بَيْنَ أَسْنَانِهِ وَيُوجِرُونَهُ لِئَلَّا يَمُوتَ . ثُمَّ إِنَّهُ هَلَكَ عِنْدَهُمْ ، وَقَالَ عَوْفُ

بُنُ الْخَرَجِ التَّيْمِيُّ يُعَبِّرُ لَقِيْطًا بِذَلِكَ :

هَلَّا كَرَرْتَ عَلَى أُخَيْكَ مَعْبِدٍ وَالْعَامِرِيُّ يَقُوْدُهُ بِصَفَادٍ
وَذَكَرْتَ مِنْ لَبَنِ الْمُحَلَّقِ شَرْبَةً وَالْحَيْلُ تَعْدُو بِالْكُمَاةِ بَدَادٍ
هَلَّا فَوَارِسَ رَحْرَحَانَ هَجَوْتَهُمْ عُشْرًا تَسَاوَحُ فِي سَرَارَةٍ وَادٍ
لَا تَأْكُلُ الْإِبِلُ الْغِرَاثُ نَبَاتَهُ وَلَا تَقُومُ غُصُونُهُ بِعِمَادٍ

وكان عَصِيْمَةُ هَذَا شَاعِرًا ، ومن قَوْلِهِ :

سَأْتَنِي عَلَيْكُمْ صَادِقًا آلَ حَابِسٍ ثَنَاءً كَرِيحِ الْجَوْرِبِ الْمُتَخَرِّقِ
فَلَوْ شِئْتُمْ أَذْنَتُمُونِي وَصَاحِي جَمِيعِينَ لَمْ نَعْطَبَ وَلَمْ نَتَفَرَّقِ

بُنُو حَابِسٍ مِنْ غَنِيٍّ ، ثُمَّ مِنْ عَبِيدٍ ، وَقَدْ أَدْرَكَ الْإِسْلَامَ وَهَاجَرَ ، وَاسْتَشْهَدَ لَهُ
أَوْلَادٌ .

سَدُوسُ :

فِي مُضَرٍّ : سَدُوسُ بْنُ دَارِمِ بْنِ مَالِكِ بْنِ حَنْظَلَةَ [بن زيد مناة بن تميم] وَوَلَدَ
سَدُوسِ بْنِ دَارِمِ الْحَارِثِ بْنِ سَدُوسِ وَوَلَدَ الْحَارِثُ نَفَرًا ، وَأُمُّهُمْ بَسَّةُ بِنْتُ سُفْيَانَ
بْنَ مُجَاشِعِ بْنِ دَارِمِ بِهَا يَعْرِفُونَ يُقَالُ لَهُمْ : بَنُو بَسَّةَ .

وَيُقَالُ أَيْضًا لِبَنِي مُعْرِضِ بْنِ خَيْرِيٍّ بْنِ دَارِمِ : بَنُو بَسَّةَ لِأَنَّهُ خَلَفَ عَلَى بَسَّةَ هَذِهِ
بَعْدَ عَمِّهِ .

وَفِي رَيْعَةٍ : سَدُوسُ بْنُ شَيْبَانَ بْنِ ثَعْلَبَةَ بْنِ ذُهْلِ بْنِ عُكَّابَةَ بْنِ صَعْبِ بْنِ عَلِيٍّ
بْنَ بَكْرِ بْنِ وَاثِلٍ .

وَفِي سَدُوسٍ ، يَقُولُ عُبَيْدُ بْنُ قُرَادٍ الْبَهْرَائِيُّ :

وَلَوْلَا سَدُوسٌ وَقَدْ شَمَّرَتْ بِي الْحَرْبُ زَلَّتْ بِنْعَلِي الْقَدَمُ

وَكَانَ أَضَلُّ ذَلِكَ — فِيمَا قَالَهُ أَبُو الْمُنْذَرِ أَنَّ مَلِكًا مِنْ مَلُوكِ الْيَمَنِ كَانَ فِي يَدَيْهِ
 أَسْرَى مِنْ رِبِيعَةَ وَقُضَاعَةَ وَغَيْرِهِمْ ، فَوَفَدَ عَلَيْهِ وَفَدَّ مِنْ وَجْهِهِ مَعَدًّا وَغَيْرِهِمْ فِيهِمْ سَدُوسُ
 بَنُ شَيْبَانَ ، وَعَوْفُ بْنُ مُحَلَمٍ بْنُ ذُهْلٍ بْنُ شَيْبَانَ بْنِ ثَعْلَبَةَ ، وَعَوْفُ بْنُ عَمْرِو بْنِ
 جُشَمٍ بْنُ رِبِيعَةَ بْنِ زَيْدِ مَنَاءَ بْنِ عَامِرِ الضَّحْيَانِ النَّمَرِيِّ ، وَجُشَمُ بْنُ هِلَالٍ بْنُ رِبِيعَةَ
 ابْنِ زَيْدِ مَنَاءَ الضَّحْيَانِ ، فَلَقِيَهُمْ هَذَا الْبَهْرَانِيُّ ، فَسَأَلَهُمْ أَنْ يُدْخِلُوهُ عِدَّةً مَنْ يَسْأَلُونَ
 فِيهِ . فَكَلَّمُوهُ فِي الْأَسَارَى وَفِي جُمْلَتِهِمُ الْبَهْرَانِيُّ فَأُطْلِقَ لَهُمْ جَمِيعُهُمْ . فَقَالَ عُمَيْدُ
 بْنُ قُرَادٍ فِي ذَلِكَ :

نَفْسِي الْفِدَاءُ لِعَوْفِ الْفَعَالِ وَعَوْفٍ وَلابْنِ هِلَالٍ جُشَمِ
 تَدَارَكْنِي بَعْدَمَا قَدْ هَوَيْتُ مُتَمَسِكًا بِعِرَاقِي الْوَدَمِ
 وَلَوْلَا سَدُوسُ وَقَدْ شَمَّرَتْ بِي الْحَرْبُ زَلَّتْ بِنَعْلِي الْقَدَمِ
 وَنَادَيْتُ بَهْرَاءَ كَيْ يَسْمَعُوا وَلَيْسَ بِأَذَانِهِمْ مِنْ صَمَمِ
 فَاحْتَبَسَ عِنْدَهُ بَعْضَ الْوَفْدِ رَهِينَةً ، وَقَالَ لِلْبَقِيَّةِ : اثْنُونِي بِرُؤْسَاءِ قَوْمِكُمْ لِأُخِذَ
 عَلَيْهِمْ مَوَائِقَهُمْ بِالطَّاعَةِ لِي ، وَإِلَّا فَأَعْلَمُوا أَنِّي قَاتِلُ أَصْحَابِكُمْ . فَرَجَعُوا إِلَى قَوْمِهِمْ
 بِذَلِكَ ، فَبَعَثَ كُتَيْبٌ فِي رِبِيعَةَ فَجَمَعَهُمْ . وَبَعَثَ عَلَى مُقَدَّمَتِهِ السَّفَاحَ ، وَهُوَ سَلَمَةُ
 بْنُ خَالِدِ بْنِ كَعْبِ بْنِ زُهَيْرِ بْنِ تَيْمِ بْنِ أُسَامَةَ بْنِ مَالِكِ بْنِ بَكْرِ بْنِ حُبَيْبِ بْنِ عَمْرِو
 بْنِ غَنَمِ بْنِ ثَعْلَبَ . وَأَمَرَهُ أَنْ يُوقِدَ لَهُمْ عَلَى خَزَازٍ لِيَهْتَدُوا بِنَارِهِ فَإِنْ غَشِيَهُمُ الْعَدُوُّ أَنْ
 يَرْفَعَ نَارَيْنِ . وَبَلَغَ أَهْلَ الْيَمَنِ اجْتِمَاعُ رِبِيعَةَ فَأَقْبَلُوا بِجُمُوعِهِمْ ، فَلَمَّا سَمِعَ أَهْلُ تِهَامَةَ
 بِمَسِيرِ أَهْلِ الْيَمَنِ انْضَمُّوا إِلَى رِبِيعَةَ . وَهَجَمَتْ مَذْحِجٌ عَلَى خَزَازٍ لَيْلًا ، فَرَفَعَ
 السَّفَاحُ نَارَيْنِ .

وَمِنْهُمْ عِمْرَانُ بْنُ حِطَّانٍ الْقَائِلُ يَهْجُو الْحَجَّاجَ بْنَ يَوْسُفَ : وَيَنْسِبُهُ إِلَى أَنَّ أَبَاهُ كَانَ
 حَجَّامًا وَجَدَتْ ذَلِكَ بِخَطِّ عَلِيِّ بْنِ إِسْمَاعِيلَ الْمِنْطِقِيِّ اللَّغَوِيِّ .

يَا بْنَ الَّذِي ذَلَّتِ الرَّقَابُ لَهُ قَاتِلُهُ اللَّهُ أَيُّمَا رَجُلٍ

أَبُوكَ أَوْهَى النَّجَادُ عَاتِقَهُ كَمَ مِنْ كَمِيٍّ أَدْمَى وَمِنْ بَطْلٍ
يَأْخُذُ مِنْ مَالِهِ وَمِنْ دَمِهِ لَمْ يُنْسَ مِنْ نَائِرٍ عَلَى وَجَلٍ
فِي كَفِّهِ مُرْهَفٌ يُقَلِّبُهُ يَقْدُ أَعْنَاقَ سَادَةٍ بُطْلٍ
قال ابن حبيب : كُلُّ سُدُوسٍ فِي الْعَرَبِ فَهُوَ مَفْتُوحُ السَّيْنِ إِلَّا سُدُوسُ بْنُ أَصْمَعَ .

سُدُوسٌ :

فِي مَذْحِجٍ : سُدُوسُ بْنُ أَصْمَعَ بْنِ أَبِي بْنِ عَمِيْدٍ بْنِ رَبِيعَةَ بْنِ نَضْرٍ بْنِ سَعْدِ بْنِ
نُبَهَانَ بْنِ عَمْرِو بْنِ الْغَوْثِ بْنِ طِيٍّ ، وَأَخُوهُ خَالِدُ بْنُ أَصْمَعَ الَّذِي نَزَلَ بِهِ أَمْرُ الْقَيْسِ
بِـنِ حُجْرٍ الْكِنْدِيِّ ، وَفِيهِمْ يَقُولُ :

إِذَا مَا كُنْتُ مُفْتَخِرًا ففَاخِرُ بَيْتٍ مِثْلَ بَيْتِ بَنِي سُدُوسَا
بَبَيْتٍ تُبْصِرُ الرُّؤْسَاءُ فِيهِ قِيَامًا لَا تُنَازِعُ أَوْ جُلُوسَا

سَيْلٌ :

فِي الْأَزْدِ : سَيْلٌ ، بوزن فعل ، محرّكة العين ، وعينه ياء منقوطة من أسفل
نقطتين ، وابنه سعد بن سَيْلٍ ، حَمُوكْلَابُ بْنُ مَرَّةَ بْنِ كَعْبِ بْنِ لُؤَيٍّ بْنِ غَالِبِ بْنِ فِهْرٍ
بِـنِ مَالِكِ بْنِ النُّضْرِ بْنِ كِنَانَةَ .

وسَيْلٌ : اسم جبل عالٍ سُمِّيَ بِهِ وَالِدُ سَعْدِ لَطُولِهِ ، وَهُوَ خَيْرُ بَنِي حِمَالَةَ — وَيُقَالُ :
(حِمَالَةَ) (بِكسر الحاء) — بِنِ عَوْفِ بْنِ غَنَمٍ بْنِ عَامِرٍ . وَهُوَ الْجَادِرُ بْنُ عَمْرِو بْنِ جَعْثَمَةَ
— وَقَدْ قِيلَ : خَثْعَمَةُ وَحِثْمَةُ ، وَالْأَوَّلُ أَصَحُّ الثَّلَاثَةِ الْأَقْوَالِ — بِنِ يَشْكُرِ بْنِ مَبْشَرِ بْنِ
صَعْبِ بْنِ دُهْمَانَ بْنِ نَضْرٍ بْنِ الْأَزْدِ ، وَإِنَّمَا سُمِّيَ عَامِرٌ : الْجَادِرُ فَمَا أَخْبَرَنِي بِهِ رِجَالُ مَنْ
أَهْلُ الْعِلْمِ عَلَى اخْتِلَافِ رَوَايَاتِهِمْ ، لِأَنَّهُ تَزَوَّجَ بِنْتَ الْحَارِثِ بْنِ مُضَاضِ الْجُرْهُمِيِّ
وَكَانَتْ جُرْهُمُ إِذْ ذَاكَ وَلَاةَ الْبَيْتِ ، وَكَانَ الْحَاجُّ يَتَمَسَّكُونَ بِالْكَعْبَةِ وَيَأْخُذُونَ مِنْ طِينِهَا

وحجارتها تبرُّكاً بذلك . وأنَّ عامراً كان مُوكلاً بإصلاح ما تشعَّت من جذُرِها . فسُمِّيَ الجادِرَ وسُمِّيَ وَلَدُهُ : الجَدْرَةُ . وقد قيل : إنه بنى جداراً للكعبة فسُمِّيَ جادِراً لذلك . والأول أثبت .

وفي سعد بن سَيل يقول أبو دُوادٍ الإياديُّ :

ما أرى في النَّاس طُراً رَجُلاً حَضَرَ البَّاس كَسَعِدِ بنِ سَيلٍ
فَارِسٌ أَضْبَطُ فِيهِ عُسْرَةٌ وَإِذَا مَا واقَفَ القِرْنَ نَزَلَ
وَتَرَاهُ يَطْرُدُ الخَيْلَ كَمَا يَطْرُدُ الحُرُّ القَطَامِيَّ الحَجَلَ

وكان سعد أول من حلَّى السُّيُوفَ بِالْفِضَّةِ والذَّهَبِ ، وكان أَهْدَى إلى كلابٍ مع ابنته فاطمة سَيِّفَيْنِ مُحَلَّيَيْنِ فَجُعِلَا في خزانة الكعبة .

أخبرني الدهكيُّ في كتابه الذي سماه بكتاب قريش ، قال : كان كلابُ بن مُرَّة سَيِّداً في قريش . ويدعى ذَا الغُرَّة ، لنور كان يُشْرِقُ بين عينيه ، وخرج في بعض أسفاره ، فوقع لِحَيٍّ من اليمن ، فرآه منهم شيخٌ مُسِنَّةٌ قد عَشِيَ بَصَرُهُ ، وكان عنده علمٌ ، فقال : من أنت ؟ فانتسب له : فقال : نعم ، قد كان جدُّك مالكُ بن النضر لي أخاً وصاحباً . أخبرني عن الغُرَّة البيضاء التي كانت في جدِّك مالكٍ وآبائه من قبله ، أهي بك ؟ قال : نعم . قال : فإن كنته فتزَّوج أطهرَ النساء ، ذات الدَّلَّ والحياء ، بنت فارس الهيجاء ، الفتاة الناعمة الدهشة الحازمة ، التي تُدعى فاطمة . قال : ومن هي ؟ قال : ما رأيته ببصري ، ولكن بلغها علمي ، هي بنت سَعْدِ بنِ سَيلٍ ، ذي القواطع والأسلِّ ، فانصرف كلاب وقد صارت المرأة شُغْلُهُ ، فقال كلاب :

أَفَاطِمُ هَلْ مَا أَلْقَيْتُكَ مَرَّةً ؟ وَهَلْ يَجْمَعُ الدَّائِنِ صَيْفٌ وَمَرْبَعٌ ؟
سَأَبْغِيكَ فِي الْأَرْضِ العَرِيضَةِ جَاهِداً فَأَيَّاسُ أَوْ أُعْطِيَ الَّذِي فِيهِ أَطْمَعُ

ولم يزل كلاب يُرِنُّ سَعْدًا حَتَّى وَقَعَ عَلَيْهِ ، وَوَقَّعَ فِي الْخُطْبَةِ إِلَيْهِ ، فَزَوْجَةُ ابْنَتُهُ
فَاطِمَةُ ، فَتَقَلَّبَتْ إِلَى دَارِ قَوْمِهِ ، فَوَلَدَتْ لَهُ زُهْرَةَ ، وَهُوَ بِكْرُهُ وَبِكْرُهَا ، وَبِهِ كَانَ
يَكْتُمُنِي ، وَوَلَدَتْ لَهُ زَيْدًا . وَمَاتَ وَزَيْدٌ صَغِيرًا . فَوَرَدَ مَكَّةَ رَبِيعَةُ بْنُ حَرَامٍ بْنُ ضُبَّةَ
بْنِ عَبْدِ كَبِيرِ بْنِ عُذْرَةَ ، فَاحْتَمَلَهَا إِلَى بِلَادِهِ ، فَخَلَّفَتْ زُهْرَةَ فِي قَوْمِهِ ، وَأَخَذَتْ زَيْدًا
لِصَغَرِ سِنِّهِ ، فَسَمَّى زَيْدٌ قُصَيًّا لِقَصَائِهِ عَنْ قَوْمِهِ وَوَلَدَتْ لِرَبِيعَةَ بْنِ حَرَامٍ : رِزَاحَ بْنَ
رَبِيعَةَ ، وَحُنَّ بْنَ رَبِيعَةَ .

وَنَحْنُ نَذْكُرُ هَذِهِ الْأَخْبَارَ مُسْتَقْصَاةً فِي مَوَاضِعِهَا ، لِيَكُونَ ذَلِكَ أَبْعَدَ بَقَارِيءَ هَذَا
التَّعْلِيْقِ مِنْ مَلَلٍ بَعْضِ أَبْوَابِهِ وَبِاللَّهِ التَّوْفِيقُ .

سَبَلُ :

وَفِي بَكْرِ بْنِ وَاثِلٍ : سَبَلُ بْنُ يَثْرِبِ بْنِ أَمْرِئِ الْقَيْسِ بْنِ رَبِيعَةَ بْنِ مَالِكِ بْنِ ثَعْلَبَةَ بْنِ
شَيْبَانَ بْنِ ثَعْلَبَةَ بْنِ عُكَّابَةَ بْنِ صَعْبِ بْنِ عَلِيٍّ بْنِ بَكْرِ بْنِ وَاثِلٍ ، وَهُوَ جَدُّ الْمُصْقَلَةِ بْنِ
هُبَيْرَةَ بْنِ سَبَلِ بْنِ يَثْرِبِ بْنِ .

سَامَةُ :

فِي قُرَيْشٍ : سَامَةُ بْنُ لُؤْيٍ بْنِ غَالِبِ بْنِ فِهْرِ بْنِ مَالِكِ ابْنِ النَّضْرِ بْنِ كِنَانَةَ بْنِ خُزَيْمَةَ
بْنِ مُدْرِكَةَ بْنِ إِلْيَاسَ بْنِ مُضَرَ . وَقَدْ اخْتَلَفَ فِي أَمْرِهِ وَقِيلَ : إِنَّهُ وَكَعْبًا أَخَاهُ كَانَا يَشْرَبَانِ
فَجَرَى بَيْنَهُمَا لِحَاءٌ فَفَقَّا سَامَةُ عَيْنَ كَعْبٍ وَخَرَجَ هَارِبًا فَاتَى عُمَانَ .

وَقَالَ الْكَلْبِيُّ : فِي كِتَابِ «نَوَاقِلِ بَنِي نَزَارٍ» : وَقَعَتْ حَرْبٌ بَيْنَ بَنِي كِنَانَةَ فَافْتَرَقُوا
فِرْقَتَيْنِ ، بَنُو النَّضْرِ بْنِ كِنَانَةَ ، وَعَلَيْهِمْ عَامِرُ بْنُ لُؤْيٍ ، وَبَنُو عَبْدِ مَنَافَةَ بْنِ كِنَانَةَ وَعَلَيْهِمْ
يَعْمَرُ بْنُ عَوْفِ بْنِ كَعْبِ بْنِ عَامِرِ بْنِ لَيْثِ بْنِ بَكْرِ بْنِ عَبْدِ مَنَافَةَ ، وَيَعْمَرُ هَذَا هُوَ الشُّدَاخُ
وَقَدْ قِيلَ : الشُّدَاخُ : بَفَتْحِ الشَّيْنِ ، وَالْأَوَّلُ أَثْبَتُ عِنْدَ الْكَلْبِيِّ وَإِنَّا سَمَّيَ الشُّدَاخُ
لِشِدْخِهِ الدَّمَاءَ بِتَحْمِلِهِ لَهَا . قَالَ : ثُمَّ أَصْطَلَحُوا فَوَضَعَ عَامِرُ ابْنَهُ سَعْدًا عِنْدَ يَعْمَرَ ،

وَسَعَدُ هُمَ الَّذِينَ يُقَالُ لَهُمْ : بُنَانَةٌ بِحَاضِنَةٍ لَهُمْ ، فَوَضَعَ يَغْمِرُ ابْنًا لَهُ عِنْدَ سَامَةَ بَنِي لُؤَيٍّ .
فَشَرِبَ سَامَةُ فَسَكِرَ ، فَمَرَّ بِالْغُلَامِ جَفَرٍ لِسَامَةَ ، فَرَمَاهُ الْغُلَامُ فَوْقَهُ فَضْرَبَهُ سَامَةُ بِالسَّيْفِ
فَقَتَلَهُ ، وَخَرَجَ هَارِبًا مِنْ عَامِرٍ أَخِيهِ ، وَقُتِلَ ابْنُ عَامِرٍ بِهِ فَأَقْتَلَتْ فِي ذَلِكَ الْفِتْنَانِ ،
وَكَتَبَ سَامَةُ بْنُ لُؤَيٍّ إِلَى قَوْمِهِ .

رُبَّ كَأْسٍ شَرِبْتُهَا ثُمَّ أُخْرَى لَمْ تَكُنْ مُرَّةً وَلَا مُهْرَاقَةً
وَحَرُوسِ السُّرَى تَرَكْتُ رَذِيًّا بَعْدَ جِدٍّ وَجِدَّةٍ وَرَشَاقَةٍ
وَفَتَاةٍ سَبَيْتُ يَا بَنَ لُؤَيٍّ ذَاتِ دَلٍّ كَرِيمَةٍ بَرَّاقَةٍ
أَبْلَغَا عَامِرًا وَكَعْبًا رَسُولًا إِنَّ نَفْسِي إِلَيْهِمَا مُشْتَاقَةٌ
إِنْ تَكُنْ فِي عُمَانَ دَارِي فَإِنِّي غَالِبِي خَرَجْتُ مِنْ غَيْرِ فَاقَةٍ

وَرَوَى لَنَا عَنْ ابْنِ هِشَامٍ النَّحْوِيُّ أَنَّهُ قَالَ : جَاءَ رَجُلٌ مِنْ وَلَدِ سَامَةَ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ
صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَانْتَسَبَ إِلَى سَامَةَ بَنِي لُؤَيٍّ ، فَقَالَ : « الشَّاعِرُ » ؟ فَقَالَ لَهُ بَعْضُ
أَصْحَابِهِ : يَا رَسُولَ اللَّهِ ، كَأَنَّكَ أَرَدْتَ قَوْلَهُ :

رُبَّ كَأْسٍ هَرَقْتُ يَا بَنَ لُؤَيٍّ حَذَرَ الْمَوْتِ لَمْ تَكُنْ مُهْرَاقَةً
فَقَالَ : « أَجَلٌ » :

وَقَالَ بَعْضُهُمْ : إِنَّ سَامَةَ شَرِبَ مَعَ أَخِيهِ كَعْبٍ ، فَرَأَى كَعْبًا وَقَدْ قَبِلَ امْرَأَتَهُ ، فَأَنِفَ
مِنْ ذَلِكَ ، فَهَرَبَ إِلَى عُمَانَ ، فَقَالَ فِي ذَلِكَ الْمُسَيَّبُ بْنُ عَلْسٍ الضُّبَيْعِيُّ :

وَقَدْ كَانَ سَامَةُ فِي قَوْمِهِ لَهُ مَطْعَمٌ وَلَهُ مَشْرَبٌ
فَسَامُوهُ خَسْفًا فَلَمْ يَرُضْهُ وَفِي الْأَرْضِ مِنْ خَسْفِهِمْ مَهْرَبٌ

وَاخْتَلَفَ فِي إِعْقَابِ سَامَةَ ، فَكَانَ هِشَامٌ وَغَيْرُهُ يَرَوِي عَنْ عَلِيٍّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ
صَلَوَاتُ اللَّهِ عَلَيْهِ : أَنَّ سَامَةَ لَا عَقَبَ لَهُ وَلِذَلِكَ خَبَرُ سَنَدُكُرْهُ فِي مَوْضِعِهِ ، مِنْ هَذَا
الْبَابِ إِنْ شَاءَ اللَّهُ وَقَالَ آخَرُونَ : إِنَّهُ وَلَدَ لِسَامَةَ ابْنٌ يُقَالُ لَهُ : الْحَارِثُ وَأُمُّهُ هِنْدُ بِنْتُ

تيم الأذرم بن غالب . فماتت هند ، فحمل الحارث معه إلى عُمَانَ .
وتزوج سامة ناجية بنت جرم بن ربان — وهو علاف بن حلوان بن عمران بن
الحاف بن قضاة — بعُمان ، أو سيف من أسياف البحر ، فولدت له غالب بن
سامة . فهلك وهو ابن اثنتي عشرة سنة ، وخلف الحارث بن سامة على ناجية نكاح
مقت فَعَقِبُ سامة منه .

وقوم يقولون كان لناجية ولد من غير سامة ، وكان سامة متبنيًا له ، فنسب إليه ،
فالعقب لذلك الولد .

وأجمعوا جميعاً أن سامة بينا هو يسير على ناقته ، إذ وضعت رأسها ترتع ، فأخذت
حيةً بمشفرها في حشيشة فنفضتها فوقعت على ساق سامة ، فنهشته في ساقه فقتلته ،
فقال الشاعر : وقيل : إن سامة قال ذلك لما أحس بالموت .

عين بكِّي لسامة بن لوي ^١ حملت حنفة إليه الناقة
عين بكِّي لسامة بن لوي ^٢ علق ما بسامة العلالة
رمت دفع الحتوف يابن لوي ^٣ ما لمن ذاك بالحتف طاقة

قد تخط هذه الأبيات بالآيات التي تقدمتها ، وقيل : إن قوماً من ولد سامة جاؤا
إلى علي عليه السلام فانتسبوا إلى سامة فقال لهم : إن سامة لم يدع إلا بنتاً يقال لها :
عاجة ، فإن كنتم من ولدها فانا خالكُم .

قال الهيثم : وبلغنا أن رجلاً من ولد سامة دخل على علي بن أبي طالب عليه
السلام فقال : ممن الرجل ؟ فقال : من قریش . قال : إن قریشاً قد فسا وضرط ،
فمن أيهم أنت ؟ قال : من بني سامة بن لوي ^٤ . فقال علي عليه السلام : إن سامة
كان لا يولد له ، وكانت عنده أمة سوداء ، فوثب عليها عبد له أسود ، فإن كنت ممن
يتسمى إلى سامة ، فأنت من ولد العبد . فأغضب ذلك الرجل وخرج فأخبر قومه ،
فغاظهم ، وكان في جملتهم الخريت بن راشد السامي ، ففاظ ذلك الخريت حتى
حمله على مخالفة علي عليه السلام ، وكان من مخالفته إياه ما حدثنا به عن أبي

مِخْنَفٍ ، قَالَ : كَانَ الْخَرِيتُ بْنُ رَاشِدٍ السَّامِيُّ مَعَ عَلِيٍّ عَلَيْهِ السَّلَامُ ، فِي ثَلَاثِ مِثَّةٍ مِنْ بَنِي نَاجِيَةٍ فَشَهِدَ مَعَهُ الْجَمَلَ بِالْبَصْرَةِ ، وَشَخَّصَ مَعَهُ إِلَى صِفِّينَ ، فَشَهِدَ مَعَهُ الْحَرْبَ ، فَلَمَّا حُكِمَ الْحَكَمَانِ ، مَثَلَ بَيْنَ يَدَيْ عَلِيٍّ رِضْوَانُ اللَّهِ عَلَيْهِ بِالْكُوفَةِ ، فَقَالَ لَهُ : وَاللَّهِ لَا أَطَعْتُ أَمْرَكَ ، وَلَا صَلَّيْتُ خَلْفَكَ . فَقَالَ لَهُ عَلِيٌّ عَلَيْهِ السَّلَامُ : تَكَلَّمْتَ أَمْرَكَ ، إِذَنْ تَعْصِي رَبَّكَ وَتَنْكُثُ عَهْدَكَ ، وَلَا تَضُرُّ إِلَّا نَفْسَكَ ، وَلَمْ تَفْعَلْ ذَلِكَ ؟ قَالَ : لِأَنَّكَ حَكَمْتَ فِي الْكِتَابِ ، وَضَعْتَ عَنِ الْحَقِّ حِينَ جَدَّ الْجَدُّ ، وَرَكَنْتَ إِلَى الْقَوْمِ الَّذِينَ ظَلَمُوا فَأَنَا عَلَيْكَ زَارٍ ، وَعَلَيْهِمْ نَاقِمٌ . فَدَعَاهُ عَلِيٌّ عَلَيْهِ السَّلَامُ إِلَى أَنْ يَنَظِرَهُ وَيُفَاتِحَهُ فَقَالَ : أَعُوذُ إِلَيْكَ . ثُمَّ أَتَى قَوْمَهُ فَأَفْسَدَهُمْ وَسَارَ مِنْ تَحْتِ لَيْلِيهِ مِنَ الْكُوفَةِ . وَلَقِيَهُمْ رَجُلٌ « مُسْلِمٌ » يَقَالُ لَهُ : زَادَانَ فُرُوحَ ، مِنْ أَهْلِ قَرْيَةٍ يُقَالُ لَهَا نَفَرٌ : فَسَأَلُوهُ عَنْ دِينِهِ ، فَقَالَ : مُسْلِمٌ ، ثُمَّ سَأَلُوهُ عَنْ عَلِيٍّ ، فَقَالَ : إِمَامٌ هُدَى . فَقَطَعُوهُ بِأَسْيَافِهِمْ . وَلَقُوا يَهُودِيًّا ، فَقَالَ : أَنَا يَهُودِيٌّ ، فَخَلُّوا سَبِيلَهُ ، وَقَالُوا : احْفَظُوا ذِمَّةَ نَبِيِّكُمْ . وَهَذَا مِنْ أَعْجَبِ مَا يَكُونُ . فَاتَّبَعَهُمْ زِيَادُ بْنُ خَصْفَةَ ، مِنْ بَنِي تَيْمِ اللَّهِ بْنِ ثَعْلَبَةَ بْنِ عُكَّابَةَ ، مِنْ قَبْلِ عَلِيٍّ عَلَيْهِ السَّلَامُ ، فِي كَفِّ مِنَ الْجُنْدِ ، فَلَحِقَهُمْ بِالْمَذَارِ ، وَقَدْ أَرَاوْهُ هُنَاكَ ، فَدَعَا زِيَادُ الْخَرِيتَ لِأَنْ يَنْتَبِذَا فَيَتَنَظَّرَا ، فَتَنَحَّيَا حَجْرَةً مَعَ كُلِّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا خَمْسَةٌ مِنْ أَصْحَابِهِ ، فَنَظَرُوهُ فَلَمْ يَنْجَحْ فِيهِ الْقَوْلُ ، فَاقْتَتَلَ الْجَيْشَانِ قِتَالًا شَدِيدًا ، وَحَالَ بَيْنَهُمُ اللَّيْلُ ، فَتَحَاجَزُوا وَصَارُوا إِلَى الْأَهْوَازِ ، وَاسْتَضَمُّوا أَوْبَاشًا مِنْ أَعْلَاجٍ وَأَكْرَادٍ ، وَلَفِيفٍ الْقَبَائِلِ ، وَكَتَبَ زِيَادُ إِلَى عَلِيٍّ عَلَيْهِ السَّلَامُ بِذَلِكَ فَكَتَبَ إِلَيْهِ بِأَمْرِهِ بِالْقُدُومِ . وَقَامَ مَعْقِلُ بْنُ قَيْسٍ الرِّيَّاحِيُّ ، فَقَالَ : أَصْلَحَ اللَّهُ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ، إِنَّ لِقَاءَنَا هَؤُلَاءِ الْقَوْمِ بِأَعْدَادِهِمْ إِبْقَاءٌ عَلَيْهِمْ ، وَالْوَجْهُ أَنْ تَبْعَثَ إِلَى كُلِّ رَجُلٍ عَشْرَةَ مِنَ الْمُسْلِمِينَ لِيَجْتَاكُوهُمْ . فَأَمَرَهُ بِالشُّخُوصِ ، وَنَدَبَ مَعَهُ مِنْ أَهْلِ الْكُوفَةِ أَلْفَيْنِ ، فِيهِمْ : يَزِيدُ بْنُ الْمُغْفَلِ الْأَزْدِيُّ . وَكَتَبَ إِلَى ابْنِ عَبَّاسٍ أَنْ يُشَخَّصَ جَيْشًا إِلَى الْأَهْوَازِ ، لِيُؤَافُوا مَعْقِلًا بِهَا وَيَنْضَمُّوا إِلَيْهِ ، فَوَجَّهَ إِلَيْهِ خَالِدُ بْنُ مَعْدَانَ الطَّائِي فِي أَلْفِي رَجُلٍ مِنْ أَهْلِ الْبَصْرَةِ ، فَلَحِقُوا بِهِ ، فَلَمَّا وَافُوا مَعْقِلًا نَهَضَ لِمُحَارَبَةِ الْخَرِيتِ ،

فَاقْتُلُوا قِتَالًا شَدِيدًا ، وَقُتِلَ النَّاجِيُّونَ ، وَوَلَّوْا مُنْهَرِمِينَ ، حَتَّى لَحِقُوا بِأَسْيَافِ الْبَحْرِ .
وَبِهَا جَمَاعَةٌ مِنْ قَوْمِهِمْ بَنِي سَامَةَ بْنِ لُؤَيٍّ ، وَمِنْ عَبْدِ الْقَيْسِ ، فَافْسَدَهُمُ الْخَرِيتُ
عَلَى عَلِيٍّ عَلَيْهِ السَّلَامُ ، وَاسْتَضَمَّهُمْ إِلَيْهِ ، وَكَتَبَ عَلِيٌّ عَلَيْهِ السَّلَامُ إِلَى أَهْلِ الْأَسْيَافِ
يَدْعُوهُمْ إِلَى الطَّاعَةِ ، وَأَمَرَ مَعْقِلَ بْنَ قَيْسٍ أَنْ يَنْصِبَ لَهُمْ رَايَةً أَمَانٍ ، فَنَصَبَهَا فَانْفَضَّ
عَنِ الْخَرِيتِ عَامَّةُ أَصْحَابِهِ ، وَكَانَ الْخَرِيتُ يُوهِمُ الْخَوَارِجَ أَنَّهُ عَلَى رَأْيِهِمْ وَيَوْمِهِمُ
الْعُثْمَانِيَّةُ أَنَّهُ يُطْلَبُ بِدَمِ عُثْمَانَ . ثُمَّ إِنَّ مَعْقِلًا عَبَّ أَصْحَابَهُ ، وَأَنْشَبَ الْحَرْبَ . فَصَبَرَ
أَصْحَابُ الْخَرِيتِ سَاعَةً وَحَمَلَ الثُّعْمَانُ بْنُ صُهَبَانَ الرَّاسِبِيُّ — وَقِيلَ : الْجَزْمِيُّ —
عَلَيْهِ فَعَارَكَهُ سَاعَةً ثُمَّ قَتَلَهُ ، وَانْفَضَّ جَمْعُهُ . وَكَتَبَ مَعْقِلٌ إِلَى عَلِيٍّ عَلَيْهِ السَّلَامُ كِتَابًا :
إِنَّا نَصَبْنَا لَهُ رَايَةَ أَمَانٍ ، فَعَادَتْ مِنْهُمْ طَائِفَةٌ ، وَبَقِيَتْ أُخْرَى ، فَقَاتَلْنَاهُمْ فَضَرَبَ اللَّهُ
وُجُوهُهُمْ وَنَصَرْنَا عَلَيْهِمْ ، فَأَمَّا مَنْ كَانَ مُسْلِمًا فَمَنَّا عَلَيْهِ وَأَخَذْنَا بَيْعَتَهُ ، وَقَبَضْنَا صَدَقَةَ
مَالِهِ ، وَأَمَّا مَنْ ارْتَدَّ فَإِنَّا عَرَضْنَا عَلَيْهِمُ الْإِسْلَامَ إِلَّا رَجُلًا وَاحِدًا قَتَلْنَاهُ ، وَأَمَّا النَّصَارَى
فَإِنَّا سَيِّئْنَا بِهِمْ وَأَقْبَلْنَا بِهِ ، لِيَكُونُوا نَكَالًا لِمَنْ بَعْدَهُمْ مِنْ أَهْلِ الذِّمَّةِ .

وكان مصقلة بن هبيرة الشيباني عاملاً على [أرد شير خرة] من فارس . فمر بهم
عليه وهم خمس مئة إنسان ، فصاحوا : يَا أَبَا الْفَضْلِ ، يَا فَكَالَ الْعَنَاقِ ، وَحَمَالَ
الْأَثْقَالِ ، وَغِيَاثَ الْمُعَصِّينَ ، أَمْنٌ عَلَيْنَا وَافْتِدَانًا فَأَعْتَقْنَا . فوجه مصقلة إلى معقل ،
فأشترأهم منه .

ويقال [.....] واستنظره بالمال . فسلم إليه القوم وورد على علي عليه السلام
فصوبه فيما صنع ، وامتنع مصقلة من البعثة بشيء من المال وكسره (٢) ، وخلق سبيل
الأسرى ، ثم طوَلَبَ بِالْمَالِ طَلَبًا حَثِيثًا ، فَاحْتَالَ حَتَّى مَضَى إِلَى مُعَاوِيَةَ . فَقَالَ عَلِيٌّ
عَلَيْهِ السَّلَامُ : يَرْحَمُهُ اللَّهُ ، فَعَلَّ فِعْلَ السَّيِّدِ وَفَرَّ فِرَارَ الْعَبْدِ ١١ . وقالوا لعلي عليه
السَّلَامُ حين هرب مصقلة : ارْدُدْ سَبَايَا بَنِي نَاجِيَةٍ إِلَى الرَّقِّ فَإِنَّكَ لَمْ تَسْتَوْفِ أَثْمَانَهُمْ .

فَقَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ : لَيْسَ ذَلِكَ فِي الْقَضَاءِ ، قَدْ عَتَقُوا بِمَا أَعْتَقَهُمْ مُبْتَاعَهُمْ ،
وَصَارَتْ أَمَانُهُمْ دِينًا عَلَيْهِ .

وَقَالَ مَصْقَلَةُ لَمَّا هَرَبَ :

لَعَمْرِي لَيْتَ عَابَ أَهْلُ الْعِرَا قِي عَلِيٍّ أَنْتَعَاشِي بَنِي نَاجِيَةٍ
لَقَدْ زِدْتُ فِيهِمْ لِإِطْلَاقِهِمْ وَغَالَيْتُ إِنَّ الْعُلَا غَالِيَةٍ

قَالُوا : وَكَبَّ وَجْهُ بَكْرِ بْنِ وَائِلٍ إِلَى مَصْقَلَةِ يَذْمُونَ رَأْيَهُ فِي لِحَاقِهِ بِمُعَاوِيَةَ وَتَرْكِهِ
عَلِيًّا عَلَيْهِ السَّلَامُ ، فَأَقْرَأَ مُعَاوِيَةَ الْكِتَابَ فَقَالَ لَهُ : إِنَّكَ عِنْدِي لَغَيْرُ ظَنِينٍ ، فَلَا عَلَيْكَ
أَنْ لَا يَفُوتَنِي مِثْلُ هَذَا .

وَحَدَّثَ عَلِيُّ بْنُ إِبْرَاهِيمَ التَّمِيمِيُّ ، عَنْ ابْنِ أَبِي شَيْخٍ الْقَنُويِّ ، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ
الْمُعْتَزِ ، عَنْ أَحْمَدَ بْنِ يَحْيَى بْنِ جَابِرٍ ، قَالَ : حَدَّثَنِي عَبْدُ اللَّهِ بْنُ صَالِحٍ الْعَجَلِيُّ ،
قَالَ : حَدَّثَنَا سُفْيَانُ بْنُ عُيَيْنَةَ ، عَنْ عَمَّارِ الدُّهْنِيِّ ، قَالَ : قَدِمْتُ مَكَّةَ ، فَلَقِيتُ أَبَا
الطُّفَيْلِ عَامِرَ بْنَ وَائِلَةَ الْكِنَانِيَّ ، فَقُلْتُ : إِنَّ قَوْمًا يَزْعُمُونَ أَنَّ عَلِيًّا عَلَيْهِ السَّلَامُ سَبَى بَنِي
نَاجِيَةٍ وَهُمْ مُسْلِمُونَ . فَقَالَ : إِنَّ مَعْقِلَ بْنَ قَيْسٍ الرِّيَّاحِيَّ لَمَّا فَرَغَ مِنْ حَرْبِ الْخُرَيْبِ
الْحُرُورِيِّ سَارَ عَلَى أَسْيَافِ فَارِسَ ، فَأَتَى عَلَى قَوْمٍ مِنْ بَنِي نَاجِيَةٍ فَقَالَ : مَا أَنْتُمْ ؟
فَقَالُوا : قَوْمٌ مُسْلِمُونَ فَتَخَطَّاهُمْ ، ثُمَّ أَتَى قَوْمًا آخَرِينَ مِنْ بَنِي نَاجِيَةٍ فَقَالَ : مَا أَنْتُمْ ؟
قَالُوا : نَصَارَى ، وَكُنَّا أَسْلَمْنَا ثُمَّ رَجَعْنَا إِلَى النَّصْرَانِيَّةِ ، لَعَلَّمَنَا بِفَضْلِهَا عَلَى غَيْرِهَا مِنْ
الْأَدْيَانِ ، فَوَضَعَ فِيهِمُ السَّيْفَ فَقَتَلَ وَسَبَى ، وَهُمْ الَّذِينَ بَاعَهُمْ مِنْ مَصْقَلَةَ بْنِ هُبَيْرَةَ
الشَّيْبَانِيَّ .

وَمِنْ بَنِي سَامَةَ : كَابِسُ بْنُ رِبِيعَةَ بْنِ مَالِكِ بْنِ عَدِيِّ بْنِ الْأَسْوَدِ بْنِ جُشَمِ بْنِ رِبِيعَةَ
بْنِ الْحَارِثِ بْنِ سَامَةَ ، كَانَ يُشَبَّهُ بِرَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وَكَانَ بِالْبَصْرَةِ فَلَبَّغَ
خَبْرَهُ مُعَاوِيَةَ ، فَكَتَبَ إِلَى عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَامِرٍ ، عَامِلِهِ عَلَى الْبَصْرَةِ ، أَنْ يُؤَفِّدَهُ عَلَيْهِ مُكْرِمًا

فَأَوْفَدَهُ . فَلَمَّا دَخَلَ عَلَيْهِ نَزَلَ عَنْ سَرِيرِهِ ، وَقَامَ فَتَلَقَّاهُ وَقَبَلَ بَيْنَ عَيْنَيْهِ ، وَأَقْطَعَهُ الْمُرْغَابَ بِالْبَصْرَةِ .

وَكَانَ بَنُو الْجَهْمِ بْنِ بَذْرِ يَدْعُونَ أَنَّهُمْ مِنْ وَلَدِ سَامَةَ بْنِ لُؤْيٍ ، وَمَا أَذْرِي مَا صِحَّةُ ذَلِكَ . وَكَانَ أَحْمَدُ بْنُ أَبِي طَاهِرٍ يَرَى أَنَّهُمْ أَدْعِيَاءُ ، وَأَنَّهُمْ إِنَّمَا هُمْ مَوَالٍ لِقَوْمٍ مِنْ آلِ سَامَةَ . وَمَا يُوثِقُ عِنْدِي بِابْنِ أَبِي طَاهِرٍ ، لِأَنِّي رَأَيْتُهُ مُلْهِمًا بِنَزْرِ الْأَشْرَافِ وَبِتَجْرِيعِ الصَّحَاحِ ، وَرَأَيْتُهُ يَنْفِي جَمَاعَةً عَنْ أَنْسَابٍ هِيَ ثَابِتَةٌ لَهُمْ فِي كُتُبِ الْعُلَمَاءِ مِثْلَ آلِ (.....) وَآلِ قَحْطَبَةَ وَآلِ مُوسَى بْنِ كَعْبٍ ، وَغَيْرِهِمْ —

عُدُسُ :

فِي تَمِيمٍ : عُدُسُ بْنُ زَيْدِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ دَارِمِ بْنِ مَالِكِ بْنِ حَنْظَلَةَ بْنِ زَيْدِ مَنَاةَ بْنِ تَمِيمٍ هَذَا قَوْلُ ابْنِ الْكَلْبِيِّ ، وَأَبُو عُبَيْدَةَ يُخَالِفُهُ ، فَيَقُولُ : (هُوَ) عُدُسُ ، وَكَذَلِكَ ابْنُ الْأَعْرَابِيِّ أَيْضًا يَقُولُهُ يَفْتَحُ الدَّلَالَ ، وَقَوْلُ ابْنِ الْكَلْبِيِّ أَثْبَتُ .

وَأَصْلُ الْعَدُسِ فِي اللُّغَةِ الْقُوَّةُ عَلَى السَّرَى ، قَالَ الشَّاعِرُ يَصِفُ رَاعِيَةً :

عَدُوسُ السَّرَى لَا يَأْلَفُ الْكَرَمَ جِيْدَهَا .

فَأَمَّا قَوْلُهُمْ لِلْبَغْلَةِ عِنْدَ إِرَادَةِ حَبْسِهَا (عَدَسُ) فَإِنَّ الْخَلِيلَ ذَكَرَ أَنَّ (عَدَسُ) اسْمُ رَجُلٍ كَانَ عَنِيفًا بِالْبَغَالِ فِي أَيَّامِ سُلَيْمَانَ بْنِ دَاوُدَ عَلَيْهِ السَّلَامُ ، فَإِذَا ذُكِرَ لِلْبَغَالِ اسْمُهُ انْزَعَجَتْ ، وَأَنَّهَا اسْتَمَرَّتْ طَبَائِعُهَا عَلَى ذَلِكَ ، وَمَا أَذْرِي كَيْفَ هَذَا ؟

فَمِنْ عُدُسٍ هَؤُلَاءِ : آلُ زُرَّارَةَ ، وَهُمْ رُؤَسَاءُ بَنِي تَمِيمٍ ، وَزُرَّارَةُ هُوَ صَاحِبُ يَوْمِ أَوَارَةَ مَعَ عَمْرِو بْنِ هِنْدٍ مُضَرَّطِ الْحِجَارَةِ ، وَكَانَ مِنْ حَدِيثِ ذَلِكَ أَنَّ الْمُنْذِرَ بْنَ مَاءِ السَّمَاءِ — وَمَاءِ السَّمَاءِ أُمُّهُ امْرَأَةٌ مِنَ النَّبَرِ — وَهُوَ الْمُنْذِرُ بْنُ أَمْرِئِ الْقَيْسِ — وَقَدْ اسْتَفْصَيْنَا الْكَلَامَ عَلَى أَنْسَابِهِمْ وَأَخْبَارِهِمْ فِي كِتَابِ «أَدَبِ الْخَوَاصِّ» فَغَنَيْنَا عَنْهُ

في هذا الموضع — كان قد وضع ابناً له يُقال له : مالك ، ويقال : أسعد — عند زُرارة بن عدس ، وكان صغيراً فلما كبر خرج يوماً يتصيد ، فمرَّ بإبل لسويد بن ربيعة بن زيد بن عبد الله بن دارم ، وكانت عند سويد بنت زُرارة فتعرض الغلام لإبل سويد ونحر بكراً منها ، فاستيقظ سويد ، وكان نائماً ، فشدخ رأسه بعصاً فقتله وهرب إلى مكة ، فحالف بيني نوفل بن عبد مناف بن قصي ، فلما بلغ ذلك عمرو بن المنذر ، وهو عمرو بن هند فاضت عيناه حزناً على أخيه ، وهرب زُرارة ، فطلبه عمرو فلم يجده ، فوجد امرأة له حبلى ، فقال لها : ما فعل زُرارة الغادر الفاجر المُنْتِن !!

فَقَالَتْ : إِنْ كَانَ وَاللَّهِ مَا عَلِمْتُهُ لَطِيبَ الْعَرَقِ ، سَمِينِ الْمَرْقِ ، لَا يَنَامُ لَيْلَةً يَخَافُ ، وَلَا يَشْبَعُ لَيْلَةً يُضَافُ ، فَبَقَرَ بَطْنَهَا . فَقَالَ زُرَارَةُ : إِنِّي لَمْ أَقْتُلْ أَخَاهُ ، وَالصَّدْقُ أَنْجَى فَجَاءَ إِلَيْهِ فَصَدَّقَهُ فَأَمَرَهُ أَنْ يَجِيءَ بِسُودٍ . فَقَالَ : قَدْ لَحِقَ بِمَكَّةَ . قَالَ : فَوَلَدَهُ فَجَاءَ بَوْلَدِهِ وَأَهْلِهِ فَأَمَرَ بِأَحَدِهِمْ أَنْ يُقْتَلَ ، فَجَعَلَ يَتَعَلَّقُ بِجَدِّهِ زُرَارَةَ ، فَقَالَ زُرَارَةُ : يَا بَعْضِي سَرَّحَ بَعْضًا ، فَذَهَبَتْ مَثَلًا ، وَقَتِلُوا أَجْمَعُونَ ، وَآلَى عَمْرُو بْنُ هِنْدٍ لِيَحْرَقَنَّ مِنْ بَنِي دَارِمٍ مِثَّةَ رَجُلٍ فَخَرَجَ يُرِيدُهُمْ ، وَبَعَثَ عَلَيَّ مُقَدِّمَهُ ، عَمْرُو بْنُ ثَعْلَبَةَ بْنِ مِلْقَطِ الطَّائِيِّ فَوَجَدَ الْقَوْمَ قَدْ نَذَرُوا بِهِ ، فَأَخَذَ مِنْهُمْ ثَانِيَةً وَتَسْعِينَ رَجُلًا بِأَسْفَلِ أُوَارَةٍ مِنْ نَاحِيَةِ الْبَحْرَيْنِ ، وَلَحَقَهُ عَمْرُو بْنُ هِنْدٍ فَضْرِبَتْ لَهُ قُبَّةٌ وَأَمَرَ بِأَخْذِهِمْ فَخُذَ لَهُمْ ، وَأُضْرِمَتِ النَّارُ حَتَّى إِذَا تَلْظَّتْ قَذَفَ بِالثَّانِيَةِ وَالتَّسْعِينَ فِيهَا فَاحْتَرَقُوا . وَأَقْبَلَ رَاكِبٌ مِنَ الْبَرَاكِمِ مِنْ بَنِي كُلْفَةَ بْنِ حَنْظَلَةَ ، وَقَدْ رَأَى الدُّخَانَ فَأَنَاحَ بِعَيْرِهِ . وَأَقْبَلَ فَاسْتَطْعَمَ ، فَقَالَ عَمْرُو : مِمَّنْ أَنْتَ ؟ قَالَ : مِنَ الْبَرَاكِمِ : قَالَ عَمْرُو : إِنَّ الشَّقِيَّ رَاكِبُ الْبَرَاكِمِ فَذَهَبَتْ مَثَلًا ، وَرُمِيَ فِي النَّارِ فَاحْتَرَقَ ، ثُمَّ عَيَّرَتِ الْعَرَبُ بَنِي تَمِيمٍ بِذَلِكَ فَقِيلَ فِيهِمْ :

أَلَا أَبْلِغُ لَدَيْكَ بَنِي تَمِيمٍ بِآيَةِ مَا يُحِبُّونَ الطَّعَامَا

تاج العروس

من جواهر القاموس

— ٢١ —

[تمة ما نشر في ص ٩٢٦ / ٩٥٦ — من السنة الخامسة عشرة عن الجزء الثالث عشر من الكتاب .]

٣٧ — ص : ٤٦٥ — :

(قال ابنُ أحمَر :

لا تُقْمِرَنَّ عَلَى قَمَرٍ وَلَيْلَتِهِ لا عَنْ رِضَاكَ ولا بِالْكُرْهِ مُغْتَصِبًا

وَأَقَامَ عَمْرُ بْنُ هِنْدٍ ثَلَاثًا لَا يَرَى أَحَدًا ، فَتَمَسَمَ الْمَيْتَةَ بِامْرَأَةٍ مِنْ بَنِي نَهْشَلٍ —
وَقِيلَ : إِنَّهَا ابْنَةُ ضَمْرَةَ بْنِ جَابِرٍ . أُخْتُ ضَمْرَةَ بْنِ ضَمْرَةَ وَوَجَدْتُ بِخَطِّ أَبِي حَاتِمٍ
السَّجْسَانِيِّ عَنِ الْأَصْمَعِيِّ قَالَ : سَمِعْتُ امْرَأَةً زُرَّارِيَّةً فِي الْإِسْلَامِ مُؤَذِّنًا يَقُولُ : أَشْهَدُ
أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ ، أَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ ، فَقَالَتْ : مَا لِرُزَّارَةَ لَا أَسْمَعُ لَهُ
ذِكْرًا ؟!

وَابْنُهُ : حَاجِبُ بْنُ زُرَّارَةَ ، وَيُكْنَى أَبَا عِكْرَشَةَ ، وَكَانَ اسْمُهُ زَيْدًا ، وَإِنَّمَا سُمِّيَ
حَاجِبًا لِعَظَمِ حَاجِبِيهِ . فِي قَوْلِ أَبِي الْيَقْظَانِ ، وَهُوَ صَاحِبُ الْقَوْسِ الَّتِي رَهْنَهَا عِنْدَ
كِسْرَى .

وَأَخْبَارُ آلِ زُرَّارَةَ طَوَالُ مُمْتَعَةٍ ، وَوَقَائِعُهُمْ كَثِيرَةٌ ، وَلَكِنْ طَلَبُ الْإِخْتِصَارِ يُوْجِبُ
حَذْفَ ذَلِكَ كُلِّهِ .

تاج العروس

من جواهر القاموس

— ٢١ —

[تمة ما نشر في ص ٩٢٦ / ٩٥٦ — من السنة الخامسة عشرة عن الجزء الثالث عشر من الكتاب .]

٣٧ — ص : ٤٦٥ — :

(قال ابنُ أحمَر :

لا تُقْمِرَنَّ عَلَى قَمَرٍ وَلَيْلَتِهِ لا عَنْ رِضَاكَ ولا بِالْكُرْهِ مُغْتَصِبًا

وَأَقَامَ عَمْرُ بْنُ هِنْدٍ ثَلَاثًا لَا يَرَى أَحَدًا ، فَتَمَسَمَ الْمَيْتَةَ بِامْرَأَةٍ مِنْ بَنِي نَهْشَلٍ —
وَقِيلَ : إِنَّهَا ابْنَةُ ضَمْرَةَ بْنِ جَابِرٍ . أُخْتُ ضَمْرَةَ بْنِ ضَمْرَةَ وَوَجَدْتُ بِخَطِّ أَبِي حَاتِمٍ
السَّجَّسَانِيِّ عَنِ الْأَصْمَعِيِّ قَالَ : سَمِعْتُ امْرَأَةً زُرَّارِيَّةً فِي الْإِسْلَامِ مُؤَذِّنًا يَقُولُ : أَشْهَدُ
أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ ، أَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ ، فَقَالَتْ : مَا لِرُزَّارَةَ لَا أَسْمَعُ لَهُ
ذِكْرًا ؟!

وَابْنُهُ : حَاجِبُ بْنُ زُرَّارَةَ ، وَيُكْنَى أَبَا عِكْرَشَةَ ، وَكَانَ اسْمُهُ زَيْدًا ، وَإِنَّمَا سُمِّيَ
حَاجِبًا لِعَظَمِ حَاجِبِيهِ . فِي قَوْلِ أَبِي الْيَقْظَانِ ، وَهُوَ صَاحِبُ الْقَوْسِ الَّتِي رَهْنَهَا عِنْدَ
كِسْرَى .

وَأَخْبَارُ آلِ زُرَّارَةَ طَوَالُ مُمْتَعَةٍ ، وَوَقَائِعُهُمْ كَثِيرَةٌ ، وَلَكِنْ طَلَبُ الْإِخْتِصَارِ يُوْجِبُ
حَذْفَ ذَلِكَ كُلِّهِ .

أحال المحقق إلى «اللسان» .

ورواية البيت — كما ورد في كتاب «بلاد العرب» لِلْغَدَّةِ الْأَصْبَهَانِي — ص ٢٨ غير منسوب —:

لَا تُقْمِرَنَّ عَلَى قَرْنٍ ، وَلَيْلَتِهِ لَا إِنْ رَضِيتَ ، وَلَا إِنْ كُنْتَ مُغْتَضِبًا
أورده شاهداً على قَرْنِ الموضع المعروف .

وهذه الرواية أوضح .

٣٨ — ص : ٤٧١ —:

(وَالْقَمَرِيُّ) ، بِالْفَتْحِ : وَادٍ يَصُبُّ جَنُوبِيَّ غَمْرَةَ ، وَشَمَالِيَّ الدَّيْلَ ، كَذَا فِي
مُخْتَصَرِ الْبُلْدَانِ) . انتهى .

وقد ظننته يقصد كتاب «مراصد الاطلاع» وهو مختصر كتاب «معجم البلدان» ولكنني لم أجده في ذلك الكتاب ، ولا في أصله «معجم البلدان» ومهما يكن فَضَبْتُ الكلمة — كما وردت في مطبوعة «التاج» غير صحيح ، والصحيح كسر القاف وإسكان الميم وفتح الراء بعدها أَلِفٌ مقصورة (القَمَرِيُّ) والموضع لا يزال معروفاً وكذا يُنطق الآن ، وأول مَنْ رآته ذكر هذا الموضع أبو علي الهجري ، فقد قال عنه — ص ٣٣١ .

(وسألت الحقاقي عن صاحبة ، وهو جبل عظيم أحمر ، فقال : هو بَيْنَ الْقَمَرِيِّ — مقصورة — وَبَيْنَ دَيْلِ الْعَارِضِ ، وَلَا دَيْلَ غَيْرِهِ ، بَلَدٌ) انتهى . وهذا في نوادره الهجري ، مخطوطة دار الكتب المصرية (الورقة ٣٥٥) وَالْقَمَرِيُّ وادٍ يقع في جنوب نجد ، وانظر لتحديد موقعه «المعجم الجغرافي للبلاد العربية السعودية» قسم (عالية نجد) — ص ١٠٨٥ — تأليف الأستاذ سعد بن عبدالله بن جنيديل .

٣٩ — ص : ٤٧٦ —:

(وَالْقَنُورُ ، كَثُورٌ : مَلَاَحَةٌ بِالْبَادِيَةِ ، وَلِحُهَا غَايَةُ جَوْدَةٍ) ، قَالَ الْأَزْهَرِيُّ : وَقَدْ رَأَيْتُهُ بِالْبَادِيَةِ) انتهى .

وأُصِيفُ : ما أَوْسَعَ البادية !! وهذا التَّعْرِيفُ وَعَدَمُهُ سَيَّان .

قُنُورُ — المَلَّاحَة وهي المَمَّلَحَة عند أَهْلِ نَجْدٍ — لا تزال معروفة باسمها ، إِنَّهَا أَرْضٌ سَبَخَةٌ تَقَعُ فِي الشَّمالِ الشَّرْقِيِّ مِنْ قَرْيَةِ ثَاجٍ ، بِنَحْوِ ٣٥ كَيْلًا ، وَفِي جَانِبِهَا آبَارٌ ، وَفِيهَا مَمْلَحَةٌ يُسْتَخْرَجُ مِنْهَا الْمِلْحُ الْحَجَرِيُّ الْوَحَا ، وَهُوَ مِنْ أَجْوَدِ أَنْوَاعِ الْمِلْحِ ، وَيَمُرُّ بِهَا الطَّرِيقُ الْكِنَهَرِيُّ الْمُتَّجِهَ مِنَ الْجَبِيلِ إِلَى نَجْدٍ .

قال الصَّمَّةُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ الْقُشَيْرِيُّ :

أَقُولُ لِصَاحِبِي وَالْعَيْسُ تَهْوِي بِنَا بَيْنَ الْمُنِيفَةِ فَالضَّمَارِ
عَنْتَ لِي مِلَاحَةٌ عِنْدَ قِرَاءَةِ هَذَا الْبَيْتِ ، وَهِيَ وَقُوعُ الْإِخْتِلَافِ فِي كَلِمَةِ (الضَّمَارِ)
فَقَدْ وَرَدَتْ فِي كُتُبٍ أُخْرَى (الغَمَارِ) بِالْغَيْنِ بَدَلَ الضَّادِ الْمَعْجَمَةِ . وَوَقُوعُ تَصْحِيفِ أَحَدِ
الْحَرْفَيْنِ بِالْآخَرِ ، سَهْلٌ لِتَشَابُهِهِمَا فِي الصُّورَةِ .

وقد ورد البيت في كتاب «المناسك» ومؤلفه من أهل القرن الثالث الهجري ، وفي «الحماسة» لأبي تمام بالغين (الغمار) وفسره صاحب «المناسك» — ص ٦٠٣ بقوله :
(الغمار غمرة وما والاها إلى طريق البصرة . ووجرة من الغمار . وهي جبال غمرة) .
أما الضَّمَار فلم أرَ — فيما اطلعت عليه — من حدد موضع الضَّمَار ، بل يقال :
الضَّمَار موضع ، بدون تحديد .

ولهذا أرى أن صواب الاسم (الغمار) بالغين المعجمة — كما ورد في أقدم النصوص التي وصلت إلينا .

أما قائل هذا البيت فالصاغاني في كتاب «التكلمة» صحَّحَ أنه جعدة بن معاوية القُشَيْرِيُّ .

وصاحب «المناسك» نسبته مع أبيات أخرى لشاعر مجهول يدعى علي بن محمد .

(وعرعر : موضع بل عدة مواضع نجدية وغيرها . وعرعر : وادي بنعمان ، قرب عرفة . قال امرؤ القيس :

سَمَا لَكَ شَوْقٌ بَعْدَ أَنْ كَانَ أَقْصَرَا وَحَلَّتْ سُلَيْمَى بَطْنَ ظَبْيٍ فَعَرَعَرَا
وَيُرَوَّى : بَطْنَ قَوْ انتهى .

يَتُّ امرؤ القيس ينطبق على وادي يقع خارج مُسَمَّى نجد ، في جانب السماوة الشرقي الشمالي بقرب العراق داخل المملكة السعودية ، ولهذا قال عنه أبو زياد الكلبي — وهو من أعلم الناس ببلاد نجد — : عرعر موضع ولا نَدْرِي ما هو كما في «معجم البلدان» .

وهو وادي مر به امرؤ القيس في رحلته إلى قيصر حيث يقول :

بَكَى صَاحِبِي لَمَّا رَأَى الدَّرْبَ دُونَهُ وَأَبْقَنَ أَنَا لَاحِقَانِ بِقَيْصَرَا

وقد حَدَّدَ الهجري موقع عرعر وظبي فقال — «أبو علي الهجري وأبحاثه في تحديد المواضع» (٢٣٤ — : إذا خَرَجْتَ مِنْ فَيْدٍ تُرِيدُ بِالْسِ وَحِمَصَ مِنَ الشَّامِ ، فَأَنْتَ دَاخِلٌ تَحْتَ مَهَبِّ الشَّمَالِ ، سَلَكْتَ نَاحِيَةَ الصَّحْرِ ، ثُمَّ اللَّعْطِ ، أَرْضُهَا مِيَاهٌ ، ثُمَّ تَهْبِطُ مِنَ اللَّعْطِ فِي أَوَّلِ رَمْلِ عَالِجٍ ، ثُمَّ الْحَزِيزِ حَزِيزِ كَلْبٍ ، ثُمَّ تَهْبِطُ مِنَ الْحَزِيزِ فِي الْوَصْلِ بَيْنِ الْأَوْدَاةِ . وَبَيْنَ الْحَزِيزِ ، وَإِنَّا هِيَ الْأَوْدِيَّةُ ، وَلَكِنَّا لَغَةُ طِيٍّ فَأُولَ وَادٍ مِنْ أَوْدِيَةِ الْأَوْدَاةِ : ذُو الْقُورِ ثُمَّ أَحَامِرُ ثُمَّ عَرَعَرُ ، ثُمَّ أَيْلِيٌّ — وَزَنْ عُبْلِيٌّ — ثُمَّ تَبْلٌ ، ثُمَّ بَطْنُ ظَبْيٍ — هَذِهِ كُلُّهَا أَوْدِيَّةٌ — ثُمَّ النَّبِيُّ : بَلَدٌ سَهْلٌ ، وَالْبِشْرُ وَالْفُرَاتُ قَرِيبٌ مِمَّا أَسْمِيتُ وَكُلُّ مَا أَسْمِيتُ يَصُبُّ فِي الْفُرَاتِ .

انتهى باختصار — .

وأُضِيفَ : لا تزال هذه الأودية معروفة ، وقد تحدثت عنها في (قسم شمال المملكة) من «المعجم الجغرافي للبلاد العربية السعودية» . وقد أُنْشِئَتْ مَدِينَةٌ فِي وَادِي عَرَعَرٍ بَعْدَ مَدِّ أَنْيَابِ النِّفْطِ مِنْ شَرْقِ الْجَزِيرَةِ إِلَى الشَّامِ ، عُرِفَتْ بِاسْمِ عَرَعَرٍ هِيَ قَاعِدَةُ إِمَارَةِ

الحدود الشمالية الشرقية .

واستشهادُ صاحب «التاج» بيت امرئ القيس على عرعر الذي قال عنه إنه وادِ
بَنَعْمَانَ ، قُرْبَ عَرَفَةَ — استشهادُ في غير محلّه .

وعرعر الذي يقصده بعيد عن نَعْمَانَ وعن عَرَفَةَ . وإِنَّا أخذ الكلام مما جاء في
«معجم البلدان» ونصّه :

وفي كتاب (السكوني) وذكر الأَبَحُّ بْنُ مَرَّةٍ في خَبَرٍ فَقَالَ : ضَيْمٌ مِنْ عَرْعَرٍ ، وَعَرْعَرٌ
مِنْ نَعْمَانَ ، فِي بِلَادِ هَذِلٍ ، قَالَ الْأَبَحُّ بْنُ مَرَّةٍ الْهَذِلِيُّ :

لَعَمْرُكَ سَارِي بْنُ أَبِي زُنَيْمٍ لَأَنْتَ بِعَرْعَرِ الشَّارِ الْمُنِيمِ
عَلَيْكَ بَنِي مُعَاوِيَةَ بْنِ صَخْرٍ وَأَنْتَ بِعَرْعَرٍ ، وَهُمْ بِضَيْمٍ
وَأَمَّا نَصْرُ فَقَالَ : عَرْعَرُ وادِ بَنَعْمَانَ ، قُرْبَ عَرَفَةَ ، وَأَيْضاً فِي عِدَّةِ مَوَاضِعَ نَجْدِيَّةٍ
وغيرها . فَإِنَّهُ لَوْ كَانَ بِنَجْدٍ لَعَرَفَهُ أَبُو زَيْدٍ لِأَنَّهَا بِلَادُهُ . انتهى .

ويلاحظ على كلام صاحب «معجم البلدان» :

١ — السكوني في المطبوعة خطأ ، والصواب السُّكْرِيُّ ، فهو مؤلف كتاب «شرح
أشعار الهذليين» . وفيه شعر الأَبَحِّ — ص ٦٦٧ — ولكن الكلام المتعلق بعَرْعَرٍ لم يردْ
في مطبوعة الكتاب وإِنَّا ورد : (عرعر وضيم مكانان) ولكن جاء في ص ٨٠٥ من
الكتاب ما يفهم منه بُعدُ عَرْعَرٍ عن نَعْمَانَ ، فقد ورد في ذكر (يوم نيات) ما ملخصه :
إِنْ قَوْمًا مِنْ هَذِلٍ أَغَارُوا عَلَى بَنِي خَوْفٍ مِنْ فَهْمٍ ، فَبَيَّتُوهُمْ ثُمَّ عَادُوا وَمَرُّوا بِرَجُلٍ هَذِلِيٍّ
فَأَطْعَمَهُمْ ثُمَّ أَمَرَهُمْ بِالذَّهَابِ وَخَرَجَ يَسُوقُهُمْ حَتَّى أَوْصَلَهُمْ إِلَى نَمَارٍ ، ثُمَّ رَجَعَ ، فَلَقِيَ
طَلَبَ فَهْمٍ فَسَأَلُوهُ عَنِ الْقَوْمِ ، فَقَالَ : لَقِيتُ قَوْمًا بِثَنِيَّةِ عَرْعَرٍ ، مَعَ الصَّبْحِ ، وَهُمْ الْآنَ
بِعُرْنَةٍ أَوْ نَعْمَانَ ، فَارْتَدُّوا عَنْهُمْ . انتهى .

وعلى هذا فلا يخلو الأمر من أن يكون ياقوت استتج مما قرأه في كتاب السكريّ ما
نسبه إليه ، وهو استتاج غير صحيح ، أو أن السكريّ قال ما نسبه إليه من أن عَرْعَرٍ من
نَعْمَانَ ، وهذا خطأ أيضاً .

ويبقى احتمال ثالث هو أن القول لغير السكري ، وهو (السكوني) وأرى هذا بعيداً ، فياقوت وإن أكثر النقل عن السكوني ، إلا أن ما نقل عن هذا كله يتعلق بمواضع بعيدة عن بلاد هذيل ، بخلاف السكري ، جامع شعر هذيل ، وشارح ذلك الشعر .

وأيّا كان القائل بأن عرعر من نَعْمَان ، فالواقع أنّهما متباعدان .

وعرعر — الوارد في شعر الأبح الهذلي ، لا يزال معروفاً ، وهو من فروع وادي ضيّم المعروف الآن أيضاً ، وهو من بلاد النُدُوَيْن من هذيل ، واقع جنوب مكة على مقربة من ميقات إحرام القادمين من الجنوب — تهامة واليمن — وادي السعدية (يَلَمَلَم) بعيد عن عرفات ، وعن وادي نَعْمَان والذي أوقع المتقدمين بالخطأ في قولهم إنه في نَعْمَان وروده في أخبار هذيل وأشعارهم مقروناً بذكر نَعْمَان — وانظر لتحديد عرعر مقال لصعيب بن حدرجان النُدوي الهذلي نشر في جريدة «النُدوة» تاريخ ١٤٠٠/٤/٢٥ هـ .



٤٢ — ص ٢٦ — :

(وعزّورة ، بلا لام : ع ، قرب مكة) ، زبدت شرفاً . وقيل : هو جبل عن يمنية طريق الحاج إلى معدن بني سليم ، بينهما عشرة أميال ، أو عزّورة : ثنية المدنيين إلى بطحاء مكة) ، زبدت شرفاً . انتهى .

كل ما أورده صاحب «التاج» هنا ورد في «معجم البلدان» بدون هاء (عزّور — وأرى هذا هو الصواب : إذ أورد ياقوت شاهداً على ثنية المدنيين قول ابن هرمة : وَلَمْ يَنْسَ أَطْعَانًا عَرْضَ عَشِيَّةٍ طَوَالِغَ مِنْ هَرَشَا قَوَاصِدَ عَزَّورَا وهي ثنية الجحفة التي ذكرها صاحب «التاج» بعد كلامه المتقدم .

والثنية المذكورة في طرف حرة تُعرف الآن باسم العزّورة والثنية تُدعى الآن (ربيع أم الكلبي) — جمع كلبية — أنظر «العرب» س ٨ ص ١٧٥ .

(وبئر عُمَيْرٍ) ، كُزَيْبِرٍ : (في حَزْمِ بَنِي عَوَالٍ) ، بِالضَّمِّ ، هَكَذَا فِي النُّسخِ ، وَضَبَطَهُ الصَّاعِغَانِي عَوَالٍ بِالْفَتْحِ . انْتَهَى .

وَلَكِنْ أَيْنَ حَزْمُ بَنِي عَوَالٍ ؟ الْكَلَامُ هُنَا مُبْتَوَرٌ مِنْ كَلَامِ عَرَّامِ بْنِ الْأَصْبَغِ السُّلَمِيِّ ، صَاحِبِ كِتَابِ «أَسْمَاءِ جِبَالِ تِهَامَةَ وَسُكَّانِهَا» قَالَ فِي وَصْفِ الطَّرَفِ أَحَدِ مَنَازِلِ طَرِيقِ الْمَدِينَةِ مِنْ نَجْدٍ ، الْمَعْرُوفِ الْآنَ بِاسْمِ (الصُّوَيْدِرَةِ) قَالَ : ثُمَّ الطَّرَفُ لِمَنْ أُمُّ الْمَدِينَةِ ، يَكْتَنِفُهُ ثَلَاثَةُ جِبَالٍ ، أَحَدُهَا ظَلِيمٌ وَحَزْمُ بَنِي عَوَالٍ ، وَفِي عَوَالٍ آبَارٌ مِنْهَا بَيْتَرُ الْيَةِ ، وَبَيْتَرُ هَرْمَةٍ ، وَبَيْتَرُ عُمَيْرٍ ، وَبَيْتَرُ السُّدْرَةِ ، وَلَيْسَ بِهَؤُلَاءِ مَاءٌ يُنْتَفَعُ بِهِ . انْتَهَى مُلَخَّصًا .

وَحَزْمُ بَنِي عَوَالٍ هَذَا هُوَ حَرَّةٌ سُودَاءُ مُطَلَّةٌ عَلَى الطَّرَفِ (الصُّوَيْدِرَةِ) مِنَ الْجِهَةِ الْجَنُوبِيَّةِ ، يَخْتَرِقُهَا وَادِي الشُّقْرَةِ الْمُنْحَدِرُ مِنَ الصُّوَيْدِرَةِ ، حَتَّى يَجْتَمِعَ مَعَ وَادِي الْعَقِيقِ فِي قَاعِ حَضَوْضًا .

وَقَدْ كَتَبَ اسْمَ تِلْكَ الْحَرَّةِ فِي الْمَصَوِّرَاتِ الْجُغْرَافِيَّةِ (الْخَرَائِطُ) خَطًّا اسْمَ (حَرَّةِ كَرْمَاءِ) تَحْرِيفَ كَلِمَةِ (هَرْمَةٍ) الَّتِي لَا تَزَالُ مَعْرُوفَةً وَمَعْدُودَةً مِنْ هَجَرِ هُجَرَ بَنِي عَوْفٍ ، مِنْ قَبِيلَةِ حَرْبٍ .

أَمَّا ظَلَمٌ الْوَاردُ فِي كَلَامِ عَرَّامٍ فَيَدْعَى أَظْلَمَ — وَلَعَلَّهُ هُوَ الصَّوَابُ — وَيَقَعُ شَرْقَ الطَّرَفِ (الصُّوَيْدِرَةِ) .

(وَذَاتُ الْغَارِ : وَادٍ بِالْحِجَازِ فَوْقَ قَوْرَانَ) انْتَهَى .

يُظْهِرُ أَنَّ مَصْدَرَ هَذَا الْقَوْلِ مَا جَاءَ فِي كِتَابِ «أَسْمَاءِ جِبَالِ تِهَامَةَ» لِعَرَّامٍ ، وَنَصُّهُ : وَذُو مَجَرٍّ غَدِيرٌ كَبِيرٌ ، فِي بَطْنِ وَادِي قَوْرَانَ ، وَبِأَعْلَاهُ مَاءٌ يُقَالُ لَهُ لَقْفٌ ، وَمَا يُقَالُ لَهُ شَسٌّ ، وَفَوْقَ ذَلِكَ بَيْتَرُ يُقَالُ لَهَا ذَاتُ الْغَارِ ، عَذْبَةٌ ، كَثِيرَةُ الْمَاءِ ، تَسْقِي بَوَادِيهِمْ . انْتَهَى مُلَخَّصًا . وَقَالَ يَاقُوتُ : ذَاتُ الْغَارِ بَيْتَرُ عَذْبَةٍ ، كَثِيرَةُ الْمَاءِ ، مِنْ نَاحِيَةِ السَّوَارِقِيَّةِ ، عَلَى نَحْوِ ثَلَاثَةِ فَرَاسَخٍ مِنْهَا .

وعلى ما تقدم فذات الغار بئر ، وليست وادياً كما ورد في كلام صاحب « التاج » .
٤٥ — ص ٤١٠ — :

(وَقُرَّةُ : أَيْضاً مَوْضِعٌ بِالْحِجَازِ ، فِي دِيَارِ فِرَاسَ ، مِنْ جِبَالِ تِهَامَةَ لِهَذِيلِ) انتهى .
وجه الإشكال هنا كيف يكون في ديار بني فراس — وهؤلاء من بني مالك من كنانة — ثم يكون لِهَذِيلِ .

لا شكَّ أنَّ الكلام غير مستقيم ، وعادة مؤلف « التاج » رحمه الله — اختصار الكلام اختصاراً ينشأ عنه اضطراب في المعنى وعدم استقامة .
٤٥ — ص ٣٣٩ :

والفَقِيرُ : رَكِيَّةٌ بَعِيْنُهَا مَعْرُوفَةٌ . قال :
مَا لَيْلَةُ الْفَقِيرِ إِلَّا شَيْطَانٌ مَجْنُونَةٌ تُودِي بِرُوحِ الْإِنْسَانِ
وجاء في ص ٤٦٠ — في رسم (قفر) ما نصَّه : (والفقير ماء ، ويقال : بئر بأرض عُذْرَةَ — وفي بعض النسخ : في طريق الشام ، كذا في مختصر البلدان) انتهى .
ويظهر أن صاحب « القاموس » وشارحه عوّلاً على ما جاء في « معجم البلدان » لياقوت — رحمه الله . فقد ذكر (الْفُقَيْرَ) بضم القاف وأورد شاهداً عليه لابن مُقْبِلِ . ثم أورد الاسم مفتوحاً (الْفَقِيرَ) وقال : هو ماءٌ في طريق الشام بأرض عُذْرَةَ . كما أورد في رسم (الْفَقِيرَ) أنه رَكِيٌّ بَعِيْنُهُ ، ومفازة بين الحجاز والشام ، وأورد الشاهد :

مَا لَيْلَةُ الْفَقِيرِ إِلَّا شَيْطَانٌ

وكلُّ الأقوال تنطبق — فيما أرى على مُسَمًّى واحدٍ — وهو ماءٌ لا يزال معروفاً ، ولكن باسم الْفُقَيْرِ — بالفاء مضمومة بعدها قاف مفتوحة فمُثْنَاةٌ تَحْتِيَّةٌ ، فراء .
فهذا الماء :

١ — بين الشام والحجاز

٢ — كان في بلاد عُذْرَةَ في وادي القرى

وقد أصبح الفقير الآن قرية سكانها الفريعات والرشود والمحاسنة أفخاذ من قبيلة بلي التي حلت منازل عذرة ، وكانت قديماً تُجاورها ، وهو من قرى بلدة العُلا ، يقع غربها بقرب موقع ذي المروة ، المعروف الآن باسم (أم زرب) (وانظر مجلة «العرب» ص ١٢ ص ١٨٦) وكتاب «شمال المملكة» ص ١٠٣٥ (وما بعدها).

٤٦ — ص ٤٩١ — :

(وقوارة : موضع بين البصرة والمدينة ، وهو من منازل أهل البصرة إلى المدينة) انتهى .

الذي من منازل حاج البصرة إلى المدينة هو القوارة — بالفاء لا بالقاف . فما هنا تصحيف وقع فيه السكوني — إن كان نقلُ ياقوت عنه في «معجم البلدان» صحيحاً .

وقد نبّهت على هذا في حاشية كتاب «المناسك» في وصف الطريق — طريق حاج البصرة — من النّجاج إلى المدينة ، وقد حدّد في ذلك الكتاب تحديداً واضحاً .

والقوارة والقوارة بلدتان معروفتان الآن في بلاد القصيم ، أوفى الحديث عنهما الأستاذ الشيخ محمد العبودي في كتاب «بلاد القصيم» أحد أقسام المعجم الجغرافي للبلاد العربية السعودية .

والتي يقع على الطريق — طريق حاج البصرة إلى المدينة — هي القوارة ، أما القوارة فمنحرفة عنه نحو الشمال .

٤٧ — ص ٤٩٥ — :

(والقهر : موضع ببلاد بني جعدة ، قال المسيّب بن علس :

سُفلى العراق وأنت بالقهر

وأنشد الصاغاني للبيد :

فَصُورَاتُهَا إِنِ أَيْمَنَتْ فَمَظْنَةٌ مِنْهَا وَحَافُ الْقَهْرُ أَوْ طَلْحَامُهَا

وفي «مختصر البلدان» : هو جَبَلٌ في ديار الحارث بن كَعْبٍ وأسافل الحجاز ، ممَّا يلي نَجْدَ ، مِنْ قِبَلِ الطائفِ). انتهى .

القول بأن القَهْرَ الجَبَلُ من قبل الطائف غير صحيح ، فهو واقع في الطرف الشرقي الجنوبي من سراة قحطان ، وهذه السراة هي أسفل السَّروَاتِ . والطائف يقع في أعلى السروات . وأقرب البلاد إلى القهر شرق بلاد عَسِيرٍ ، وجنوب بلاد الدواسر .

والقَهْرُ — قديماً في جنوب بلاد جَعْدَةَ المتصلة ببلاد بني الحارث بن كعب .

إنه سلسلة من الجبال ، تمتد من الشمال صَوْبَ الجنوب حتى تتصل بسلسلة جبال السراة الواقعة في الجنوب الشرقي من بلاد عسير (تقع سلسلة جبال القهر بين خطي الطول ٤٤/٠٠ و ٤٤/٢٨ وبين خطي العرض ١٩/٣٠ و ٢٠/٠٠) . (وانظر مجلة «العرب» س ٨ ص ٣٣) .



استدراك :

يضاف إلى ما ورد في الكلام على (عقر) ص ٩٣١ من مجلة «العرب» السنة الماضية بعد كلمة (فات المحقق تخريجه) :

والبيت من قصيدة طويلة وردت في — ص ٢٣٩ من كتاب «شرح أشعار الهذليين» تحقيق الأستاذ عبد الستار فرَّاج الذي راجع تحقيق هذا الجزء من كتاب «تاج العروس» ، والقصيدة منسوبة لمالك بن الحارث الهذلي ، ولتأبَّطُ شراً الفهمي .

حمد الجاسر

رحلة التميمي التونسي

إلى الحج

— ١ —

زرت مدينة تونس في شهر رمضان ١٤٠٠ هـ (١٩٨٠ م) فسعدت برؤية بعض من عرفتهم من الإخوة ، ومنهم أخي الأستاذ إبراهيم شُبُوح ، من علماء الآثار البارزين ، ومن المعنيين بتحقيق التراث .

وكنت عَرَفْتُ الأستاذ إبراهيم أثناء طلبه العلم في كلية الآداب في مصر ، وقويت الصلة بيننا ، وتصاحبنا مراراً في السفر ، إلى (اصطنبول) للبحث عن المخطوطات النادرة ، ولبعض البلدان الأوروبية .

وآخر عهدي بالأستاذ شُبُوح كان عند قيام حوادث لبنان . فلما زرت تونس حرصت على لقائه ، فررت بصاحب (المكتبة العتيقة) بقرب جامع الزيتونة . فبعث معي من أرشدني إلى المكان الذي يعمل فيه الأستاذ (قسم الآثار) فلم أجده ، ولكنه حين علم بذلك أكرمني بالزيارة ، وأفضل بتكرارها .

وقدم لي في إحدى المرات نسخة مُصَوَّرة لرحلة عالم تونسي زار الحجاز في أول عشر الأربعين من القرن الماضي .

ولقد تصفحت تلك الرحلة ، فرأيته لا تخلو من فوائد ، وإن كانت لا تندرج ضمن رحلات الحج ، التي حاولت جمع ما استطعت جمعه منها ، ثم دراسة ما جمعت ، ثم محاولة استخلاص ما أرى في استخلاصه فائدة ، وترتيبه حسب موضوعاته ، ثم نشره ، فهذه الرحلات تقف عند نهاية القرن الثالث عشر الهجري ، إذ ما بعد ذلك من الزمن بلغت الرحلات المدونة عن الحج درجةً من الكثرة ، يصعب معها حصرها وجمعها .

وها أنا أحاول عرض ما عَنَّ لي مما قد يكون في عرضه فائدة للقارئ ولا تفوت الإشارة إلى أن مؤلف تلك الرحلة عاش في عصر جمود فِكْرِيٍّ ، سيطر على العقول في

أكثر الأقطار الإسلامية ، ولهذا يجد القارئ منه اهتماماً عظيماً بأمر اتصفت بالدين
وليست منه ، وهذا ما لا أتعرض له ، لأنه يكاد أن يكون صفة عامة لكثير من
العلماء ، منذ قرون طويلة .

ترجمة المؤلف :

أوجز لي الأستاذ إبراهيم شُبُوح ترجمته على هذا النحو :

محمد بن صالح الجُودي التيمي القيرواني .

ولد في مدينة القيروان — في القطر التونسي — في شوال سنة ١٢٨٧ هـ .

وقد بلغ من العلم مبلغاً أهله لتوليّ الفتيا في بلده في سنة ١٣٢٩ هـ .

ثم في سنة ١٣٥٧ أصبح رئيساً (باش مفتي) وله مؤلفات منها :

١ — رحلته إلى الحج .

٢ — قضاة القيروان ، من الفتح إلى الآن .

٣ — مورد الظمان ، في تراجم علماء وُصلحاء القيروان — يقع في جزءين
كبيرين .

٤ — ثبت شيوخه ، وإجازات من لقيه من العلماء وقد توفي — رحمه الله — ليلة
الثلاثاء التاسع من ذي الحجة سنة اثنتين وستين وثلاث مئة وألف (٢) ديسمبر سنة
١٩٤٣ م) .

وصف النسخة :

يظهر أن المؤلف عاجلته المنية قبل نقل رحلته من المسودة ، ولهذا وقع فيها كثير من
الإضافات في الهوامش ، مع عدم وضوح كثير من الكلمات مما يدل على أنه كان يكتب
لنفسه ، لا ليقراه غيره .

وتقع في نحو ٨٨ صفحة في الصفحة نحو ٢٥ سطراً بخط مغربي .

محتواها :

استهل المؤلف رحلته — بعد حمد الله والصلاة على محمد وآله وصحبه ، بقوله :
(وبعد فيقول العبد الفقير لرحمة ربه ، الراجي غفران ذنبه ، محمد الجودي القيرواني :
إني تعلق غرضي بحج بيت الله الحرام ، وزيارة قبر نبيه عليه الصلاة والسلام ، وذلك في
سادس عشر شوال عام ١٣٣١ — فاستأذنت الوزارة التونسية في السفر ، لحيث ذكر ،
بمكتوب مؤرخ بالتاريخ المذكور ، فأجابني جناب الوزير الأكبر الشيخ يوسف جعيطا
بمكتوب نصه : الحمد لله ، وصلى الله على سيدنا ومولانا محمد ، وعلى آله وصحبه
وسلم :

الفاضل الزكي ، الثقة الشيخ محمد الجودي ، المفتي بالقيروان ، دام حفظه .
السلام عليكم ورحمة الله وبركاته . وبعد فقد بلغنا مكتبك المؤرخ ١٦ شوال
و ١٧ سبتمبر الجاريين ، في التعريف بعزمكم على السفر لحج بيت الله الحرام ، عام
التاريخ ، وعلمناه .

ونعرفكم أنه لا مانع من ذلك .
ونسأله سبحانه لكم الأمن ، وأن يتقبل أعمالكم ودمتم بحفظ الله والسلام .
من الفقير إلى ربه تعالى ، أمير الأمراء ، يوسف جعيط ، الوزير الأكبر وفقه الله
تعالى ، وكتب في ٢٨ شوال و ٢٩ سبتمبر سنة (١٣٣١) ثم ذكر أنه شرع في بيع ما يلزم
بيعه من الحيوان ، ليتيها للسفر . وأنه ودّع أهله وسار إلى تونس ، ونزل ببيت في المدرسة
السلامية ، في انتظار محيي (البابور) يقصد الباخرة .

وأنه في ٢٤ ذي القعدة سافر بحرّاً فوصل (برت سعيد) وقال : (أقام البابور ببرت
سعيد يومه ، إلى الليل ، ووجدنا صورة من نحاس ، قيل إنها صورة الأوروبي الذي فتح
الفتحة بين البحرين الأحمر والمتوسط ، ووجدنا هنالك من البابورات كثيراً على أشكال
مختلفة ، كاد أن يمر بنا بعد كل ربع ساعة بابور . وعند غروب ليلة الجمعة غرة ذي
الحجة ألقع بنا البابور ، وسرنا بوسط الفتحّة الليل كله .

وهاته الفتحّة يكتنفها جسران ، أحدهما وهو القيلي يمر ... السكة الحديدية التي

الحولاء والسلاخ على سيدنا ومولانا محمد وعلى آله
 وصحبه وبعد فيقول العبد الحقير لرحمة ربه (الراعي)
 عمراني ذنبي كجر الجودي البخور وانني اني تعلق غريبي بحج
 بيت الله الحرام وزيارته في نبيير عميد السلاخ والسلاخ هو ذنبي
 في سادس عش شوال سنة ١٣٣٤ هـ واهو وكلاصي وتلقايت
 واهب هاهنا ذقت الوزارة التوفيسير في التفسير لحنك
 مكتوب مورخ باليكني الزكوت رجا جاني جناب الغزي الاكبي السني
 يوسف جليلي مكتوب في شهر الحولاء وهو الله على سيدنا ومولانا
 محمد وعلى آله وصحبه وسلم الباقى انكبي انك في التفسير السني
 كجر الجودي البخور والغير وان دام حكمة السلاخ عليكم ورحمة الله
 وهو بعد بلغنا مكتوب في الحولاء في شوال واه سبتين الحولاء
 في التفسير بعزكم على السني بحج بيت الله الحرام علم اليقين وعلمنا
 ونعزكم انك ما منع من ذلك ونسأل الله سبحانه بكر الامم وان تفضل
 اعمالكم ودمكم بحج الله والسلاخ من التفسير البكر في التفسير السني
 في سبتين الحولاء في شوال واه سبتين الحولاء في شوال واه
 سبتين الحولاء في شوال واه سبتين الحولاء في شوال واه
 وصل الى مكتوب تحيات للغير ونسأل الله في بيع ما يلزم بيعه
 من الكيوان وغيره ونسأل الله في بيع ما يلزم بيعه من الكيوان
 والاوليا وفي مقدمتهم في عام الهجري الحولاء في شوال واه
 سبتين الحولاء في شوال واه سبتين الحولاء في شوال واه
 لوصي الله في ثلاث شعرات من شحراي على الله عليه وسلم كانت
 عنده في فلنسوك في مكة تحت لسانه وانك في بيع ما يلزم بيعه
 من الكيوان وغيره ونسأل الله في بيع ما يلزم بيعه من الكيوان
 والاوليا وفي مقدمتهم في عام الهجري الحولاء في شوال واه
 سبتين الحولاء في شوال واه سبتين الحولاء في شوال واه

فوله تعالى

(الصفحة الأولى من رحلة التيمي)

بخطه

تذهب للسويس ومصر ، وأمام ذلك بحرٌ قِل : هو نيل مِصر .

وكان وصولنا لحيث ذكر بعد أن مررنا بِبَحْرِ يُسَمَّى جون الكبريت ، وقع للناس فيه دَوْخَةٌ عظيمة ، وقاسينا الشَّدَائِدَ في البابور المذكور ، إذ كان بابور سِلْعَةٍ وَفَحْمٍ ، ليس به (سكوندة) ولا ...

في مدينة جدة :

ثم ذكر أنه وصل (جدة ليلة الاثنين رابع حجة ، فأرسي بنا (البابور) وفي صبيحة الاثنين نزلنا بِـ(فَلَايِك) وسارت بنا إلى جدة ، وهي مَرَسِي بعيدة عن البلد .

فدخلنا جدة وسلمنا (السراحات) للمكَلَّف من طرف الحكومة ، ودخلنا البلد فأول ما لاقيناه أنه لا يطلب الإنسان شَرَبَةً من ماء إِلَّا بثمانٍ قدره (هلاله) لكل شَرَبَةٍ ، و(الهلاله) عبارة (مولوي؟) .

وسألنا عن (الميضات) فَأَرشَدَنَا إليها ، حَدَّوْ جامعتها ، فوجدنا لا يتوضَّأ الإنسان إِلَّا بماء ، ذي ثمنٍ قدره (هلاله) مع رداة الماء ، وملوحتة ، فتوضَّأنا وصلَّينا الظهر بجدة . وأكترينا جمالاً حَمَلَتْنَا لمكة ، الجمل الواحد بثلاثة وعشرين (فرنكاً) ونصفاً . فركبنا بعد صلاة الظهر ، وسار بنا الجمَّالون ، ولما خرجنا معهم وَجَدْنَا فِضَاضَةً وَغِلْظَةً من الجَمَّالِينَ ، يطلبون من المال ، يسمى (البقشيش) فلم يسعنا إِلَّا دفعه ، وقدره نحو فرنكين) .

وسِرْنَا لَيْلاً ، وقبل نصف الليل وصلنا لمكان يُسَمَّى (بَحْرَة) بِتَنَا فيه على خوف شديد ، إذ أصحابه من البدو ، والجمَّالون منهم ، وكلهم مُسلحون .

وفي آخر الليل رَفَعْنَا ، وسِرْنَا ، ووصلنا مكة يوم الأربعاء ، عند الظهر ،

(للبحث بقية)

الزارة : قاعدة بلاد الخط قديماً

(الخط : ما يعرف الآن باسم القطيف والدمام والظهران ،
الممتد على الساحل من الخفجي إلى قطر)

[كتب الأخ حسين علي القديحي من مدينة القطيف ، يشرح عن مدينة الزارة التي لها ذكر في كتب التاريخ ، في أخبار صدر الإسلام ، وفي حروب الردة .

وقد تحدثت عنها في كتاب « المنطقة الشرقية — البحرين قديماً ، أحد أقسام « المعجم الجغرافي للبلاد العربية السعودية ، في الجزء الثاني ،

ويظهر أن السائل الكريم لم يطلع على ذلك الجزء .
وها هو ما أوردت فيه] .

الزَّارَة :

— بعد الزاي ألف مهموزة وقد لا تهمز تخفيفاً ، ثم راء فهاء ، وهي لغة الأجمة —
أي الشجر الكثير الملتف ، والسَّباع تأوي الآجام ، ومن هنا قال بعض اللغويين أن اسم
الزارة مشتق من زئير الأسد .

والزَّارة اسم بلدة من أقدم مُدُن الخط ، عُرِفَتْ إِبَّانَ ظهور الإسلام ، وجُهِل
تاريخها قَبْلَ ذلك .

وكانت مَقَرَّ وَاِلي البحرين ، من قِبَل الفُرس حين كان نفوذهم مُمتدّاً إلى هذه البلاد
في العهد الجاهلي .

ذكر ياقوت في «معجم البلدان» في كلامه على المدينة ما نصه : (وكان على المدينة
وتهامة في الجاهلية عامل من قبل مرزبان الزارة يَجْبِي خرابها) انتهى .

وهذا النصُّ — مع غرابته — يَدُلُّ على سعة نُفُوذ مَرزُبان الزارة ، وهو واليها من
قِبَل الفُرس ، ولكن لم يُعَرَف امتداد نفوذ هذه الدولة إلى غرب الجزيرة .

قال في «معجم ما استعجم» : الزارة مدينة من مدن فارس ، وهي التي بارز البراء بن مالك مرزبانها فصرعه ، فقطع يديه فأخذ سيّارته ومنطقته ، فقال عمر : كُنَّا لَا نَحْمِسُ السَّلْبَ ، وَإِنَّ سَلْبَ الْبَرَاءِ بَلَغَ مَالاً ، وَأَنَا خَامِسُهُ . فَكَانَ أَوَّلَ سَلْبٍ خُمُسٍ فِي الْإِسْلَامِ .

قال أبو عبيد : حدثنا يونس عن ابن سيرين أن ذلك السلب بلغ ثلاثين ألفاً . ووقع في كتاب الرِّدَّةِ أَنَّ الْأَسَاوِرَةَ الَّذِينَ كَانُوا مَعَ الْمُنْذِرِ بْنِ النُّعْمَانِ الْمَعْرُوفِ بِالغُرُورِ ، وَهُوَ الَّذِي مَلَكَتْ بِكَرٍّ عَلَى أَنْفُسِهَا — حِينَ ارْتَدَوْا انْحَاذُوا إِلَى الزَّارَةِ فَحُصِرُوا ، فَتَزَلُّوا عَلَى صُلْحِ ابْنِ الْحَضْرَمِيِّ . فَهَذِهِ الزَّارَةُ هِيَ بِنَاحِيَةِ الْبَحْرَيْنِ ، لِأَنَّ هُنَاكَ كَانَتْ حُرُوبُهُمْ عِنْدَ رَدَّتِهِمْ : انْتَهَى .

وقال البلاذري في «فتوح البلدان»^(١) : وتحصن المكعب الفارسي صاحب كسرى الذي كان وجهه لقتال بني تميم حين عرضوا ليعيره — واسمه فيروز بن جشيش — بِالزَّارَةِ ، وَانْضَمَّ إِلَيْهِ مَجُوسٌ تَجَمَّعُوا بِالْقَطِيفِ وَامْتَنَعُوا مِنْ أَدَاءِ الْجَزْيَةِ ، فَأَقَامَ الْعَلَاءُ عَلَى الزَّارَةِ لَمْ يَفْتَحْهَا فِي خِلَافَةِ أَبِي بَكْرٍ ، وَفَتْحَهَا فِي أَوَّلِ خِلَافَةِ عُمَرَ .

— ثُمَّ قَالَ — : ثُمَّ غَزَا مَدِينَةَ الْغَابَةِ فَقَتَلَ مِنْ بَهَا مِنَ الْعَجَمِ ، ثُمَّ أَتَى الزَّارَةَ وَبَهَا الْمُكْعَبُ فَحَصَرَهُ ، ثُمَّ إِنَّ مَرْزَبَانَ الزَّارَةِ دَعَا إِلَى الْمُبَارَاةِ ، فَبَارَزَهُ الْبَرَاءُ بْنُ مَالِكٍ فَقَتَلَهُ وَأَخَذَ سَلْبَهُ فَبَلَغَ أَرْبَعِينَ أَلْفًا . ثُمَّ خَرَجَ رَجُلٌ مِنَ الزَّارَةِ مُسْتَأْمِنًا عَلَى أَنْ يَدُلَّ عَلَى شَرِّ الْقَوْمِ ، فَدَلَّهُ عَلَى الْعَيْنِ الْخَارِجَةِ مِنَ الزَّارَةِ فَسَدَّهَا الْعَلَاءُ ، فَلَمَّا رَأَوْا ذَلِكَ صَالِحُوهُ عَلَى أَنْ لَهُ ثُلُثُ الْمَدِينَةِ ، وَثُلُثُ مَا فِيهَا مِنْ ذَهَبٍ وَفِضَّةٍ ، وَعَلَى أَنْ يَأْخُذَ النُّصْفَ مِمَّا كَانَ لَهُمْ خَارِجَهَا .

وَأَتَى الْأَخْنَسُ الْعَامِرِيُّ الْعَلَاءَ فَقَالَ لَهُ : إِنَّهُمْ لَمْ يَصَالِحُوكَ عَلَى ذَرَارِيهِمْ وَهُمْ بَدَارِينَ .

وَدَّلَهُ كَرَّارُ النُّكْرِيِّ عَلَى الْخَاضَةِ إِلَيْهِمْ .

— إِلَى أَنْ قَالَ : بَارَزَ الْبَرَاءُ بْنُ مَالِكٍ مَرْزَبَانَ الزَّارَةِ فَطَعَنَهُ فَوْقَ صُلْبِهِ وَأَخَذَ سَوَارِيَهُ ، وَيَلْمَقًا^(٢) كَانَ عَلَيْهِ ، وَمِنْطَقَةً ، فَخَمَسَهُ عُمُرٌ لِكَثْرَتِهِ ، وَكَانَ أَوَّلَ سَلْبٍ

خُمْسَ فِي الْإِسْلَامِ .

وقال ابن الأثير في « النهاية » : وذكر مرزبان الزارة : الزارة هي الأجمة سُمِّيَتْ لِزَيْدِ الْأَسَدِ فِيهَا . وَالْمَرْزَبَانُ الرَّئِيسُ الْمَقْدَمُ ..

ومنه الحديث أن الجارود لما أسلم وثب عليه الحُطَمُ ، فَأَخَذَهُ وَشَدَّهُ وَثَاقًا ، وَجَعَلَهُ فِي الزَّارَةِ . انْتَهَى .

وجاء في « معجم البلدان » أيضًا قال أبو منصور : عَيْنُ الزَّارَةِ بِالْبَحْرَيْنِ مَعْرُوفَةٌ . وَالزَّارَةُ قَرْيَةٌ كَبِيرَةٌ بِهَا ، وَمِنْهَا مَرْزَبَانُ الزَّارَةِ ، وَلَهُ ذِكْرٌ فِي الْفَتْوحِ ^(٣) .

وفتحت الزارة سنة ١٢ في أيام أبي بكر الصديق رضي الله عنه وَصُولُهَا . قَالَ أَبُو أَحْمَدَ الْعَسْكَرِيُّ : الْخَطُّ وَالزَّارَةُ وَالْقَطِيفُ قَرْيٌ بِالْبَحْرَيْنِ وَهَجَرَ .

وفي كتاب « البلدان » ^(٤) للحازمي : قَالَ الْأَزْهَرِيُّ : عَيْنُ الزَّارَةِ بِالْبَحْرَيْنِ مَعْرُوفَةٌ ، الزَّارَةُ قَرْيَةٌ كَبِيرَةٌ ، وَكَانَ مَرْزَبَانُ الزَّارَةِ مِنْهَا ، وَلَهُ حَدِيثٌ مَعْرُوفٌ فِي الْفَتْوحِ . وَقَالَ الْعَسْكَرِيُّ : الْخَطُّ وَالزَّارَةُ وَالْقَطِيفُ وَدُرْنَا قَرْيٌ بِالْبَحْرَيْنِ وَهَجَرَ .

وفي كتاب « المناسك » ^(٥) في الكلام على البحرين : (ثُمَّ الزَّارَةُ) ، وَهِيَ فَرِضَةٌ مِنْ فَرِضِ الْبَحْرِ ، وَهِيَ لِأَحْمَدَ بْنِ سَالِمِ الْعَبْدِيِّ ، وَهُوَ رَئِيسُ أَهْلِ الْقَطِيفِ ، وَسَاكِنُهَا عَبْدُ الْقَيْسِ ، أَكْثَرُ غَلَّتْهَا النَّخْلُ وَالسَّمَكُ .

وعن أبي القموص زيد بن علي قال : حَدَّثَنِي الْوَفْدُ الَّذِينَ قَدَمُوا عَلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنْ عَبْدِ الْقَيْسِ : فَقَالَ لَنَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « أَيُّ هَجَرَ أَغْرَأُ ؟ » قُلْنَا : الزَّارَةُ .

وعن أنس ابن مالك قال : بَارَزَ الْبَرَاءُ بْنُ مَالِكٍ مَرْزَبَانَ الزَّارَةِ ، فَطَعَنَهُ طَعْنَةً فَكَسَرَ الْقَرْبُوسَ ^(٦) ، فَخَلَصَتْ إِلَيْهِ فَقَتَلَتْهُ ، فَقَوَّمَ سَلْبَهُ بِثَلَاثِينَ أَلْفًا ، فَلَمَّا صَلَبْنَا الصَّبْحَ غَدَا عَلَيْنَا عُمَرُ فَقَالَ لِأَبِي طَلْحَةَ : إِنَّا كُنَّا لَا نَخْمِسُ الْأَسْلَابَ ، وَإِنَّ سَلْبَ الْبَرَاءِ قَدْ بَلَغَ مَالًا ، وَلَا أَرَانِي إِلَّا خَامِسَهُ ، فَقَوَّمَنَاهُ بِثَلَاثِينَ أَلْفًا ، وَأُدِّيتُ إِلَى عَمْرِئِ سِتَّةِ آلَافٍ . انْتَهَى .

وخبر سؤال الرسول صلى الله عليه وسلم عن أعز بلدة في هجر ، وإجابة الوفد بأنها الزارة يدلُّ على مكانة الزارة في ذلك العهد . وأنها أقوى مدينة في تلك المنطقة . ثم وصفها بأن أكثر غلَّتْها السَّمَكُ والتَّمَرُ ، لأنها متوسطة في واحة حدائق النخل ، ثم هي قريبة من شاطئ البحر ، فقد كانت ميناء — كما في النصِّ المتقدم .

وجاء في كتاب «الروض المعطار» ما نصه الزرادة^(٧) : مدينة بناحية اليمن ، كان أبو سعيد الجَنَانِيُّ ، وهو من جزيرة جنابا ، من جملة من قام بدعوة القرامطة ، وكان يبيع الطعام بالزرادة ، وكان بها أيضاً رجل يعرف بإبراهيم الصائغ وكان داعيتهم أيضاً وجهوه غير مرة إلى ناحية فارس الأهواز لدعاء الناس ، وكان قيام القرمطي بالقطيف . انتهى . والزرادة تحريف الزارة ، وليست باليمن .

واتخذت الزارة منفى ومَحْبَساً لمن تَغَضِب عليهم الدولة في العهد الأموي :

ففي أخبار عبيدالله بن زياد حينما ولي البصرة سنة ستين ذكر ابن جرير^(٨) أنه قال : — بعد أن عرَّف العرفاء على الناس : (وأما عريف وجد في عرافته من بُغْيَةِ أمير المؤمنين أحد لم يرفعه إلينا صُلِبَ على باب داره ، وألغيت تلك العرافة من العطاء ، وسير إلى موضع بِعْمَان الزارة) كذا ورد النص . ولعل صوابه (بعمان والزارة) .

وذكر أيضاً^(٩) : أنه سير عمر بن سعد إلى الزارة .

وتقدم — في أول الكتاب — أن هذه البلاد كانت مَنفَى لمن تغضب الدولة عليه .

والزاردة هذه قاعدة الخط الذي يضرب المثل بحُمَاه : (حُمَى قَطِيفِ الْخَطِّ أَوْ حُمَى فَدَك) .

وبقيت الزارة — حتى النصف الأخير من القرن الثالث الهجري — تُعدُّ أكبر مدينة في الخط (القطيف) كما يفهم من وصف صاحب كتاب «المناسك»^(١٠) لها ، بأنها مقرُّ رئيس أهل القطيف ، وأنها فُرْصَةٌ على البحر ، وهذا يدل على سَعَتِهَا وكِبَرِهَا ، نتصور هذا حين نعلم أن موقعها هو موقع قرية العَوَامِيَّة التي أرى أنها في الأصل محلة من مَحَلَّاتِهَا .

وقرب انتهاء القرن الثالث حرق القرامطة مدينة الزارة ، كما حرقوا مدينة هجر .

وفي الزارة نشأت دعوة القرامطة ، ومنها امتدت حركتهم حتى شملت البلاد ، كما فصل ذلك متقدمو المؤرخين .

وجاء في «ديوان ابن مقرب»^(١١) : كانت رئاسة القطيف لبني جذيمة فجمع أبو سعيد القرمطي جيشاً فأغار على القطيف حتى ملكها بعد أن حرق الزارة وهي مدينتها ، ودار مملكتها . وكانت الرئاسة فيها لبني أبي الحسن ، علي بن مسمار بن سلم بن يحيى ، من كلب عبد القيس وأبو سعيد هذا قتل سنة ٣٠١ .

وجاء في الديوان المذكور ما ملخصه :

وذلك أن عبد القيس حين اختلفت كلمتهم ، وكثرت بينهم الحروب ، ضعفوا ووهنوا ، ووهن أمرهم بالبحرين ، فوثب القرمطي وهو أبو سعيد الحسن بن بهرام بن بهرشت على القطيف ، وهو يومئذ ضامن مكوسيا وضامن قرصتها ، وكان قد جمع مالا عظيماً استمال به قلوب الناس ، وكانت رئاسة القطيف يومئذ وملكها لبني جذيمة ، من عبد القيس .

وكان أولو الأمر فيهم بنو أبي الحسن علي بن مسمار ، وجمع القرمطي جيشاً من أهلها ومن البادية ، ومن أهل عمان ، وحارب بهم أهل القطيف ، حتى ملكها بعد أن حرق الزارة وهي مدينتها ، ودار مملكتها ، وسار حيثنذ إلى الأحساء يجمعوع عظيمة . انتهى .

وآثار الحريق كانت باقية إلى عهد قريب ، في موضع يدعى الرمادة ، في المكان الذي كانت الزارة تقع فيه ، وقد غرس ذلك المكان بالنخيل ، وانمحت آثار العمران القديمة منه .

وكان اسم الزارة معروفاً إلى عهدنا الحاضر ، يطلق على موضع يقع في الجنوب الشرقي من قرية العوامية ، بجوارها .

وفي القرية نفسها حي يعرف باسم (فريق الزارة) والفريق يرادف كلمة المحلة .

وموقع الزارة غرب مدينة القطيف الآن بنحو خمسة أكبال ، قد أحاطت النخيل بها ، ويظهر أن شاطئ البحر قديماً كان يتصل بها ، أو أنها كانت تشغل مساحة من الأرض واسعة تصل إلى الساحل ، وبعد خرابها اتخذت تلك الأرض بساتين للنخيل .

ويحسن التنبيه على بعض أوهام وقعت في نصوص بعض المتقدمين حول الزارة :

١ — قول البكري وياقوت^(١٢) وغيرهما أن الزارة من مدُن فارس خطأ ناشئ عن وجود مرزبان من مرازمة الفرس فيها أثناء حصار المسلمين لها في حروب الردة .

٢ — ذكر الزمخشري في « الفائق »^(١٣) ما نصّه : أن الجارود لما أسلم وثب عليه الحُطْمُ فأخذه وشدّه وثاقاً ، وجعله في الزارة .

ثم أضاف الزمخشري : في تفسير الزارة — هي الأجمة . ويقال للأسد : مرزبان الزارة انتهى .

فالزمخشري قصد المعنى اللغوي ، ولم يدرك أن الزارة — في الموضعين — علّم لهذه المدينة .

٣ — أورد صاحب « الروض المعطار »^(١٤) الزارة باسم (الزردة) وعدّها من مدُن اليمن — كما تقدم — وهذا خطأ مع أنه أورد اسم الزارة صحيحاً^(١٥) وعدّها من مدن فارس ، وذكر مبارزة مرزبانها للبراء ، وساق خبره .

حواشي المقال :

(١) ص ٩٠ الطبعة الأولى .

(٢) اليلق : القباء . والكلمة فارسية أصلها (بلمة) فعبث .

(٣) في « التهذيب » : ٢٤١/١٣ بدل كلمة (وله في الفئوح) : (وله حديث معروف) وكذا في « التاج » فيما نقل عن الأزهرى . وأبو منصور هو الأزهرى صاحب « التهذيب » .

(٤) الورقة : ٩ .

(٥) ص ٦٢١ .

(٦) القربوس : الخشبة المنحنية من سرج الفرس ، وللسرج قريوسان .

الزرق : الواردة في الأشعار

.. رأيتُ الشاعرَ ذا الرُمة ، يذكرُ الزُّرقَ — في الدهناء — كثيراً ، ولكنني لم أهتمَّ إلى معرفة موقعها من صحراء الدهناء الواسعة ، فهل من الممكن إرشادي إلى موقعها ؟

رماح — سعد بن سائر العنبي

العرب : لقد جمع مؤلف كتاب « المنطقة الشرقية ، أكثر النصوص الواردة في تحديد ذلك الموضع .
وها هو نصُّ ما أورده في الكتاب المذكور ، وهو من منشورات (دار المجامة للبحث والترجمة والنشر) .

الزُّرقُ :

— على لفظ جمع أزرق بضم الزَّاي — : هذا الموضع فيما يظهر من النصوص التي



مركز تحقيقية متغير عدمي

(٧) ينقل المؤلف عن البكري (مخ ٦٨ وهو المصدر الوحيد الذي ورد عنده اسم هذا الموضع (الزراة) — فيما أعلم — ولا أدري هل التست هنا بـ (الزارة) إحدى مدن البحرين أولاً ، على أن البكري نفسه ورد الاسم لديه في صورة (الواردة) وذكر الاسم في الترجمة : ٤٩٢ — وقارن بالطيري ٣ : ٢١٢٤ وأخبار القرامطة : ١١٣ .
(٨) ج ٥ ص ٣٥٩ .

(٩) المصدر ص ٤٥٤ .

(١٠) : ٦٢١ .

(١١) مخطوطة الأستاذ صادق الكردي .

(١٢) مادة (زار) .

(١٣) ذكر يوقات أيضاً أنها من مدن البحرين ، فكان الاسم عنده يطلق على مدينتين وهذا غير صحيح .

(١٤) ٢٨٦/٢٨٥ .

(١٥) ٢٨٢ .

الزرق : الواردة في الأشعار

.. رأيتُ الشاعرَ ذا الرُمة ، يذكرُ الزُّرقَ — في الدهناء — كثيراً ، ولكنني لم أهتمَّ إلى معرفة موقعها من صحراء الدهناء الواسعة ، فهل من الممكن إرشادي إلى موقعها ؟

رماح — سعد بن سائر العنبي

العرب : لقد جمع مؤلف كتاب « المنطقة الشرقية ، أكثر النصوص الواردة في تحديد ذلك الموضع .
وها هو نصُّ ما أورده في الكتاب المذكور ، وهو من منشورات (دار المجامة للبحث والترجمة والنشر) .

الزُّرقُ :

— على لفظ جمع أزرق بضم الزَّاي — : هذا الموضع فيما يظهر من النصوص التي



مركز تحقيق ومقتطفات

(٧) ينقل المؤلف عن البكري (مخ ٦٨ وهو المصدر الوحيد الذي ورد عنده اسم هذا الموضع (الزراة) — فيما أعلم — ولا أدري هل التست هنا بـ (الزارة) إحدى مدن البحرين أولاً ، على أن البكري نفسه ورد الاسم لديه في صورة (الواردة) وذكر الاسم في الترجمة : ٤٩٢ — وقارن بالطيري ٣ : ٢١٢٤ وأخبار القرامطة : ١١٣ .
(٨) ج ٥ ص ٣٥٩ .

(٩) المصدر ص ٤٥٤ .

(١٠) : ٦٢١ .

(١١) مخطوطة الأستاذ صادق الكردي .

(١٢) مادة (زار) .

(١٣) ذكر يوقات أيضاً أنها من مدن البحرين ، فكان الاسم عنده يطلق على مدينتين وهذا غير صحيح .

(١٤) ٢٨٦/٢٨٥ .

(١٥) ٢٨٢ .

سأوردها يقع خارج المنطقة التي أُلّف هذا القسم من المعجم لتحديد مواضعها ، فهو في الدهناء . ولكن موضعاً ذكره ذو الرّمة أكثر من ثماني عشرة مرة ، وذكر مواضع داخلية في نطاق بحثنا أليس جديراً بأن يُذكر هنا ، لا سيما وهو من المواضع التي ينبغي ذكرها في « المعجم » في أحد أقسامه الأخرى وقد تحدثت عنه بإيجاز في قسم (شمال المملكة) (١) .

قال البكري في «معجم ما استعجم» : الزُّرْقُ هي أنقاء بأسفل الدهناء لبني تميم .

قال ذو الرّمة :

وَقَرَّبْنِ بِالزُّرْقِ الْجَمَائِلَ بَعْدَمَا تَقُوبَ مِنْ غَرْبَانٍ أَوْ رَاكِهَا الْخَطَرُ
وفي «معجم البلدان» : الزُّرْقُ رمال بالدهناء وقيل : هي قرية بين النجاج وسُمينة ، وهي صعبة المسالك .

قال ذو الرّمة :

فِيَا أَكْرَمَ السُّكْنِ الَّذِينَ تَحَمَّلُوا عَنْ الدَّارِ ، وَالْمُسْتَخْلَفِ الْمُتَبَدِّلِ
كَأَنَّ لَمْ تَحُلَّ الزُّرْقَ مَيٍّ وَلَمْ تَطَأْ بِجَرَعَاءِ حَزْوَى ذَيْلَ مِرْطٍ مُرْجَلِ

وجاء في كتاب «المناسك» (٢) : والسُّمِينَةُ بَيْنَ مُضَرِّطٍ وَمُرْبِغٍ ، ينحدر من أحدهما ويصعد في الآخر بصعوبة شديدة ، فالأول منها الذي يلي البصرة أصعبها ، فكان الحجاج لما انحدر ، انحدَرَ ومعه جارية ، فلما استصعب على الجمالين الرَّمْلُ في هذا الموضع سألوا أصحاب الحجاج أن ينزلوا عن الإبل ، ليخففُوا عنها ، فيمشوا ، فلم يَبْقَ إِلَّا الْحَجَّاجُ وجاريته فقال الراجز :

الرَّمْلُ لَا يَرْكَبُ فِيهِ أَحَدٌ إِلَّا النِّسَاءُ وَأَبُو مُحَمَّدٍ

فالرجاز حتى الساعة يرتجزون في هذا الموضع بهذا ، ويرتجزون أيضاً :

يَا حَبْدَا الْقَمَرَاءِ ، وَاللَّيْلُ سَاجٌ وَطُرُقٌ مِثْلُ مِلَاءِ السُّسَاجِ

وهذه الرملة بها الزُّرْقُ التي يذكر ذو الرِّمَّة — ثم ذكر السُّمَيْنَةَ وقال ثم من وراء هذا الرَّمْلُ الشَّقَاتِقُ وهي سبعة أَحْبَلٍ ، بينها سَبْعُ شَقَاتِقَ ، لكل حَبْلٍ منها اسمٌ ، ولكل شقيقة اسمٌ ، فزعم الناسُ أن قوماً ضَلُّوا في شقيقة منها ، فأخذوا ذاتَ اليسار ، وَمَضُوا في الشقيقة ، فلم يزالوا في ضلالٍ حتى خرجوا في وادي اليمن ^(٤) من وراء بلاد اليمامة . وآخر شقيقة منها مِمَّا يلي مكة المَعْرَةُ وهي أرض حمراء ، كأنها صُبِغَتْ بالعصفر ، وحجارتها كذلك ، تتصلُّ بالحَبْلِ الذي يقال له حَبْلُ الحَاضِرِ وهو آخرها ، وهو يُشْرِفُ على النَّبَاجِ نَبَاجِ ابْنِ عَامِرٍ . انتهى . ونقلته بطوله لأَوْضَحَ خطأً ياقوت في قوله : (هي قرية بين النَّبَاجِ وسُمَيْنَةَ) فهي ليست قرية بل رمالٌ عظيمة ، وهي شرق السُّمَيْنَةِ وليست بينها وبين النَّبَاجِ ، بل بينها وبين الينسوعة .

ويظهر من قول صاحب «المناسك» : (وهي رَمْلَةٌ بها الزُّرْقُ) أي إنَّ الزُّرْقَ متصلة بهذه الرَّمْلَةِ الْعَظِيمَةِ . إذ يفهم من شعر ذي الرِّمَّة الذي سنورده بعد هذا أن الزُّرْقَ تقع شرق الدهناء ، على مقربة من حَزْوَا والدَّحْلُ والشَّالِيلُ والقرينة ، وتلك المواضع تقع في الجهة الجنوبية بعيدة عن طريق حاج البصرة الذي يَمُرُّ بفُلَج ، ويخترق شمال الدهناء من الينسوعة إلى السُّمَيْنَةِ وهناك الرملة العظيمة التي قال صاحب «المناسك» (بها الزُّرْقُ) ولم يقل : إنَّها الزُّرْقُ . ولهذا بعد أن عَرَّضْتُ لقوله في قسم (شمال المملكة) قلت :

وخلاصة ما يفهم من النصوص المتقدمة :

- ١ — أن الزرق من أنقاء الدهناء ، ومنها نقاً مُشْرِفٍ من أطول الأنقاء .
- ٢ — أن الشَّالِيلَ من الزُّرْقِ ، والشَّالِيلُ بناحية معقلة ، وهذه لا تزال معروفة .
- ٣ — أن ذا الرِّمَّة يقرن الزُّرْقَ بحَزْوَا وحَزْوَا معروفة وهي بجهة مَعْقَلَةٍ .
- ٤ — مَعْقَلَةٌ وحَزْوَا يقعان جنوب طريق الحجِّ البصري — أي جنوب الحفر حفر

الباطني .

٥ — تحديد الحربي — وأقصد صاحب «المناسك» — وياقوت ، وقد أخذ عنه فيما يظهر من مقارنة النصين ، بدل على أن الزُّرْقَ تقع في الطريق البَصْرِيِّ بين الينسوعة

وَالسُّمَيْنَةَ ، وَهَذَا التَّحْدِيدُ يُخَالِفُ الْقَوْلَ بِأَنَّهَا قُرْبَ مَعْقَلَةٍ وَحُزْوًا .

وَلَا مَخْرَجَ مِنْ هَذَا إِلَّا أَنْ يُقَالُ إِنَّ الزُّرْقَ يُقْصَدُ بِهَا أَكْثَرُ أَنْفَاءِ الدَّهْنَاءِ وَأَقْصَدُ الْحِبَالِ — وَأَطْوَلُهَا ، وَمَعْرُوفٌ أَنَّ حِبَالَ الدَّهْنَاءِ تَمْتَدُّ مِنَ الْجَنُوبِ إِلَى الشَّامِ مَسَافَاتٍ طَوِيلَةً ، فَقَدْ تَكُونُ أَطْرَافُ الزُّرْقِ الْجَنُوبِيَّةِ غَرْبَ مَعْقَلَةٍ وَحُزْوًا ، وَتَمْتَدُّ حَتَّى تَبْلُغَ طَرِيقَ الْبَصْرَةِ مِنْ حَجَرٍ ، وَشَمَالَهُ إِلَى طَرِيقِ الْبَصْرَةِ إِلَى مَكَّةَ .

وَأَضْيَفُ الْآنَ : يَظْهَرُ أَنَّ يَاقُوتًا اعْتَمَدَ عَلَى ذَاكِرَتِهِ فِي تَعْرِيفِ الزُّرْقِ ، وَلَمْ يَتَّقِدْ بِنَصِّ صَاحِبِ « الْمَنَاسِكِ » فَوَقَعَ فِيهَا وَقَعَ فِيهِ مِنَ الْخَطِئِ .

وَأَمَّا الْقَوْلُ مِنْ أَنَّ الشَّمَالِيْلَ مِنَ الزُّرْقِ فَصَدْرُهُ مَا جَاءَ فِي حَاشِيَةِ عَلَى قَوْلِ ذِي الرِّمَّةِ : فَوَدَّعْنَ أَقْوَاعَ الشَّمَالِيْلِ .

الشَّمَالِيْلُ : مَوْضِعٌ فِي الزُّرْقِ ، وَعَرَفَ يَاقُوتُ الشَّمَالِيْلِ بِأَنَّهَا حِبَالُ رَمْلٍ مُتَفَرِّقَةٌ بِنَاحِيَةِ مَعْقَلَةٍ وَنَعُودَ لِعَرَضِ بَعْضِ النُّصُوصِ الْمُتَعَلِّقَةِ بِتَحْدِيدِ مَوْضِعِ الزُّرْقِ .

جَاءَ فِي وَصْفِ طَرِيقِ حَجَرٍ (الرِّيَاضُ الْآنَ) إِلَى الْبَصْرَةِ فِي كِتَابِ « بِلَادِ الْعَرَبِ » (٥) بَعْدَ أَنْ ذَكَرَ الدَّهْنَاءَ قَالَ : وَالصُّبْيَغَاءُ وَهِيَ بَرَقَاءٌ بِمُنْقَطَعِ الدَّهْنَاءِ ، إِذَا جُزَّتِ الصُّبْيَغَاءُ وَقَعَتْ فِي أَبْرَقٍ يُقَالُ لَهُ الْقَنْفَذُ وَالْأَبْرَقُ رَمْلٌ مُخْتَلَطٌ بِآكَامٍ — ثُمَّ إِذَا جُزَّتِ الْقَنْفَذُ اسْتَقْبَلَتْ أَوَّلَ الصَّمَّانِ . وَعَنْ يَسَارِكَ قَبْلَ ذَلِكَ الزُّرْقِ الَّتِي ذَكَرَهُنَّ ذُو الرِّمَّةِ ، وَهِيَ أَجَارِعُ مِنَ الرَّمْلِ ، وَهِيَ مِنْ أَرْضِ سَعْدٍ ، مِنَ الدَّهْنَاءِ .

فَأُولَ مَا تَسْتَقْبِلُ مِنَ الصَّمَّانِ حِينَ تَدْخُلُهُ دَحْلٌ عَلَى الطَّرِيقِ يُقَالُ لَهُ خُرَيْشِيمُ أَنْتَهَى .

هَذَا الطَّرِيقُ الَّذِي ذَكَرَهُ يَخْتَرِقُ الدَّهْنَاءَ بِمُقَابِلَةِ خُرَيْشِيمٍ ، هُوَ طَرِيقُ مَعْقَلَةٍ ، إِذَا خُرَيْشِيمُ الدَّحْلُ لَا يَزَالُ مَعْرُوفًا ، وَهُوَ وَاقِعٌ غَرْبَ مَعْقَلَةٍ غَيْرَ بَعِيدٍ عَنْهَا ، بَيْنَ حُزْوًا وَقَرْيَةِ شَوِيَّةَ . وَالزُّرْقُ — عَلَى مَا يَفْهَمُ مِنَ الْكَلَامِ الْمُتَقَدِّمِ — تَقَعُ قَبْلَ الْوُصُولِ إِلَى هَذَا الدَّحْلِ الْوَاقِعِ فِي طَرَفِ رِمَالِ الدَّهْنَاءِ فِي الْجِهَةِ الشَّمَالِيَّةِ مِنْهُ : (وَعَنْ يَسَارِكَ قَبْلَ ذَلِكَ الزُّرْقِ) وَمَا عَنْ يَسَارِكَ مِنَ الْحِبَالِ الْعَظِيمَةِ عَرَقُ جَهَامٍ وَعَرَقُ جُهَيْمٍ ، وَلَا أُدْرِي هَلْ يَصِحُّ الِاسْتِنَاسُ بِاسْمِ الزُّرْقِ — جَمْعُ أَزْرَقٍ — لِلْبَحْثِ عَنْ صِلَةٍ بَيْنَ هَذَا اللَّوْنِ وَبَيْنَ لَوْنِ

الجُهمَة التي منها سُمِّيَ الحَبْلَانِ المذكوران . قد يكون ذلك يجامع عدم صفاء اللون ، وما أقرب الزرق التي ذكرها صاحب « بلاد العرب » ووصفها غيره بالصعوبة والعظم من ذينك الحبلين وما شرقها وجنوبها من الحبال إلى قرب مَعْقَلَة ، وتقدمت الإشارة إلى نحو هذا في رسم الخلصاء .

والآن لنعرض من شعر ذي الرِّمَّة ما ذكر فيه الزُّرْق لقد ذكرها أكثر من ثماني عشرة مرة :

فقال ^(٦) : في وصف الأطلال :

بِجَانِبِ الزُّرْقِ لَمْ تَطْمِسْ مَعَالِمَهَا دَوَارِجُ الْمَوْرِ وَالْأَمْطَارُ وَالْحِقَبُ
الزُّرْقُ : أكتبه رمال بالدهناء .

وقال ^(٧) : يصف الغيث .

أَسْقَى الْإِلَهَ بِهِ حُزْوِي فَجَادَبَهُ مَا قَابَلَ الزُّرْقَ مِنْ سَهْلٍ وَمِنْ جَلَدٍ
وقال ^(٨) :

وَعَيْنُ أَرَشْنَهَا بِأَكْنَفِ مُشْرِفٍ مِنَ الزُّرْقِ فِي سَفْكِ دِيَارِ الْحَبَائِبِ
وقال ^(٩) : في وصف الظعن :

فَوَدَّعَنَ أَقْوَاعَ الشَّمَالِيلِ بَعْدَمَا ذَوَى بِقُلُهَا : أَحْرَارُهَا وَذُكُورُهَا
وَلَمْ يَبْقَ بِالْخُلَصَاءِ مِمَّا عَنَتْ بِهِ مِنَ النَّبْتِ إِلَّا يُبْسُهُا وَهَجِيرُهَا
فَمَا أَبَاسَتْنِي النَّفْسُ حَتَّى رَأَيْتُهَا بِحَوْمَانَةِ الزُّرْقِ أَحْزَالَتْ خُدُورُهَا
الزرق : أكتبه بالدهناء :

وقال ^(٩) :

طَوَالِعُ مِنْ صُلْبِ الْقَرِينَةِ بَعْدَمَا جَرَى الْآلُ أَشْبَاهَ الْمَلَاءِ الْيَقَائِقِ
وَقَدْ جَعَلَتْ زُرْقَ الْوَشِيجِ حُدَاتُهَا يَمِينًا وَحَوْضًا عَنْ شِمَالِ الْمَرَافِقِ

وقال (١٠) :

وَقَرَّبْنِ بِالزُّرْقِ الْجَائِلَ بَعْدَمَا تَقَوَّبَ عَنْ غُرْبَانٍ أَوْرَاكِهَا الْخَطَرُ
الزرق : أكمة الدهناء . تقوَّب : تقشَّر . غربان أوراكاها : طرف رؤوس الأوراك
الذي يلي الدنب .
الخطر : هنا مصدر .

وقال (١١) :

إِذَا شِئْتُ أَبْكَانِي بِجَرَعَاءِ مَا لَكَ إِلَى الدَّخْلِ مُسْتَبْدَى لِمِيَّ وَمَحْضَرُ
وَبِالزُّرْقِ أَطْلَالُ لِمِيَّةٍ أَقْفَرَتْ ثَلَاثَةَ أَحْوَالٍ تُرَاحُ وَتُمْطَرُ
الزرق : أكمة بالدهناء .

(للحديث صلة)



مركز تحقيق وتطوير علوم إسلامي

حواشي المقال :

- (١) ٦٣٢/٦٢٨ .
- (٢) الجائل : جمع الجالة . والغربان هنا : الأزراك من خلف الظهر وقيل : رأس الورك تتوب : انقطع وانقشر .
الخطر : ما لصق بالوركين من البول .
- (٣) ٥٨٤ .
- (٤) لعل الصواب : (في وادي الرمل من اليمن) لأنه ذكر وادي الرمل وراء بيرين إلى حضرموت في اليمن .
- (٥) ٣١٢ .
- (٦) ديوانه : ٢٢ .
- (٧) ١٦٨ .
- (٨) ١٩٠ .
- (٩) ٢٢٦ .
- (٩) ٢٥٠ .
- (١٠) ٥٦٦ .
- (١١) ٦١٥ .

مع القراء في أسئلتهم وتعليقاتهم :

الكباكية : سكان كنبك

هذا الاسم يطلق على سكان جبل كَبْكَب ، المُطَّلَّ على عرفات ، وأكثرهم يرجعون في نسبهم إلى قبيلة هُذَيْل ، وكان هذا الجبل وما حوله منذ العصور القديمة من منازل تلك القبيلة .

ولهذا ورد في كتب النسب الحديثة ومنها كتاب «معجم قبائل المملكة العربية السعودية» . أن الكباكية من فروع قبيلة هُذَيْل . بصرف النظر عن أصول هؤلاء .

وقد كتب الأخ الأستاذ محمد جابر الحسيني — وهو من آل حسن سكان تلك الجهة يقول : إن إطلاق كلمة (الكباكية) على أولئك خطأ يرتكبه العامة في تلك الناحية ، إذ السكان ينتمون إلى قبائل ذات أصول عربية ومنهم آل حسن الذين يسكنون شمال وادي نعمان ، وأن أصلهم من الأشراف — أشراف المغرب العلويين ، انتقل جدهم محمد بن القاسم من ينبع إلى المغرب في حدود سنة ٢٥٠ هـ مع الحجاج — ثم قدم أحد أجدادهم وهو يوسف بن إسماعيل الصالح الحسني التلمساني مع الجيش العثماني سنة ٩٢٣ إلى مكة برتبة (باشا جاویش) وعين ناظراً على عين زبيدة التي تنبع من وادي نعمان ، ثم اشترى بلاداً في هذه الجهة استقر بها بعض أعقابها إلى الآن وذكر الأخ الكاتب أن فروع أسرة آل حسن :

آل عبد المحسن ، وآل شافي ، وآل حسين ، وآل حمدي ، وآل محسن وآل حاسن ، وآل أحمد ، وآل مشبب وآل عالي .

وأنهم لا يزالون يسكنون شمال وادي نعمان ، ومنهم من استوطن مكة المكرمة . وغيرها من مدن المملكة .

الزَّلَالُ فِي الدَّرْعِيَّةِ :

جاء في مجلة «العرب» س ١٥ ص ٢٨٧ في حواشي مقال (المرأة في حياة الشيخ محمد بن عبد الوهاب) — رقم الحاشية (١٢) ما نصه : الزَّلَالُ من الأمكنة القريبة من الدَّرْعِيَّةِ . ويقول الأستاذ عبدالله بن خميس ، وهو من أهل هذه البلدة إنه غير معروف الآن . انتهى وهذا القول اعتماداً على ما ورد في كتاب «معجم اليمامة» ج ١ ص ٥٣٥ — تأليف الأستاذ عبدالله ونَصُّهُ : الزَّلَالُ مكان قرب الدرعية ، ورد له ذِكْرٌ في تاريخها . ولكننا الآن لا نعرفه ، وقد ورد ذكره في بيتين ينسبان إلى ابنة محمد بن سعود — ثم أوردتها كما وردا في أصل المقال .

وأضيف الآن أن الأستاذ عبد المحسن الطَّوَيْل — وهو من أهل الدَّرْعِيَّةِ ورئيس مركز التنمية فيها — أخبرني أن الزَّلَال لا يزال معروفاً ، وقال في وصفه : إنه صِنْعٌ — مجرى سَبَلٍ — ينحدر من شرق الدرعية إلى جهة نخيل البلدة . بجانب (قُربوة) الموضع الذي فيه المقبرة القديمة التي فيها قبر الشيخ محمد بن عبد الوهاب — رحمه الله — بجانبها من الجنوب ، وكان طريق الدَّرْعِيَّةِ القديم يَمُرُّ به ، وهو بقرب (الناصرية) الجبل الواقع في تلك الجهة لا الناصرية المحلة التي غرب مدينة الرياض ، فتلك كانت تُعرف باسم (الْفَوَّارة) والناصرية اسم حديث . وطريق الدرعية المُعَبَّد الحديث المسلوكة الآن من الرياض إلى الدَّرْعِيَّةِ ، يَدَعُ الزَّلَالَ شماله .

«غاية الأمانى»

ورد في ص ٧٨٤ س ١٥ — في مقال الدكتور يوسف شلح اسم كتاب «غاية الأمانى» ، في أخبار القطر اليماني «ليحيى بن الحسين بن القاسم . وصواب الاسم «غاية الأمانى» .

وقد نَبَّه إلى هذا الخطأ الأخ يحيى بن علي عكور ، من بلدة الروشن ، في بيشة . شكراً لله له ، ووفقه .

آل (أبا القرب) : من واهب ثم من شهران

اطلعت على مجلة العرب (ج ٧ و ٨ س ١٥ / محرم وصفر ١٤٠١ هـ) . على مقالة د. محمد بن سعد الشويعر . حيث ذكر في مقالته آفة الذكر أن قبيلة (آل أبا القرب) في منطقة الجنوب وقد لحقوا (بِسَبْع) حينما سرد أفخاذ الحُقْبَان من الدواسر ومساكنهم . وبما أن لحمه (آل أبا القرب) المشار إليهم يسكنون في المنطقة الممتدة بين ييشة وخيبر الجنوب ، وأنهم من فروع بني واهب الآن من شهران وليسوا من سَبْع كما ذكر الدكتور محمد .

وقد أشار إليهم الدكتور جابر الطيب بن علي في أحد اعداد مجلة العرب عندما ذكر سكان وادي هرّجاب .
لذا أحببت ايضاح ذلك .

الباحثة/ إمارة العقيق : سعيد بن مناحي الشهراني

المرشدة من فروع عتية

عند مراجعتي للمقال الوارد في مجلة العرب ج ١١ و ١٢ س ١٥ لاحظت بعض الأخطاء التي وقعت مني في المقال المذكور نبهني عليها بعض الإخوان العارفين وهذه الملاحظات هي :

١ — ورد في المقال : أن الضعفان المعروفين من المثاقبة من المرشدة اليوم ورد أنهم حلفاء من بني عبدالله من مطير هذا لا يوافق عليه اليوم العارفون بالنسب من الضعفان مع اعترافهم بأنهم من قبيلة مُطير والحقيقة أن ما ذكرته في مقالي السابق عن : الضعفان هو : ما سمعته من كبار السن العارفين بالأنساب والله أعلم (ثم مدحهم الكاتب وأورد ثلاثة أبيات من نظمه في مدح الضعفان نسل عواض بالكرم والشجاعة .

٢ — وقع خطأ وهو رسم صفة الوسم المعروف الذي يتخذه المرشدة اليوم وسماً لهم

على الإبل فقد جاء رسمه في المقال ناقصاً وصفته المعروفة هي | ٠ | ومن تحته الشاهد وهو كما ذكرت على رقبة المطية واسمه : الأثافي — بالثاء — تشبيهاً بالأثافي المعروفة ولا يسمى الباب وليس الباب من وسم المرشدة .

٣ — وقع خطأ مطبعي في اسم عايد حيث ذكر عابد وصوابه : عايد — بالياء المثناة .

٤ — عندما قرأ شاعي بن غازي المرشدي وهو من العارفين بالأنساب عندما قرأ ذلك المقال أبدى لي عدة ملاحظات أجملها فيما يلي :

أ — الطرورة : ليسوا من ذوي حميد وإنما هم خصلة من الغرامين من ذوي محمد من المرشدة أيضاً .

ب — ليس من المرشدة فخذ يسمى الخدمان .

ج — ذوي جحرف ليسوا من الحسانية بل من الفهارين من ذوي حميد .

د — خصلتنا : القوسة والكسور ليستا من الفهارين بل من العناترة من ذوي حميد .

هـ — المقارنة : ليسوا من العناترة بل هم فخذ آخر من ذوي حميد ، ويقال إنهم عناق من أهل ثرمداء . قلت وهذا هو المشهور عند قبيلة المرشدة والمعروف عندهم اليوم والله أعلم .

و — اللوابين من ذوي مطيع هم : ذوي سفر ، وذوي جداع . واللوابين هم : بنو لوابان بني ذيجان بن مطيع .

ويرى الأخ شاعي — عند قراءته اسم هوازن في صدر المقال — يرى أنه من الاحسن أن أوصل نسب هوازن إلى عدنان جد عرب الحجاز . ونسب هوازن كما هو معروف في كتب النسب :

هوازن بن منصور بن عكرمة بن خصفة بن قيس عيلان بن مضر بن نزار بن معد بن عدنان ، فهم من بني قيس من مضر من عدنان ويلتقي نسبهم مع النبي صلى الله عليه —

مكتبة العرب

[لا تتحدث العرب إلا عن الكتب التي تصل إليها ، إذ الموضوع من السعة بحيث لا تتسع صفحات المجلة له] .

* الاجتهاد في طلب الجهاد :

العالم المفسر المؤرخ إسماعيل بن عمر بن كثير الدمشقي المتوفي سنة ٧٧٤ — من
المكثرين في مجال التأليف وقد طلب منه نائب السلطنة في الشام في عهده أن يكتب له

→ وسلم في مضر بن نزار بن معد بن عدنان ، وعدنان من نسل إسماعيل بن إبراهيم عليهما
وعلى نبينا أفضل الصلاة والسلام ، والله أعلم .

الرياض عبد الرحمن بن زبن المرشدي العتيبي

حول «معجم المطبوعات السعودية»

ومن الأخ الأستاذ محمد بن علي عكور من بلدة الروشن — في بيشة :

اطلعت على مقال معجم المطبوعات العربية في المملكة العربية السعودية ، الذي
يوالي نشره د. / علي جواد الطاهر الحلقة ٥٠ الملاحظة هي على اسم كتاب ابن القيم
الذي أورده الدكتور في صفحة ٧٥١ ج ١٠ و ٩ س ١٥ لعام ١٤٠١ هـ وهو : «شفاء
العليل في مسائل القضاء والقدر والحكمة والتعليل» وليس (والدليل) .

الملاحظة الثانية في صفحة ٧٥٤ سطر ٩ عند ذكر عبد الله بن عبد الرحمن بن صالح
آل بسّام «تيسير العلوم» ويضاف الى ط ٢ ضبطه ونسقه وباشر تصحيحه محمد زهري
التجاري والصواب محمد زهري النجار وهذه الأخطاء يظهر أنها مطبعية .

مكتبة العرب

[لا تتحدث العرب إلا عن الكتب التي تصل إليها ، إذ الموضوع من السعة بحيث لا تتسع صفحات المجلة له] .

* الاجتهاد في طلب الجهاد :

العالم المفسر المؤرخ إسماعيل بن عمر بن كثير الدمشقي المتوفي سنة ٧٧٤ — من
المكثرين في مجال التأليف وقد طلب منه نائب السلطنة في الشام في عهده أن يكتب له

→ وسلم في مضر بن نزار بن معد بن عدنان ، وعدنان من نسل إسماعيل بن إبراهيم عليهما
وعلى نبينا أفضل الصلاة والسلام ، والله أعلم .

الرياض عبد الرحمن بن زبن المرشدي العتيبي

حول «معجم المطبوعات السعودية»

ومن الأخ الأستاذ محمد بن علي عكور من بلدة الروشن — في بيشة :

اطلعت على مقال معجم المطبوعات العربية في المملكة العربية السعودية ، الذي
يوالي نشره د. / علي جواد الطاهر الحلقة ٥٠ الملاحظة هي على اسم كتاب ابن القيم
الذي أورده الدكتور في صفحة ٧٥١ ج ١٠ و ٩ س ١٥ لعام ١٤٠١ هـ وهو : «شفاء
العليل في مسائل القضاء والقدر والحكمة والتعليل» وليس (والدليل) .

الملاحظة الثانية في صفحة ٧٥٤ سطر ٩ عند ذكر عبد الله بن عبد الرحمن بن صالح
آل بسّام «تيسير العلوم» ويضاف الى ط ٢ ضبطه ونسقه وباشر تصحيحه محمد زهري
التجاري والصواب محمد زهري النجار وهذه الأخطاء يظهر أنها مطبعية .

(ما تيسر من الكتاب والسنة والآثار الحسنة في المراقبة بالثغور الإسلامية ، ليرغب أهلها في ثواب ما أهلهم الله له من الرباط في الثغور التي هي حفظ حوزة الإسلام) فاختصر من مجلد كان جمعه هذه الرسالة . التي قام الأستاذ الدكتور عبدالله عبد الرحيم عُسَيْلَان — في جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية — بتحقيقها ونشرها نشرًا علميًا . وقد قدم للرسالة بمقدمة ضافية عن حياة المؤلف ابن كثير ، وعما يتعلق بموضوع كتابه هذا ، وَالْحَقَّ به فهارس وافية .

فجاء كتاباً في ١٣٦ صفحة . والطباعة جيدة . وصدر عن مؤسسة الرسالة في بيروت هذا العام — ١٤٠١ هـ (١٩٨١ م) .

* مواقف من السيرة النبوية :

مؤلف هذا الكتاب هو الأستاذ مصطفى حسين عطار ، من رجال التربية والتعليم في هذه البلاد المعروفين . وكان الأستاذ العطار يذيع بجهته في السيرة من إذاعة مكة ، ثم جمعها في كتاب قدمه الأستاذ الجليل الشيخ عبدالله خياط بمقدمة ضافية جاء فيها : (إن المؤلف جمع الكثير من فصول السيرة ، مما يجد فيه القارئ لذة وممتعة وانسجاماً مع المؤلف يدفعه إلى طلب المزيد ، وخاصة في المقدمات التي يقدم بها كل موضوع يتحدث عنه ، وفي النتائج التي يستوحيا من كل قصة) .

وَيَتَّضِحُ الجهد الذي بذله المؤلف الفاضل في تأليف هذا الكتاب لكل من طالعه من محاولة الاستقصاء والتعمق في دراسة الموضوعات التي طرقها ، مع كثرة ما رجع إليه من المصادر .

والكتاب يقع في ٣٦٠ صفحة ، وليس فيه ذكر اسم المطبعة ولا تاريخ الطبع ، ويظهر من مقدمته أنه صدر هذا العام .

* صوبات وصلوات :

هذا هو الديوان الثاني للشاعر الأستاذ عبد الملك عبد الرحيم ، المذيع المعروف ،

جاء في مقدمته للأستاذ العوضي الوكيل : (موزع على شعر الغزل والشعر الديني ،
والشاعر من أبناء الرّيف وفي أهل الرّيف إيمانٌ بالله ، واستسلامٌ للقضاء والقدر ، واثمار
بأوامر الدين ، وانتهاء عن نواهيه) .

ويحوي الديوان ٣٨ مقطوعة من رقيق الشعر الموزون المقفّى سوى مقطوعة واحدة
ص ٦٧ : (فوق الأزاهر والنجوم) متعددة القوافي ، وأبياتها مستقيمة الوزن .
وصفحات الديوان ١٢٠ — وتاريخ طبعه : ١٤٠٠ هـ — ١٩٨٠ م وطباعته حسنة
بمطابع (وَج) والناشر (وكالة تبر للدعاية والنشر والإعلام) .

* أضواء على الأدب في جازان :

وصدر في منشورات (نادي مكة الثقافي) الجزء الأول من كتاب «أضواء على
الأدب والأدباء في منطقة جازان» لمؤرخ المخلاف السلياني وباحثه وأديبه الأستاذ الشيخ
محمد بن أحمد العقيلي . وقد تناول الحديث عن مشاهير شعراء المخلاف القدماء : عمارة
الحكمي ومحمد بن عيسى الطفاري ، ومنصور بن سحبان الضمدي وابن هُتَيْمِل والقاسم
الذروي ، وخيري زمار .

ومن العلماء : الحسن بن أحمد (عاكش) والوزير الحسن بن خالد الحازمي ، ومن
الأسر العلمية : آل البهكلي ، وآل الحكمي وآل شافع ، وآل الأسدي .

والمؤلف يعرض تراجم موجزة . ثم نماذج من الشعر والنثر ، ويستطرد بذكر جوانب
من التاريخ ذات صلة بلمحات أدبية موجزة .

ويقع الكتاب في ١٤٢ صفحة ، بطباعة حسنة ، بإشراف (دار مكة للطباعة
والنشر) .

وقد صدر في العام الماضي — ولم يذكر تاريخ طبعه .

* الموجز في تاريخ الطائف :

يحوي هذا الكتاب لمحات تاريخية عامّة عن الطائف قديماً وحديثاً ، بطريقة موجزة .

ومؤلفه الأديب الأستاذ مناحي بن ضاوي القشامي ، من أنشط أعضاء نادي الطائف الأدبي في مجال النشر والتأليف .

ويقع الكتاب في ٨٤ صفحة ، بطباعة حسنة في (مطابع دار الحارثي للطباعة والنشر) .

وقد صدر هذا العام (١٤٠١هـ) .

* الحضارة تحدد :

هذا الكتاب هو الحلقة الرابعة والعشرون من سلسلة (الكتاب العربي السعودي) التي تقوم مؤسسة (تهامة) بنشرها .

ومؤلفه الأستاذ الدكتور محمود محمد سفر — وكيل وزارة التعليم العالي للشؤون الفنية .

وموضوع الكتاب يفهم من عنوانه ، وأهم مباحثه : التحدي الحضاري جوهره و(ديناميكيته) — عناصر التحدي — الفعالية الروحية — استيعاب حضارة العصر — تبني أساليب الحضارة المعاصرة — حماية المنجزات الحضارية — فكرنا والحضارة المعاصرة — قيود البعث الحضاري — الكثافة السكانية شرط من شروط الحضارة — التباين بين الأمم — تأثير المكان والبيئة على الإبداع الحضاري — للزمن تأثيره على نشوء الحضارة — أثر النموذج البشري في المسيرة الحضارية — سلمان الفارسي مشاهد ميلاد حضارة — مواقف ومشاهد حضارية من (بذر) .

وخاتمة ما أوجزه المؤلف : (فلنعلن للعالم أننا قد فجّر جديد الحضارة القيم .. ولنسمع الدنيا هدير مصانعنا ، ولتبصر إشراقة فكرنا ، ولتشاهد أصالة فننا في نغم متجانس ، وإبداع متقن ، لننفلك من التيه المفقرة ، الذي يعيشه العالم المعاصر أسيراً له . نُظِلُّلنا العقيدة الموحية ، ويغمرنا الإيمان الصادق) .

ومع إيجاز الكتاب (١٤٠ ص) فإن المؤلفات التي رجع إليها المؤلف شغلت عشر صفحات ، وكثير منها غير عربي .

والطباعة حسنة بمطابع (دار البلاد) في جدة وصدر عام ١٤٠٠هـ (١٩٨٠م) .